

بلاد الجزيرة

في أواخر العصر العباسي



Bibliotheca Alexandrina

0030625

دكتور/ عصام عبدالرؤوف الفقي

دار الفكر العربي

المكتبة العامة لكتبة الاسكندرية

رقم التصنيف: 953.92

مع 60 ص

رقم التسجيل: 1000

9165

دكتور عصام الدين عبد الرؤوف

المدرس بكلية الآداب بالمتنبا
جامعة أسيوط

بلاد الجيزة

في أواخر العصر العباسي

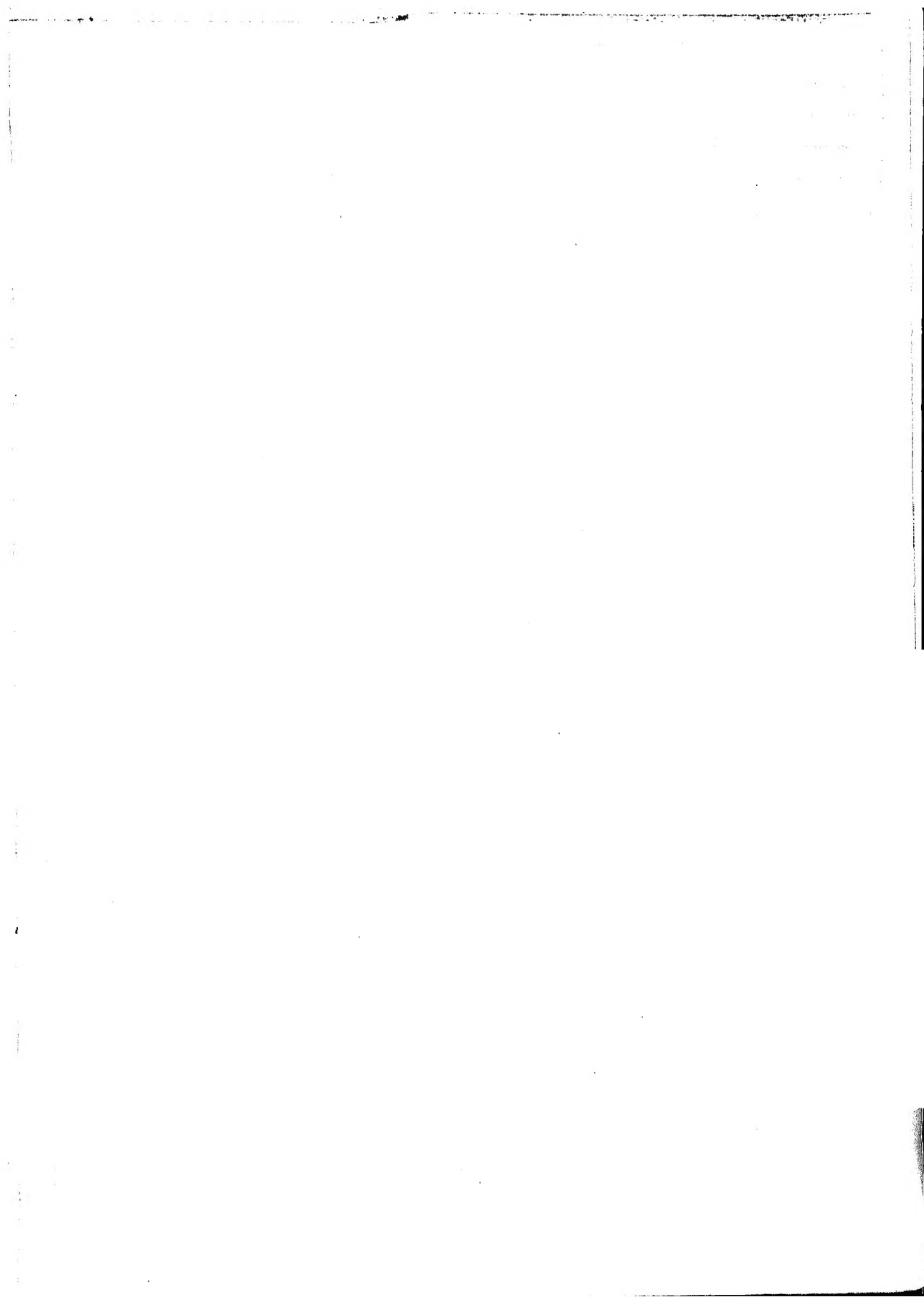


General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد ،
فهذا بحث يتناول دول أتابكة الموصل والجزيرة ، يتجلى لنا فيه ،
الموقف السياسي الداخلي في بلاد الجزيرة ، وموقف أتابكة الموصل
والجزيرة من حكام البلاد الإسلامية المجاورة ، والجهود التي بذلها الأتابكة
لصدور الخطر الصليبي عن البلاد الإسلامية وعلاقة الأتابكة بالمغول ، والتنظيمات
الإدارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، وماطر أعليهما من تغيرات .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه استقل كل
أمير بولايته ، فالتقسمت الدولة السلجوقية إلى دويلات مستقلة ، واتخذ كل
أمير من أمرائها قائدا تركيا يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ،
هو أساليب الإدارة والحكم ، يسمى أتابك ، أي الأمير الوالد ، فلما تقرر
تعيين عماد الدين زنكي أتابكا على الموصل ، كان مؤدبا لصغيرين من أولاد
السلطان السلجوقي محمود ، غير أنهما لم يقوما بإدارة شئون البلاد .

طغى نفوذ الأتابكة على الأمراء بسبب ما كانوا يتمتعون به من سلطة
أبوية ، ومما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير
السلجوقي المنرفي ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الأتابك . وقد سرت ذلك
للأتابك إقامة أسرات حاكمة مستقلة في بلاد الموصل والجزيرة ، فحكم الأتابكة
أتابكيات ماردين وحصن كيفا وخرتبرت في ديار بكر . على حين حكم عماد
الدين زنكي وبنوه أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر .

حرص الأتابكة على توطيد سلطانهم ، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد .

والعصيان التي قامت ضدهم ، واستعانوا برجال تمكنوا من معاودتهم في الوقوف في وجه أعدائهم ومنافسيهم في السياسة والحكم .

على أن أتابكة الموصل والجزيرة كانوا لا يعهدون لأحد بالحكم من بعدهم ، مما أدى إلى حدوث نزاع حول تولي السلطة بعد وفاتهم . وعلى الرغم من أن كثيراً منهم عهد لمن يخلقهم ، فإن بعض الأمراء تطلع للحكم ، مما ترتب عليه حدوث اضطرابات داخلية ، أضعفت من شأن هذه الدول .

ومما أدى إلى ضعف هذه الدول وانهارها في النصف الثاني من القرن السابع الهجري تعرضها للغزو المغولي ، فاستولى المغول على الموصل سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) ، ونكّلوا بسكانها ، كما استولوا على سنجار أثناء حصارهم الموصل وأغاروا على إربل واحتلّوها أثناء حصارهم بغداد . أما أتابكية ماردين ، فقد أرغما هو لاكو على الدخول في طاعته . على أن أتابكية خرتبرت لم تتعرض للغزو المغولي ، فقد استولى عليها سلاجقة الروم سنة ٦٦٠ هـ - (١٢٦٢ م) .

تأظهر أتابكة الموصل والجزيرة الطاعة والولاء للخلفاء العباسيين في بغداد ، على الرغم من حدوث بعض الخلافات بينهم ، كما ظلوا على ولائهم للسلطين السلاجقة حتى نهاية عهدهم . على أن هذا الأمر لم يقف حائلاً بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين تحقيق سياستهم الرامية إلى توسيع رقعة دولتهم فاتسعت أملاك عماد الدين زنكي بن آقسنقر حتى أصبح سيداً على شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى وبعض مدن الشام ، كما أن مظفر الدين كوكبورى - أتابك أربل - كان يقدم على كثير من المخاطر والمغامرات في سبيل توسيع رقعة دولته .

على أن بنى أيوب عولوا على السيطرة على بلاد الموصل والجزيرة ، فأرغم صلاح الدين يوسف بن أيوب أتابكة الموصل وسنجار وأربل وجزيرة ابن عمر على الدخول في طاعته ، كما أن خلفاءه حرصوا على السيطرة

على هذه البلاد، وامتد نفوذهم إلى أتابكيات ديار بكر .

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً في دفع الخطر الصليبي عن البلاد الإسلامية ، ففي بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عن الشام والعراق ، ولما علا شأن الأتابكة وقوى بأسهم ، وكثر جندهم ، تحول حوقهم من الدفاع إلى الهجوم ، فأغاروا على الإمارات الصليبية ، بل واتزعوا مدن الفرنجة ، كما حدث في عهد ايلغازي بن أرتق - أمير ماردين - وعماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل .

ويمكن القول بأن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية الجهود التي بذلها الأيوبيون والمماليك من بعدهم في سبيل إجلاء الصليبيين نهائياً عن البلاد الإسلامية .

قامت أتابكيات الموصل والجزيرة في ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر نسبة إلى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التي نزلت لإقليم الجزيرة قبل الإسلام ، وكانت كل من هذه الأتابكيات ينقسم إلى عدد من البلدان ، على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتاً بل تعرض للتغيير من وقت إلى آخر ذلك ، لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم .

استعان الأتابكة في إدارة دولهم بعدد من الموظفين ، نخص بالذكر منهم النائب والوزير والوالي والشحنة ، كما وزعوا الأعمال الإدارية على عدة دواوين ومن أهمها ديوان الرسائل ، وديوان الجيش ، وديوان البريد . وعنى الأتابكة إلى جانب ذلك بزيادة موارد دولهم المالية ، وتنظيم إنفاق هذه الموارد .

وقد بدأت البحث بتمهيد أوضحت فيه العوامل التي أدت إلى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كما عנית يبحث الحالة السياسية في بلاد الموصل والجزيرة خلال العصر الأتابكي ، فأشرت فيه إلى سياسة الأتابكة في توحيد

سلطانهم ، والأحداث الداخلية في دول الأتابكة والعوامل التي أدت إلى ضعف هذه الدول وانهارها .

كذلك تناولت بالبحث علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالخلفاء العباسيين وبالسلطين السلاجقة ، والجهود التي بذلها الأتابكة في سبيل توسيع ممتلكاتهم ، وأوضحت علاقة الأتابكة ببنى أيوب حتى دخولهم في طاعة السلاطين والأمراء الأيوبيين .

ومن الموضوعات التي عنيت ببحثها ، العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، أوضحت فيها الجهود التي بذلها أتابكة الموصل والجزيرة لدرء الخطر الصليبي عن بلاد الشام ، كما أشرت إلى عدم استطاعة الأتابكة التصدي لخطر المغول ، بل ودخولهم في طاعتهم ، وسقوط بلادهم في أيدي المغول ، البلدة تلو الأخرى .

وكان لتطور النظم الإدارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة نصيب كبير من عنايتي ، فتحدثت عن التقسيم الإداري في هذه الدول . والدواوين التي اختلفت بالشئون الإدارية ، كما تحدثت عن الموارد المالية لهذه الدول ونظام إنفاق هذه الموارد على مصالحها .

وأخيراً أجد لزاماً علي أن أتوجه بالشكر إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب - جامعة القاهرة على ما بذله من جهد ، وأنفقه من وقت في توجيهي الوجهة العلمية السليمة ، وإثني أعز بل وأفخر بأن أكون من تلاميذ مدرسته .

والله أسأل أن يوفقني اتابعة البحث في تاريخ الإسلام وحضارته

المؤلف

بحث في مصادر الكتاب

من الكتب الهامة التي أفادتني في موضوع بحثي كتاب « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل — لعز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وتنحصر أهميته في أن مؤلفه ينتمي إلى أسرة التحقت بخدمة أتابكة الموصل فكان ابن الأثير - والد عز الدين - رئيس ديوان خراج جزيرة ابن عمر في عهد قطب الدين مودود - أتابك الموصل . كما أن مجد الدين أبو السعادات ، وضياء الدين وهما أخوة هذا المؤلف وليا ديوان الإنشاء لبعض أتابكة الموصل ، ومن ثم فإن كتاب « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » يمدنا بمعلومات قيمة عن قيام أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ، والأحداث الداخلية في هذه الأتابكيات كما يوضح سياسة أتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر في توطيد سلطانهم كذلك تناول بأسهام علاقة هؤلاء الأتابكة بالخلفاء العباسيين والبلاد الإسلامية المجاورة . ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا الحد ، بل أفادتني في دراسة موضوع الوظائف والدواوين الإدارية لهذه الأتابكيات كما أوضح لي الموارد المالية لهذه الأتابكيات ومصارفها .

يأت بعد ذلك مصدر ذو أهمية خاصة اعتمدت عليه في بحثي عن أتابكيات ديار بكر ، وهو كتاب « السكامل في التاريخ » لعز الدين بن الأثير فقد أفادتني هذا الكتاب في دراسة قيام أمراء بني أرئق بحكم أتابكيات حصن كيفا وماردين وخرنبرت ، وعلاقة هذه الأتابكيات بأتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وإربل . وأمدني إلى جانب ذلك بمعلومات قيمة عن الجهود التي بذلها أتابكة الموصل وديار بكر لإجلاء الصليبيين عن بلاد الشام .

وهناك كتاب آخر رجعت إليه له أهمية كبيرة في بحثي وهو كتاب « مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب » لابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامها إلى نهايتها في تفصيل واف ، وتحقيق شامل دقيق ، فاتصل بمعظم ملوكهم

في الشام ومصر ، وبكثير من علماء وأدباء هذه الدولة . وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات وافية عن علاقة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بأتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ولاديل ، ودخول هذه الأتابكيات في طاعته . كما أفادني هذا الكتاب في دراسة موقف الملك العادل ابن أيوب وغيره من سلاطين بني أيوب ، من أتابكة الموصل والجزيرة . كذلك اعتمدت على هذا الكتاب في دراسة موقف نور الدين محمود بن زنكي من أتابكة الموصل ، وموقف أتابكة الموصل من الإمارات الإسلامية والصليبية في بلاد الشام .

كذلك رجعت إلى كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » لأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) في دراسة العوامل التي أدت إلى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة والسياسة التي اتبعها هؤلاء الأتابكة في توطيد سلطانهم ، وعلاقتهم بالأيوبيين ، كما أمدني ببعض المعلومات عن موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها .

ومن المصادر التي رجعت إليها في دراسة العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسي الذي ولي بعض الوظائف الرئيسية في مدينة دمشق ، عاصر خلالها الحروب الصليبية الدائرة على أرض الشام ، لذلك اشتمل هذا الكتاب على أخبار هذه الحروب ، ودور أتابكة الموصل وديار بكر فيها ، ويتضمن هذا الكتاب مقتطفات من كتاب التاريخ المنسوب للفارقي الذي عاش في ديار بكر ، وعاصر فترة من حكم بني أرئق فيها . لذلك رجعت إليه في دراسة قيام أتابكيات كيفا وماردين وعلاقتها بالبلاد المجاورة .

كذلك رجعت إلى كتاب « زبدة الحلب » في تاريخ حلب ، لكمال الدين ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) في دراسة علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالبيزنطيين والصليبيين ، ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا

تلخيد ، بيل أفادنى فى دراسة العلاقات السياسية لدول أتابكة الموصل والجزيرة
بالبلاذ الإسلامية المجاورة .

يأتى بعد ذلك كتاب له أهمية خاصة فى دراستى لموضوع « علاقة الخلفاء
العباسيين بأتابكة الموصل والجزيرة وهو كتاب ، المنتظم فى تاريخ الملوك
والأمم ، لابن الجوزى .

ومن الكتب التى رجعت إليها فى دراسة دخول بلاد الموصل والجزيرة
تحت لواء السلاجقة ، وعلاقة ذلك بقيام نظام الأتابكة ، كتاب راحة
الصدور وآية السرور للراوندى ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، وكتاب « تاريخ
دولة آل سلجوق ، للبندارى ، وكتاب « أخبار الدولة السلجوقية ، المنسوب
إلى ناصر الحسينى من كتاب القرن السابع الهجرى .

أما سبط بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ صاحب كتاب « مرآة الزمان
فى تاريخ الأعيان ، فقد أمدنى بمعلومات وافية عن علاقة أتابكة الموصل
والجزيرة بالبلاذ الإسلامية المجاورة ، كما تضمنه إشارات عن التنظيمات
الإدارية والمالية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، وما يذكر لهذا المؤلف
أن كتابه يقع فى أربعين مجلداً ، نقل فيه الكثير عن جده ابن الجوزى
ومصادر أخرى .

ومن بين الكتب التى رجعت إليها كتاب « عقد الجمان فى تاريخ أهل
الزمان ، لبدر الدين محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٠ هـ . وترجع أهمية هذا
الكتاب إلى أن صاحبه نقل عن مؤرخين بعض كتبهم اندثروا من بينهم ابن الجوزى
وابن العميد . وقد أفادنى هذا الكتاب فى دراسة علاقة دول أتابكة الموصل
والجزيرة بالبلاذ الإسلامية المجاورة وبالأيوبيين وموقف هؤلاء الأتابكة
من حركة الجهاد التى خاضها المسلمون ضد الصليبيين .

١ ولكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ
أهمية خاصة لموضوع بحثى ، فقد أفرد ابن خلدون فى هذا الكتاب فصلاً
عن بنى أرتق ، أوضح فيه الأحداث التى أدت إلى قيام أتابكيات بالبلاذ

الإسلامية المجاورة ، كما أفادني هذا الكتاب في دراسة العوامل التي أدت إلى ضعف أتابكيات الموصل والجزيرة وزوالهما .

أما أبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فقد اشتمل كتابه المختصر في تاريخ البشر ، على معلومات غزيرة أفادتني في موضوع بحثي ، فاعتمدت عليه عند دراسة السياسة الداخلية لدول أتابكة الموصل والجزيرة وعلاقة الأتابكة بالخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة ، وموقف بني أيوب من الأتابكة ، وعلاقة الأتابكة بالبيزنطيين وسعيهم إلى إجلاء الصليبيين عن بلاد الشام . ومن الكتب الهامة التي اعتمدت عليها في دراسة علاقة المغول بأتابكة الموصل والجزيرة ، وخضوع هذه البلاد لسلطان المغول ، كتاب « تاريخ المغول » ، لرشيد الدين فضل الله ، فقد شغل منصب الوزارة في الامبراطورية المغولية في فارس فترة من الوقت ، لذلك ألم هذا المؤلف بالكثير من أخبار المغول ، وما يذكر لرشيد الدين أنه اشتغل بتصنيف كتب في الفلسفة والطب والتاريخ . توفي سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦ م) .

كذلك أفادني كتاب ذيل مرآة الزمان « لقطب الدين البعلبكي » في موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الخطر المغولي والظروف التي أدت إلى خضوعها للمغول . وأفادني كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ في دراسة بعض جوانب الحياة السياسية في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي ، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم لأتابكة ووزراء هذه البلاد ، وأوضح فيها نشاطهم السياسي ، والجهود التي بذلوها لتنظيم إدارة بلادهم .

ومن أهم الكتب التي أفادتني في دراسة التنظيمات الإدارية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب معجم البلدان لياقوت ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فقد وصف إقليم الجزيرة الذي قامت فيه دول الأتابكة وصفاً دقيقاً ، وأوضح أسماء المدن والبلدان الواقعة في هذا الإقليم وقد أفادني ذلك عند دراسة التقسيم الإداري في دول الأتابكة .

تمهيد

قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة
في أواخر العصر العباسي

الباب الأول

الموقف السياسي الداخلي في دول أتابكة الموصل والجزيرة

- ١ - سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهم .
- ٢ - الأحداث الداخلية في دول الأتابكة .
- ٣ - انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها .

تمهيد

قيام دول أتابكة الموصل الجزيرة في أواخر العصر العباسي

انزع السلاجقة بلاد الموصل والجزيرة من أمراء بني عقيل، كما استولوا على ديار بكر التي كان يحكمها بنو مروان، ففي سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) سير السلطان السلجوقي ملكشاه عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير إلى الموصل للاستيلاء عليها، فحاصرها حتى طلب أميرها - شرف الدولة مسلم ابن قريش العقيلي الأمان في مقابل تسليم المدينة (١)، فأمنه القائد السلجوقي، واستولى على أموال وذخائر الأمير العقيلي، غير أن السلطان ملكشاه مالبث أن أعاد الموصل إليه (٢).

اعترض السلطان ملكشاه على تولية إبراهيم بن قريش الموصل بعد مقتل أخيه مسلم، وأسند ولايتها إلى أبي عبد الله محمد بن مسلم، وأضاف إليه الرحبة وحران وسروج وبلد والخابور، غير أن بني عقيل رفضوا تدخل السلاجقة في تنصيب أمير عليهم، وأبقوا على إبراهيم بن قريش حتى سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م)، فاستدعاه ملكشاه، واعتقله، وأنفذ وزيره نضر الدولة بن جهير إلى الموصل حيث استولى عليها (٣).

لما توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) أطلق سراح إبراهيم ابن قريش بشفاعة زوجته صفية عمة السلطان السلجوقي (٤)، وسارت مع

(١) كان الأمير قسيم الدولة آقستقر - والد عماد الدين زنكي - أحد قادة هذا الجيش، وانضم إليه الأمير أرتق بن أكسب - جد أمراء بني أرتق - على رأس جمع كبير من التركان، ولما اشتد الحصار على أهل الموصل أرسل إليهم ينصحهم بالدخول في طاعة السلطان، ويحذروهم من عاقبة العصيان، فقبلوا نصحه، وسلدوا الموصل إلى القائد السلجوقي.

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥

(٣) تاريخ الفارقي، ص ٢٢١

(٤) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٢٧٠

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢٣

ابنها علي بن مسلم إلى الموصل ، فنازعه أخوة محمد في حكمها ، ودار بينهما قتال انتهى الأمر فيه بهزيمة محمد ، ثم انتزع أخوه علي الموصل من ابن جهيز وتولى حكمها (١) .

علي أن علي بن مسلم سرعان ما نزل عن حكم الموصل لعمه إبراهيم ابن قريش . وبذلك امتد نفوذه إلى سائر بلاد بني عقيل ، لكن السلاحة عولوا على استعادة الموصل ، فطلب تاج الدولة تنش من صاحبها أن يقيم الخطبة له (٢) ، ولما رفض إبراهيم بن قريش ، توجه تاج الدولة إلى نصيبين (٣) ، واستولى عليها عنوة من نائب صاحب الموصل (٤) ، ثم قصد الموصل ، واشتبك في معركة مع إبراهيم بن قريش انتهت بهزيمة ومقتله ، وأعاد السلطان السليجوقي الموصل وأعمالها سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) إلى علي بن مسلم (٥) .

لكن الأمور في الموصل لم تستقر لبني عقيل ، فحدث نزاع بين محمد ابن مسلم العقيلي — صاحب نصيبين — وعلي بن مسلم — أمير الموصل — فاستعان محمد بن مسلم على أخيه بالأمير السليجوقي كربوقا (٦) ، فسار إلى حران واستولى عليها ، ثم توجه إلى نصيبين ، وغدر بصاحبها وانتزعها

(١) ابن خلدون : المعبر وديوان المبدأ والخروج ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الأثير : للكمال في التاريخ حوادث سنة ٤٨٦ هـ .

(٣) مدينة طامة من بلاد الجزيرة على الطريق من الموصل إلى الشام وفيها وى قراها بساكنين كثيرة ،

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢)

(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٥ .

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٢ .

(٦) كان ملكشاه قد أقطع مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية وبيت المقدس لتاج الدولة تنش ، فلما توفي ملكشاه طمع تاج الدولة في السلطنة ، فسار إلى حلب وأخذها ثم عاد إلى الشام ، واشتبك في قتال مع بركياروق — ابن أخيه — بالقرب من حلب ، انتصر فيه تنش ، واعتقل قواد بركياروق ومن بينهم الأمير كربوقا الذى ظل منفلا حتى أخرج عنه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة .

(٦) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦)

حته (١) ، واتجه بعد ذلك إلى الموصل فحاصرها (٢) ، ولم يستطع الأمير العقيلي الدفاع عنها ، ففارقها ، واستولى عليها كربوقا سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م) . وبذلك آلت الموصل وأعمالها إلى الدولة السلجوقية (٣) .

كذلك عمل السلاجقة على انتزاع ديار بكر من الأمير أبي المظفر منصور بن مروان منذ أن وليها سنة ٤٧٢ هـ (٩٧٠ م) (٤) ، فأمر السلطان ملكشاه وزيره نضر الدولة بن جهير بالاستيلاء على ديار بكر ، وإقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على السكة ، فسار إليها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) وضم السلطان إليه جيشاً بقيادة الأمير أرتق بن أكسب ، فعصى الأمير المرواني إلى شرف الدولة مسلم — صاحب الموصل وطلب منه أن يعاونه ضد من يحاول مهاجمته (٥) ، على أن يسلم إليه آمد ، فأجابه إلى طلبه ، واتفقا على محاربة فخر الدولة ، واشتبك الفريقان في قتال على مقربة من آمد انتهى الأمر فيه بانتصار القائد السلجوقي وعاد شرف الدولة منهزماً إلى بلاده (٦) .

امتد نفوذ ابن جهير إلى آمد ثم ميفارقين ، كما استولى على أموال بني مروان ، وأرسلها إلى السلطان السلجوقي (٧) ، ثم أنفذ جيشاً إلى جزيرة ابن عمر — وهي لبني مروان — فضمها إلى حوزته ، كما بسط نفوذه على

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ١٧ .

(٤) أول من حكم ديار بكر من بني مروان أبو علي الحسن عقب مقتل خاله بساذ الكردى — سنة ٣٨٠ هـ أثناء محاولته الاستيلاء على الموصل ، تزوج الأمير المرواني من امرأة خاله ، وتوجه إلى حصن كيفا ، وحكمه ثم بسط نفوذه على سائر ديار بكر ولما تولى تعاقب بنوه على حكم ديار بكر حتى استولى عليها السلاجقة سنة ٤٧٨ هـ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٨٠ هـ ، ٤٧٨ هـ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢ .

Ency: of Islam: Art Marwanida.

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢ .

(٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٨ .

معظم قلاع وحصون ديار بكر ، وقد أحسن ابن جبير إلى أهلها ، ورفع عنهم ما كانوا يعانونه من المظالم (١) .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، استقل كل أمير بولايته ، فانقسمت الدولة السلجوقية إلى دويلات مستقلة . ومع ذلك ظل أمراؤها يظهرن الولاء والطاعة للسلطان السلجوقي .

اتخذ كل أمير من هؤلاء الأمراء قائداً تركياً يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ، وأساليب الإدارة والحكم ، يسمى أتابك . أى الأمير (٢) ، فلما عين عماد الدين زنكى أتابكاً على الموصل ، كان مؤدباً لصغيرين من أولاد السلطان السلجوقي محمود (٣) ، غير أنهما لم يقوما بإدارة شئون البلاد (٤) .

استأثر الأتابكة بالنفوذ دون الأمراء بسبب ما كانوا يتمتعون به من سلطة أبوية ، وبما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير السلجوقي المتوفى ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الأتابك . وقد يسر ذلك للatabكة إقامة أسرات حاكمة مستقلة في بلاد الموصل والجزيرة (٥) .

ففي الموصل مكن السلاجقة عماد الدين زنكى من حكمها . ذلك أن أباه قسيم الدولة أقسقر كان مملوكاً تركياً من ممالك السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، ثم صار من أعيان دولة ابنه السلطان ملكشاه وأكابر أمرائه وبلغ من علومه ونزته عنده أن لقبه قسيم الدولة (٦) . ثم عهد إليه بولاية

(١) تاريخ الفارق من ٢١٦ .

(٢) أنا معناها بالتركية أب ويك أمير .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٠٠ ص ٣٠٥ .

(٤) ابن القلاسى : ذيل تاريخ دمشق من ٢١٧ .

(٥) Cambridge Medieval History. Vol. 4. P. 316

Cibb . Damascus Chronicle of Crusaders. P. 23

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١٠٠

بعد جلب أن ذال سلطان بنى عقيل عنها سنة ٤٧٩ (١) هـ (١١٨٣ م).
لما توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ (١٠٩٣ م)، خرج آفستقر على
طاعة السلطان السلجوقي تاج الدولة تبتش، لكنه مالبث أن قضى عليه
سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م)، واستولى على أملاكه. وبذلك حرم عماد
الدين زنكى ابن آفستقر من أملاك أبيه (٢).

اجتمع بمالك آفستقر حول عماد الدين زنكى (٣)، وأحاطه الأمير
كربوقا — الذى استولى على الموصل — برعايته، وضم ممالكه إلى
جندته وأقطعهم الإقطاعات واستعان بهم فى حروبه، واشترك عماد الدين
مع كربوقا فى غزو آمد (٤). ولم يزل زنكى فى خدمة كربوقا حتى وفاته
سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٢ م) (٥).

ذاع صيت عماد الدين زنكى لما أبداه من الشجاعة أثناء قتال الصليبيين.
فقد اشترك مع مودود — أمير الموصل — فى مهاجمة طبرية (٦)، وقاتل
الفرنجية على باب هذه المدينة (٧)، وكافأه السلطان السلجوقي محمد، بأن
أسند إليه شحنكية (٨) البصرة وواسط سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م).

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٥ — ٦٦

(٢) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك . القسم الأول . ج ١ ص ٣٣

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

Lane Poole : Saladin. P. 35.

(٤) أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدراً، وأشهرها ذكراً وهو بلد حصين ركين.
يحيط به دجلة بشكل شبه مستدير كالهلال.

(٥) لما هاجم كربوقا آمد واشتد القتال وكثرت جوع التركان ألحق كربوقا عماد الدين
زنكى بين أرجل الخيل، وقال لجندته : «قاتلوا عن ابن صاحبكم» فعين أذن اشتد قتالهم
وقوى حماسهم وانتهت المعركة باستيلاء كربوقا على آمد.

(٦) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦

(٧) Lane-Poole : Saladin. P. 37

(٨) Zoe Olden Bourg. Les Croisades. P. 278

(٩) الشحنة : رئاسة الشرطة، أو الأمير المشرف على حراسة المدينة أو محافظها.

المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٣٥ .

(١٠) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٢٤ .

ولما ولي السلطان محمود الحكم أقر أخاه الملك مسعود مع أتابكة جيوش بك في إمارة الموصل ، غير أنه ما لبث أن خرج على السلطان بتحريض من أتابكة الذي خطب له بالسلطنة ، مما ترتب عليه قيام حرب بينهما حلت فيها الهزيمة بمسعود وأتابكة (١) . ثم عفا السلطان عنهما ، وولى آقسنقر البرسقى على الموصل سنة ٥١٥هـ (٢) (١١٢١ م) وأضاف إليه الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها من أعمال الموصل (٣) .

اشترك عماد الدين زنكى في الحروب التي دارت بين آقسنقر البرسقى (٤) ودبيس بن صدقه (٥) صاحب الحلة — وانتهت بهزيمة (٦) دبيس ، ولما استقر رأى آقسنقر على العودة إلى الموصل طلب من عماد الدين زنكى أن يصحبه في المسير إليها لكنه رفض وقال لأصحابه : « قد ضجرنا مما نحن فيه ، كل يوم قد يملك البلاد أمير ، ونؤمر بالتصرف على اختياره وإرادته ، ثم تارة بالعراق . وتارة بالموصل وتارة ببلاد الجزيرة ، وتارة بالشام (٧) ، ثم قدم على السلطان محمود ، فأكرم وفادته ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة ، كما اتصل في نفس الوقت بالخليفة المسترشد واكتسب وده واحترامه (٨) .

Setton : A Hist. of the Crusades. Vol. 1. P. 170 (١)

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٣

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٠

(٤) كان الأمير آقسنقر البرسقى في خدمة السلطان محمود فاصبح له ، ملازمًا له في حروبه كلها وهو الذي أصبح بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ، ولما ولاه السلطان الموصل أمره بمجاهدة الفرنجة ، وقد أصلح أمر الموصل في فترة ولايته عليها .
(ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٠

(٦) نشبت حرب بين دبيس بن صدقه وبين الخليفة العباسي المسترشد سنة ٥١٦ هـ ، انضم فيها البرسقى — صاحب الموصل — وعماد الدين زنكى إلى الخليفة العباسي ، فانهزم دبيس ، وذهب إلى البصرة ، ودخلها ونهبها وهاجها ، فأمر الخليفة البرسقى بحفظ البصرة فصار إليها وانتزعها من دبيس ، وولى عليها عماد الدين زنكى :

(Zoe Olden Bourg : Les Croisades. P. 276)

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٢٧

Lane Poole . Saladin. P. 35 (٨)

لما هاجم أنصار ديبس بن صدقة صاحب - الحلة - البصرة . وعاثوا فيها فساداً ، أعاد السلطان تولية زنكى شحنة لها ، فسار إليها ، واستطاع أن يصد المغيرين عنها ، ويعيد الأمن إلى نصابه ، فعظم شأنه عند السلطان وأسند إليه شحنة العراق ، وفوضها إليه مضافة إلى ما لديه من الإقطاع (١) أما فيما يتعلق بامارة الموصل ، فإنه بعد مقتل البرسقي سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) خلفه في حكمها ابنه عز الدين مسعود ، وأقره السلطان على ممتلكات أبيه ، فضبط البلاد ، وأحسن إلى الأهلى ، وكان يساعده في الحكم الأمير جاولى - أحدهما إليك أبيه - (٢) .

على أن عز الدين مسعود مال به أن توفي ، وخلفه في ولاية الموصل أخ له ، وظل جاولى يتولى مهام الحكم في البلاد نيابة عنه . وأرسل إلى السلطان محمود القاضى بهاء الدين أبا الحسن دلى بن الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الباغيسيانى يطلب إقرار الأمير الجديد على ما يليه من البلاد . وبذل فى سبيل ذلك كثيراً من الأموال (٣) . بيد أن السلطان محمود كان قد أصدر مرسوماً بتسليم ديبس بن صدقة الموصل ، وأعد العدة للسفر إليها ، لكن الخليفة المسترشد عارض توليته ، وترددت الرسائل بينهما وبين السلطان بتولية زنكى (٤) . فلقيت هذه الفكرة قبولا من الرسولين ، ذلك أنهما كانا نخبتيان جاولى ويرفضان الدخول فى طاعته ، وطلباً من أنوشروان ابن خالد - وزير السلطان محمود - تولية زنكى الموصل لأنه يستطيع الدفاع عن بلاد الموصل والجزيرة بعد أن ازدادت هجمات الصليبيين عليها (٥) ، فأبلغ الوزير ذلك إلى السلطان ، فاستدعاهما ليوقف بنفسه على

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٢١ هـ .

ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ٦١

Zoe Olden Bourg : Les Croisades. P. 278

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٤٩

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ٤٣ - ٣٥

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٩

(٥) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ج ١٢ ورقة ٤ .

رأيهما في زنكى ، فتحدثا عن كفايته وشجاعته ، فوافق على توليته الموصل
وبعث في طلبه حيث سلبه منشورا بذلك ، وسير معه إلى الموصل ولديه
ألب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجى ليشرق على تربيتهما (١) ،
ولهذا قيل له الأتابك (٢) .

سار زنكى قاصداً الموصل ، فدخلها دون أن يتعرض له جاولى بل
دخل في خدمته (٣) ، فأقطعه زنكى الرحبة وأعمالها ، وسيره إليها ، وأقام
هو بالموصل ليرتب أمورها ، فجعل نصير الدين جقر نائباً له ، وصلاح
الدين الياغيسى أمير حاجب ، وبهاء الدين الشهرزورى قاضياً لقضاة
بلاده مكافأة لهم على جهودهم في توليته الحكم (٤) .

ظلت سنجان تتبع أتابكية الموصل حتى وفاة صاحبها قطب الدين
مودود سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) ، إذ استقل بها ابنه الأكبر عماد الدين
زنكى ، ذلك أن أباه لم يعهد له بالحكم ، إنما عهد إلى ابنه الآخر سيف الدين
غازى ، فسار عماد الدين زنكى بن مودود إلى عمه نور الدين محمود فى
بلاد الشام ليعينه على أخذ الملك لنفسه ، فاستجاب له ، وسار إلى بلاد
الجزيرة حيث ضم الرقة إلى حوزته ، ثم زحف إلى الحابور وفتحها ، كما
استولى على نصيبين وسنجان (٥) ، وولى ابن أخيه عماد الدين زنكى ابن
مودود على هذه البلاد التى استولى عليها (٦) .

كذلك تمكن نور الدين محمود من الاستيلاء على الموصل وأقر أتابكها

(١) ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ٩٢٨

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٠

(٣) أبو شامة : الروشدين فى أخبار المولدين ج ١ ص ٧٦

(٤) Lane Poole : Mohammedan Dynasties P. 162 - 163

(٥) ابن قاضى شهاب : الكواكب الدرية فى السير النورية ورقة ١٤٨

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٣ .

سيف الدين غازي بن مودود عليها ، وأضاف إليه جزيرة ابن عمر (١) ، واشترط عليه أن يكون طوع إرادته .

أقام عماد الدين زنكي بن مودود أتابكية مستقلة عن الموصل في سنجان مما ترتب عليه ظهور الشقاق بين أفراد البيت الأتابكي (٢) ، وعبر عن ذلك القاضي جلال الدين الشهرزوري بقوله : « وفي هذا طريق إلى أذى يحصل للبيت الأتابكي لأن عماد الدين زنكي كبير ، لا يرى طاعة أخيه سيف الدين وسيف الدين هو الملك ، لا يرى الإصغاء لعماد الدين ، فيحصل الخلف » وتطمع الأعداء ، (٣) .

لما شعر سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بدنو أجله سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، أشار عليه كبار رجال دولته ، بأن يعهد بالإمارة من بعده إلى أخيه عز الدين مسعود لكفايته وحسن تصرفه الأمور ، بدلا من ابنه معز الدين سنجر شاه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وكان ذلك في الوقت الذي قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبي (٤) في بلاد الشام ، فاستجاب له ، وأقطع ابنه سنجر شاه جزيرة ابن عمر ، فأقام بها أتابكية مستقلة ، عرفت باسم أتابكية الجزيرة سنة ٥٧٦ هـ (٥) (١١٨٠ م) .

كذلك قامت أتابكية مستقلة في إربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) . كانت في بداية الأمر ملوكا لأبي الهيثم الكردى الهذباني ، ثم آلت إلى ورثته من بعده ، واستولى عليها السلاجقة فيما بعد ، وحكمها مسعود بن محمد بن ملكشاه صاحب مراغه — قبل توليته السلطنة . وفي سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) سار

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . القسم الأول ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٣) أبو القفا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ١٨١ .

إليها عماد الدين زنكى ، وهاجمها وظل يحاصرها حتى قصدها السلطان مسعود من مراغة ، فرحل عنها ونزل الزاب وترددت الرسل بينهما ثم اتفقا على أن يعاون زنكى السلطان في إقامة الخطبة له في بغداد وسائر العراق ، في مقابل أن ينزل له عن أربل — غير أن عماد الدين زنكى لم يلبث بعد أن آلت إليه هذه المدينة أن أقطعها للأمير زين الدين على كجك بن بكتكين (١) الذى ضم إلى حوزته بلادا أخرى ، مثل شهر زور وملحقاتها ، وقلاع الهكارية والحيدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل .

ولما تقدمت به السن وعجز عن مباشرة مهام الحكم ، نزل عن البلاد التى فى حوزته فيما عدا أربل إلى قطب الدين مودود (٢) .

انقسمت أسرة بنى أرتق إلى فروع حكمت ماردین ، وحصن كيفا ، وخرتبرت . وتنسب الى أرتق بن أكسب — أحد ممالك السلطان ملكشاه — فقد ولاه حلوان وما إليها من أعمال العراق (٣) ، ولم يستمر فى ولايته طويلا ، إذ فارق فخر الدين بن جبير — وزير ملكشاه — بعد غزوه آمد سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) وسار إلى الشام حيث التحق بخدمة السلطان تاج الدولة تنش ، فولاه القدس بعد أن استولى عليها (٤) .

لما توفى أرتق بن أكسب خلفه ابنه سقمان وإيلغازى فى حكم بيت المقدس ، وظلت على هذه الحال حتى انتزعها الوزير الفاطمى الأفضل ابن بدر الجبالى سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) ، فخرج سقمان وإيلغازى إلى العراق ، فأسند السلطان محمد إلى إيلغازى شحنة بغداد ، أما سقمان ، فسار إلى الرها

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٣٥

(٢) نفس المصدر السابق .

Lane Poole : The Mohammedan Dynasties. P. 165

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٧١

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧١

وحدثت بينه وبين كربوقا — صاحب الموصل — فتن وحروب . ولما توفي كربوقا ، خلفه موسى التركمانى — نائبه على حصن كيفا (١) — ، فزحف إليه جكرمش — صاحب جزيرة ابن عمر — وحاصره بالموصل (٢) ، فاستنجد بسقمان ، ووعده بأعطائه حصن كيفا ، فسار إليه ، وأنقذه من جكرمش وجنده واستولى على حصن كيفا سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) (٣) ، وأقام بها أمارة صغيرة توارث حكمها بنوه (٤) .

تعاقب بنو أرتق على حكم حصن كيفا حتى وليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) ، وكان حليفاً لصلاح الدين الأيوبي ، واشترك معه فى حصار الموصل ، على أن يساعده فى الاستيلاء على آمد (٥) . فعاونوه فى حصارها وأخذها من وزيرها ابن نيسان سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٣ م) وضمها الى دولته (٦) . وبذلك اتسع نطاق أتابكية حصن كيفا .

أما ماردين وأعمالها فكانت تتبع السلطان بركياروق ثم أقطعها لأحد مماليكه ، ولما حاصر كربوقا — صاحب الموصل — مدينة آمد . استنجد صاحبها بسقمان — صاحب حصن كيفا — فأنجده ، واشتبك فى عدة معارك مع كربوقا ، انتهت بهزيمته ، وأسر ابن أخيه ياقوتى ، ولما اشتدت غارات الأكراد على ماردين ، وعجز صاحبها عن صدم ، طلب ياقوتى منه إطلاق سراحه ، على أن يساعده فى صد غارات الأكراد ، فأجاب طلبه ، وشرع

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ .

(٢) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2. P. 168

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

(٤) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٥) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٢ .

(٦) Cambridge Medieval History Vol. 4 P. 317

ياقوتى فى شن الغارات على الأكراد، وتمكن من الاستيلاء على ماردين (١) ولم يكتف بذلك، بل اعتزم التوسع فى منطقة الجزيرة، فساد إلى نصيبين واستولى عليها، ثم قصد جزيرة ابن عمر، لكن صاحبها جكرمش، أوقع به الهزيمة وقتله (١). على أن ماردين لم تستمر طويلا فى حوزة جكرمش. فقد انتزعها منه سقمان صاحب حصن كيفا (٢) — ثم آل حكمها بعد وفاته سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) إلى أخيه إيلغازى بن أرتق وأقام بها أتابكية مستقلة عن كيفا، توارث أبناؤه ولايته (٤).

وكان يحكم ميفارقين السلطان قليج أرسلان بن سليمان بن قتلش، ثم استولى عليها الأمير سجان — صاحب خلاط (٥) — سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) وأحسن معاملة أهلها، وخفف عنهم عبء الضرائب وعين عليها واليا من قبله.

وفى عهد هذا الوالى طمع أمراء البلاد المجاورة فى ميفارقين وانتزعوا بعض أراضيتها، فرأى السلطان أن يسند ولايتها إلى حاكم آخر يدعى إيلغازى فضبط أمورها ونشر العدل بين أهلها (٦)، ولما توفى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ولى ابنه تمر تاش حكم ماردين، على حين استقل ابنه الآخر سليمان بحكم ميفارقين (٧).

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ.

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٤.

لما اعتزم سقمان بن أرتق الانتقام لابن أخيه، أرماء جكرمش — صاحب الموصل بعض المال، على أن سقمان انتزع ماردين من على الذى خلف أخاه ياقوتى فى حكم ماردين — لدخوله فى طاعة جكرمش. وقال إنما أخذتها لئلا يخرج البيت، وأعطاه جبل جور بالقرب من ماردين. (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٥ هـ).
Cambridge Medieval History Vol. 4 P. 317

(٣)

(٤) زامباور: معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٥.

(٥) قصبه أرمينية الوسطى (ياقوت: معجم البلدان ج ٣ — ٤٥٣).

(٦) ابن القلائى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١.

(٧) ابن الوردي: تنبه المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص ٨.

أما عن حصن كيفا وآمد ، فإن أميرهما نور الدين محمد توفي سنة ٥٨٧هـ
(١١٨٥ م) وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان على الرغم من أن عماد
الدين — أخو نور الدين محمد — كان مرشحا للإمارة ، إلا أنه لم يتمكن
من توليتها ، لاشتراكه وقتذاك مع صلاح الدين الأيوبي في حصار الموصل
فلما بلغه ما حدث ، سار إلى حصن كيفا ، غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء
عليه فقصده خربتوت وضمها إلى حوزته ، وكون بها إمارة ، توارث
أبنائه حكمها (١) .

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ .

الباب الأول

الموقف السياسي الداخلي في دول أتابكة الموصل والجزيرة

١ - سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهم :

حرص أتابكة الموصل والجزيرة على توطيد سلطانهم، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضدهم ، ففي سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أعلن والى حلب - سليمان بن إيلغازي بن أرئق - العصيان على أبيه إيلغازي - صاحب ماردين وحلب (١) - فلما علم بذلك أسرع في المسير إلى حلب (٢) ، وشرع في مهاجمتها (٣) مما حمل ابنه سليمان على الخروج إليه معذراً (٤) ، فعفا عنه (٥) ، وقبض على المشتركين معه في الفتنة وعادت المدينة إلى طاعته وأتاب بحلب ابن أخيه عبد الجبار بن أرئق ، ولقبه بدر الدولة. ثم عاد إلى ماردين (٦).

كذلك حاول سودكين الكرجي الاستقلال عن إمارة عماد الدين زنكي صاحب الموصل - على الرغم من أن زنكي أقطعه حران سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) كما انضم إلى الخليفة العباسي المسترشد أثناء حصاره الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) ، وعين والياً من قبله على حران ، فأحبط زنكي محاولته بأن أرسل جيشاً إلى حران سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) ، تمكن من

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٢) ابن النديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 161 .

(٤) ابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١ ١٧٩ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

استعادتها ، وانتزاع قلعتها من واليها (١) .

وفي سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) خرج أهل الحديثة على طاعة عماد الدين زنكي ، فأرسل جيشاً كبيراً إليهم (٢) ، وحاصر البلدة ، ولم يزل يحاصرها حتى استعاد نفوذه عليها (٣) .

لما قتل عماد الدين زنكي سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) ، استرد حسام الدين تمرتاش - صاحب ماردين - مدينة دارا التي كان زنكي قد استولى عليها غير أن سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي - أتابك الموصل - مالبث بعد ثلاث سنوات أن تمكن من ضمها إلى حوزته ، كما استولى على كثير من أعمال ماردين (٤) .

سار قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي - أتابك الموصل - على سياسة أبيه في القضاء على حركات الفرد والعصيان في سنة ٥٢٣ هـ خرجت عليه جزيرة ابن عمر (٥) ، فقد كانت إقطاعاً للأمير أبي بكر الدينسي . ولما توفي هذا الأمير ، تحصن بها أحد مماليكه ، فسار إليها قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وحاصرها عدة شهور حتى استعادها (٦) .

كان زين الدين علي - نائب قطب الدين مودود - أتابك الموصل - قد أسند ولاية تكريت (٧) لقلام له ، يدعى تبر (٨) ، فلما اعتزل عمله

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٤

(٢) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٠

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٢ - ١١٣

(٧) كانت تكريت إقطاعاً لزين الدين علي

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

بالموصل ، وانتقل إلى إربيل ، وآلت البلاد التي كانت في حوزته إلى قطب الدين مودود ، امتنع تبر عن تسليم تكريت فأجاب طلبه ، خشية أن ينزل عنها للخليفة العباسي (١) .

ولما توفي تبر ، خلفه لإخوته في حكم تكريت ، غير أن الخلاف والشقاق ما لبث أن وقع بينهم ، وعجزوا عن حكمها كما أن قطب الدين مودود - أتابك الموصل - لم يحاول استعادتها (٢) .

ولما آلت أتابكية الموصل إلى سيف الدين غازي بن مودود سنة ٦٥٠هـ (١١٦٩ م) ، أعلن الأمير شهاب الدين محمد بن بوزان - وإلى شهرزور - استقلاله لعداوة كانت بينه وبين مجاهد الدين قياز - نائب سيف الدين غازي بن مودود أتابك الموصل - فأرسل إليه رسولا من قبله ومعه كتاب يحثه فيه على انقذوم إلى الموصل ، وترك التمرد والعصيان (٣) . وكان لهذا الكتاب أثر بالغ في نفس شهاب الدين ، فتوجه إلى الموصل ، ودخل في طاعة أتابكها (٤) .

استعان أتابكة الموصل والجزيرة برجال تمكنوا من معاودتهم في توطيد سلطانهم ، والوقوف في وجه أعدائهم ومنافسهم في السيادة والحكم ، فقد استناب عماد الدين زنكي - أتابك الموصل - نصير الدين جقر بن يعقوب الهمداني (٥) فسيطر على شؤونها الداخلية (٦) ، واستطاع أن يقف في وجه الخليفة العباسي المسترشد حين هاجم بلاده سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) (٧) ، كما

(١) نفس المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٧

(٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

(٣) ابن الأثير : الذریع الباهر فی الدولة الأتابكية ص ١٧٨

(٤) ابن الأثير : الكامل فی التاريخ حوادث سنة ٥٧٢ هـ

(٥) ابن العبري : تاریخ مختصر الدول ص ٣٥٢

(٦) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ١ ص ٣١٥

(٧) ابن القلائس : ذیل تاریخ دمشق ص ٢٨١

عد الأكراد الذين عاثوا فساداً في بلاد الجزيرة ، واستولى على بعض بلادهم (١).

كذلك علا شأن زين الدين علي بن بكتكين الذي جعله عماد الدين زنكي نائباً له سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، وامتد نفوذه إلى إربل (٢) وشهرزور وقلاعها وجميع قلاع الهكارية (٣) ، كما ضم إليه السلطان السلجوقي مسعود سنة ٥٤٤ هـ تكريت وحران وسنجار (٤) .

أبقى سيف الدين غازي بن زنكي — أتابك الموصل — زين الدين علي نائباً له ، واتخذ وزيراً له يدعى جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني . وظل الحال على ذلك حتى ولي قطب الدين مودود بن زنكي سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) أتابكية الموصل — فأقرهما في عملهما (٥) ، وقد أثار ازدياد نفوذهما حقد بعض الأمراء ، فأرسلوا إلى نور الدين محمود بن زنكي — صاحب الشام — يطلبون منه القدوم إليهم ، وحكم بلادهم ، فاستجاب لهم وقصد الموصل (٦) . ولما علم قطب الدين مودود بن زنكي — أتابك الموصل — بذلك ، اعتزم الوقوف في وجه أخيه ، فسار على رأس جيش كبير إلى بلاد الشام ، ولما اقترب هذا الجيش من تلك البلاد ، أرسل إلى نور الدين ينكر عليه محاولة الأغارة على بلاده ، ويهدد بمحاربته إن لم يرجع عنه (٧) . غير أن الوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني أشار بالصلح (٨) ، واستطاع أن يصلح بين الأخوين (٩) ،

- (١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٠
- (٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٤
- (٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٩
- (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٦
- (٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠
- (٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٤
- (٧) بن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٩
- ابن قاضي شهنشه : السكواكب الدرية في السيرة النورية ، ورقة ١٤٨
- (٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ
- (٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

كان الوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني كثير البر والصدقات كما قام بكثير من الإصلاحات في الموصل وسنجار ونصيبين وجزيرة ابن عمر (١)، وكانت الموصل في أيامه ملجأ لكل ملهوف ، ومأمن لكل خائف (٢)، وبلغ من علو منزلته أن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جعله مشرف مملكته كلها ، غير أن خواص قطب الدين مودود أوغروا صدره عليه ، فأمر بحبسه ، مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات في أتابكية الموصل (٣).

كذلك استناب سيف الدين غازي بن مودود — أتابك الموصل — بمجاهد الدين قيمان — وفوض إليه الحكم في سائر أتابكياته ، كما قام بإدارة شئون أتابكيتي الجزيرة واربيل نيابة عن أميريهما (٤). غير أن سيف الدين غازي مالبث أن قبض عليه بتحريض من بعض خواصه ، فاضطربت البلاد ، وطمع فيها الطامعون (٥)، فأرسل الخليفة العباسي جيشا ، استولى على دقوقا (٦)، واستقل زين الدين علي بن بكتكين باربيل ومعر الدين سنجر شاه بالجزيرة (٧)، ولم يستطع عز الدين مسعود — أتابك الموصل — السيطرة على أتابكيتيه ، فأطلق سراح مجاهد الدين قيمان ، وأعادته نائباً له (٨).

اتخذ سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جلال الدين أبا الحسن علي بن جمال الدين وزيراً له سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م).

-
- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٢٤٨
 - (٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠
 - (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية . ص ١١٨ - ١١٩
 - (٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
 - (٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٥٤ - ١٥٥
 - (٦) مدينة بب بربل وبغداد (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١١٦)
 - (٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧١
 - (٨) حلدون . المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٠١

وفوض إليه كافة أمور الدولة (١) ، فأظهر كفاية في مباشرة مهام عمله .
وإداره البلاد غير أن سيف الدين غازى قبض عليه بتحريض من بعض
أخصائه سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٧ م) ثم أطلق سراحه ، فذهب إلى آمد (٢) .

كما كان لبدر الدين لؤلؤ — نائب نور الدين أرسلان شاه الأول ابن
مسعود — أتابك الموصل — أثر كبير في توطيد سلطانه ، فأسند إليه
إدارة الجيوش والعساكر وسياسة القبائل والعشائر (٣) ، وأوصاه بأن
يدرر أمر ابنه عز الدين مسعود الثانى بعد وفاته . ولما توفى أرسلان شاه
الأول تصدى بدر الدين لؤلؤ لمعاونة عز الدين مسعود الثانى في توليته
أتابكية الموصل ، ولم يمكن عمه عماد الدين زنكى — صاحب قلعتى العقر
وشوش (٤) من انتزاع الحكم من الأتابك الجديد . ثم عين بدر الدين لؤلؤ
نور الدين أرسلان شاه الثانى أتابكاً على الموصل بعد وفاة عز الدين مسعود
وحرص على عدم تحقيق أطماع أمراء البلاد المجاورة في أتابكية الموصل (٥)
ثم انفرد بحكم هذه الأتابكية وظل يلى أمورها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ
(١٢٥٨ م) ، فخلفه ابنة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ، وهو
آخر أتابكيتها (٦) .

كذلك حرص أتابكة حصن كيفاً على الاستعانة برجال أكفاء تمكنوا
بمعاونتهم من توطيد سلطانهم ، فاستعان فخر الدين قرأ أرسلان — أتابك

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في العولة الأتابكية ص ١٥٤

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٢٠٣

(٤) لأحدى قلاع الموصل .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٥٧

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخير ج ٥ ص ٢٦٩ .

(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ — تلويح القول المجلد الثانى

حصن كيفا - بنور الدين محمود - صاحب لشام - في صد المغيرين على إمارته . ولما عهد إلى ابنه محمود ، اعزم أن يؤمنه في دولته بعد توليته الحكم ، فأوصى نور الدين محمود بأن يصد الأعداء عن ابنه (١) فأجاب طلبه (٢) .

على أن بعض أتابكة الموصل والجزيرة لم يقبل سيطرة النواب والوزراء على شؤون الحكم ، فلما توفي إيلغازي الثاني بن أبي تيمور تاش - صاحب ماردين سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) ، خلفه ابنه برلق أرسلان - وكان طفلاً صغيراً - فقام بتدبير أمور أتابكيتيه وزير أبيه - نظام الدين - ولما توفي بولق خلفه أخوه الأصغر - ناصر الدين أرتق - ، فظل تحت وصاية الوزير نظام الدين حتى سنة ٦٠١ هـ (٣) (٢٢٠٤ م) . حيث عول على استعادة نفوذه وسلطانه في إمارته ، فدبر مؤامرة للتخلص من نظام الدين ، كما خارب أنصاره ، وأوقع بهم الهزيمة . وتمكن بذلك من أن يصبح الحاكم الفعلي في أتابكيتيه (٤) .

٢ - الأحداث الداخلية في دول الأتابكة

كان الخلاف والنزاع كثيراً ما يظهر في دول الأتابكة حول الحكم مما أضعف من شأن هذه الدول . ، فبعد مقتل عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل (٥) - اضطرب الجند ، وقصدوا خيمة الملك ألب

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ - ٢١٩

(٤) سبط ابن الجورى : مآلة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ج ٨ ص ١٨٨

(٥) عماد الدين زنكي أتابكها له

أرسلان بن محمود (١)، ومادوا به أميرا على الموصل (٢)، لكن وزراء
زنكي بذلوا قصارى جهدهم للاحتفاظ بالملك في بيته، وأنهى وزيراه
جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني، وصلاح الدين الياغيساني العداوة
التي كانت بينهما (٣)، وأرسل جمال الدين إلى صلاح الدين يقول: «إن
المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراه ظهورنا، وسلك طريقا يبقى به الملك
في أولاد صاحبنا، ونعمر بيته جزاء لإحسانه إلينا، فاستجاب صلاح
الدين له، وتضافيا ومن ثم استطاعا الحيلولة دون تولية ألب أرسلان
الموصل، وتنصيب سيف الدين بن عماد الدين زنكي، أتابكا عليها (٤)
وقد أشاد ابن الأثير (٥) بالدور الذي قام به جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني
وزير زنكي - لإبقاء حكم الموصل في بيته، فقال: «فانظر إلى فعل
جمال الدين وحسن عقله وكمال مروءته، ورعايته لحقوق مخلصه وإحسانه
وهذا المقام الذي ثبت فيه، يعجز عنه عشرة ألف فارس».

لم يحكم سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي دولة أبيه كلها، بل
ولى أخوه نور الدين محمود بعض نواحيها، وامتدت أضعاؤه إلى (٦) ولاية
حلب وشيخه على ذلك أسد الدين شيركوه (٧) فقال له: «قد رأيت أن
أصيرك إلى حلب، وتجعلها كرسى ملكك، ونجتمع في خدمتك عساكر

-
- (١) ابن القلانسي، ذيل تواريخ دمشق ص ٢٨٥
Setton : A History of the Crusades. vol.I p.462
(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١١٥
ابن حنكاه : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦
(٣) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩
Runciman : A History of the Crusades. vol. S p.239
(٤) أبو شامة، الر. ضنين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢
(٥) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٦
(٦) نفس المصدر

Lane Poole ; Saladin. p.60

(٧) ابن هبش شهاب الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٤

الشام ، وأنا أعلم أن الأمر يصير جميعه إليك ، لأن ملك الشام يحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق (١) ، ولم يلبث نور الدين محمود بن زنكي أن سار قاصداً حلب (٢) وضمها إلى حوزته ، كما استولى على حماة وحمص وحران وحمص وجميع ما كان بيد أبيه من بلاد الشام (٣) .

لما استقر سيف الدين غازي بن زنكي في حكم الموصل سار إلى بلاد الشام لإقرار أخيه على البلاد التي وليها على اعتبار أنه الورث الشرعي لمملكة أبيه (٤) ، وقد تبودلت المراسلات بين الأخوين في هذا الصدد . وعلى الرغم من أن سيف الدين غازي بن زنكي أتابك الموصل - استمال أخاه ، فإن نور الدين محمود بن زنكي لم يسرع في القدوم إليه خشية منه . ولما التقيا تعرف نور الدين محمود على أخيه (٥) . فقبل الأرض بين يديه ، ودخل في خدمته - فأقره على ما بيده من بلاد الشام (٦) ، وعاد سيف الدين غازي إلى الموصل ونور الدين محمود إلى حلب (٧) .

لم يترك سيف الدين غازي ولداً يخلفه في الحكم ، فلما توفي سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) ، اتفق كبار رجال دولته على تولية أخيه قطب الدين (٨) هودود ، لما عرف عنه من كرم الأخلاق ، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة ، كما أظهروا لهم أن يحكم بالعدل ، وتسلم جميع ما كان بيد سيف الدين من البلاد (٩) .

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١١١

(٢) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٢ هـ

أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٩

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٥

(٤) Runciman: A History of the Crusades vol.2 p.241

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٨

(٦) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢٢

(٧) Zaqeldien Bourg; Les Croisades. p.338.

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٨

ابن واصل : منبرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٧

(٩) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

(م ٣ - بلاد الجزيرة)

أوصى قطب الدين مودود قبل وفاته سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) بالملك بعده لابنه عماد الدين زنكى - وهو أكبر أولاده (١) - ثم عدل عنه إلى ابنه الآخر سيف الدين غازى ، والذي عاونه النائب فخر الدين فى تولية الملك بعد وفاة أبيه وأحضر الأمراء والأجناد واستحلفهم له ، ذلك أنه كان ييغض عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكى ، لأنه كان طوع إرادة عنه نور الدين محمود بن زنكى الذى اعترض على بقاء هذا النائب فى الموصل (٢).

اعترض عماد الدين زنكى بن مودود على تحويل الملك منه إلى أخيه وطلب من عمه نور الدين (٣) محمود بن زنكى أن يعاونه فى تمكينه من حكم الموصل (٤) ، فاستجاب له (٥) واضطر صاحبها سيف الدين بن قطب الدين مودود بن زنكى إلى الاستنجد بشمس الدين أيلدكر - صاحب همدان والجيل وإذربيجان وأصفهان والرى - فأنفذ رسولا إلى نور الدين محمود يحذره من المسير إلى الموصل (٦) فاستاء نور الدين من هذه الرسالة ، وقال للرسول قل لصاحبك : أنا أصلح لأولاد أخى منك (٧).

ولما تمكن من الاستيلاء على الموصل ، أبى سيف الدين غازى بن مودود

(١) ابن البرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٤

(٢) Runciman; A History of the Crusades, vol.2 p. 390

(٣) ابن قاضى شهنه : السكرا كى الدرية فى السيرة النورية ورقة ١٤٨

(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٥١

(٥) نفس المصدر.

(٦) كذلك قال نور الدين محمود للرسول قل لصاحبك . « ولم تدخل نفسك بيننا ، وعند الفراغ من إصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همدان فانك قد ملكك هذه المملكة التنظيمية ، وأملت الثغور ، حتى غلب السكرج عليها ، وقد بايت أنا ولى مثل ربيع بلادك بالفرنج - وهم أشجع العالم - ولا يحل لى السكوت عنك ، فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أملت وإزالة الظلم عن المسلمين ».

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٩٢

أتابكها عليها (١) ، وجمد إلى أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بحكم سنجار وأضاف إليه الرقة ونصيبين والخابور (٢) .

لم يعهد سيف الدين غازي بن مودود بأتابكية الموصل من بعده لابنه الأكبر معز الدين سنجر شاه ، لأنه كان حدثاً لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، في الوقت الذي قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام ، وخشى أن تمتد أطماعه إلى الموصل ، فمهد إلى أخيه عز الدين مسعود ، لما عرف بحسنه من حسن السياسة ، وولى ابنه بعض البلاد (٣) ، وأمرهما أن يكونا طوع وإرادة عهدهما عز الدين مسعود (٤) ، فلما توفي سيف الدين غازي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) ركب عز الدين مسعود إلى دار الأتابكية ، وتولى مقاليد الأمور في أتابكية الموصل (٥) .

على أن معز الدين سنجر شاه لم يعمل بوحشية أبيه ؛ بل أوقع بينه وبين جيرانه فحاصره صاحب الموصل ، وحنيق عليه الحصار ، واعتزم أخذ الجزيرة منه ، فلما عجز سنجر شاه عن الدفاع عن أتابكته ، سأل العفو والصفيح ، فأجاب طلبه وأنعم عليه ، وأمنه ، وأقره على بلده ثم عاد إلى الموصل (٦) .

بجلى أن معز الدين سنجر شاه ما لبث أن عاد سيرته الأولى ، وأساء إلى عمه ، وعلى الرغم من ذلك فقد تغاضى أتابك الموصل عن أخطائه (٧) .

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ٢١٦ .

(٢) الباقى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٤٠٧ .

(٣) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماة ص ٣٧٧ .

(٤) ابن اللبائذ الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٩ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٧ هـ .

(٧) قال عز الدين مسعود : « ما يستغنى بن أخذ بلده ، والحجر عليه ، إلا الخوف من »

أهل الملوك ، لأنى فقلت ذلك شرها على ما بيده ، وإلا كنت فطنت منه ما يستحقه . »

(ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٧)

ولما أحس عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ، بدنوا أجله ، أوصى بأتابكية الموصل من بعده لمولده نور الدين أرسلان شاه ، فاعترض أخوه شرف الدين على ذلك ، وطلب منه أن يوليئه أتابكية الموصل ، وأعد جنداً لتحقيق هذه الغاية (١) .

ولكن مجاهد الدين قيعاز — نائب الموصل — لم يمكنه من تحقيق غرضه ، فأسرع في أخذ البيعة لنور الدين أرسلان شاه . وكان لذلك أثر سيء في جند شرف الدين ، فانفضوا من حوله . ولم يمض غير قليل حتى توفي عز الدين مسعود ، واستقر نور الدين في الحكم (٢) .

عهد نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود بالحكم من بعده إلى ابنه عز الدين مسعود الثاني (٣) ، وأخذ له البيعة من الجنود وكبار رجال الأتابكية (٤) ، وأقطع ولده الأصغر عماد الدين زنكي بعض القلاع ، وأسند إلى بدر الدين لؤلؤ تدير مقاليد الأمور (٥) في أتابكية الموصل .

ولما توفي الملك القاهر عز الدين مسعود سنة ٦١٥هـ (١٢١٨ م) عمل بدر الدين لؤلؤ على تولية ابن هذا الأتابك مكان (٦) أبيه ، وأقام له الخطبة ونقش اسمه على السكة ، وأرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، يطلب التقليد له (٧) ، كما بعث إلى أمراء البلاد المجاورة يطلب منهم تجديد العهد للأتابك الجديد الذي توصلت سلطاته بعد أن وصل إليه تقليد من الخليفة العباسي .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٩٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٨هـ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٣٥ .

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٥ .

لم يرض عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه الأول عن تولية ابن أخيه أتابكية الموصل ، ووصل على الاستقلال ببعض القلاع التي أقطعت ، إلى بؤدار القتال بينهما . واستعان عماد الدين زنكي بمظفر الدين كوكبوري بن زين الدين — صاحب أربل — لمحاول بدر الدين لؤلؤ أن يثنيه عن اعزازه (١) . غير أن مظفر الدين أصر على الوقوف إلى جانب عماد الدين زنكي ، الذي مال بث أن أوقع الهزيمة بجند الموصل ، وأرغمهم على الارتداد على أعقابهم منزعين (٢) .

كان لهذا الانتصار الذي أحرزه عماد الدين زنكي أثر بالغ في نفسه ، فأرسل إلى سكان قلاع الحسكارية والزوزان ، يطلب منهم الدخول في طاعته (٣) ، فأجابوا طلبه ، وعين ولاية من قبله (٤) .

لمس رأى بدر الدين لؤلؤ خروج قلاع الحسكارية والهادية والزوزان من يده وانفراق مظفر الدين ، وعماد الدين عليه ، وسعيهما إلى الاستيلاء على بلاده ، وتعرضهما لأطرافها بالنهب والأذى ، أرسل إلى الملك الأشرف موسى بن العادل — صاحب ديار الجزيرة وخراسان — يطلب منه العون والتأييد ، فوافق الأشرف على مساعدته في استعادة البلاد التي أخذت منه (٥) .

أرسل الملك الأشرف إلى مظفر الدين كوكبوري ، يحذره من مخبة تأييده لعماد الدين زنكي ، ويطلب منه إعادة ما أخذ من قلاع الموصل ، وقال : « لنجعل شغلنا جمع المساكر ، وقصد الديار المصرية ، وإجلاء

(١) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٩

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥ - ٤٠٦

(٤) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥

الفرنج عنها قبل أن يعظم خطبهم ويستطير شرهم ، (١) .
 لم يستجب مظفر الدين كوكبوري لتحذير الملك الأشرف له ، وانضم
 إليه ناصر الدين محمود - صاحب حصن كيفا وأمد - وكذلك صاحب
 ماردين ، فأرسل الأشرف جيشاً إلى نصيبين لمعاونة بدر الدين لؤلؤ (٢) ،
 أما عن موقف عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه الأول ، فإنه أرسل
 فرقاً من جنده للإغارة على أعمال الموصل ، غير أن بدر الدين لؤلؤ
 أوقع به هزيمة ساحقة (٣) ، واضطره إلى الفرار هو وجنده إلى إربل ،
 وجاءت الرسل من قبل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، والملك الأشرف
 موسى بن العادل الأيوبي ، واستطاعت عقد صلح بين بدر الدين لؤلؤ
 وعماد الدين زنكي (٤) .

كذلك اعترض عماد الدين زنكي على تولية ناصر الدين محمود أتابكية
 الموصل ، وعاد إلى التردد والعصيان ، وأغاثه على ذلك مظفر الدين كوكبوري
 - أتابك إربل - وأغار جندهما على أطراف (٥) الموصل ، فاستعان
 بدر الدين لؤلؤ بجند الملك الأشرف بن العادل الأيوبي المرابطين في نصيبين ،
 ودار قتال بين الفريقين ، انتهت بعقد صلح بينهما ، تضمن أن يحتفظ كل
 منهما بما تحت يده من البلاد (٦) . غير أن هذا الصلح لم يستمر طويلاً ، فعاد
 النزاع بين بدر الدين لؤلؤ ، وعماد الدين زنكي سيرته الأولى ، مما اضطر

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ
 أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١
 (٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٤
 (٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨
 (٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٠
 (٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨
 (٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

بدر الدين إلى الاستنجاد بالملك الأشرف بن العادل الأيوبي الذي كان وقتذاك بحلب ، فقدم إليه (١) .

أما مظفر الدين كوكبوري فإنه استطاع أن يضم إليه أمراء الجزيرة في صراعه ضد صاحب الموصل ، وحليفه الملك الأشرف بن العادل ، كما استمال بعض أمراء الملك الأشرف بن العادل الأيوبي . وقد أثار هؤلاء جميعاً على قرى وأعمال الموصل ، غير أن بدر الدين لؤلؤ سرعان ما تمكن من صد هجماتهم (٢) .

لما قدم الملك الأشرف بن العادل الأيوبي الموصل بعد أن استولى على سنجار وفد إليه رسل الخليفة ، ومظفر الدين ، وعقدين الفريقين صلح ، استرد بمقتضاه بدر الدين لؤلؤ بعض القلاع . ولم يمض غير قليل حتى انتهت فتنة عماد الدين زنكي ، واسترد بدر الدين جميع القلاع التي كانت في حوزته (٣) .

لم يستمر سكان قلعة العمادية على ولائهم لبدر الدين لؤلؤ بل خرجوا عليه بزعامه أولاد خواجة ، وأرسلوا إلى عماد الدين زنكي يطلبون منه القدوم إليهم ، ومنعوا أصحاب بدر الدين لؤلؤ من البقاء بينهم ، بل تحصنوا في القلعة ، فحاصروهم جنود بدر الدين ، وقطعوا الميرة عنهم ، فاضطروا إلى التسليم ، ثم عفا بدر الدين عن مثيري الفتنة (٤) .

كذلك حدث في سنجار نزاع بين أفراد البيت الأتابكي حول الحكم ، مما عرض هذه الأتابكية لاضطرابات داخلية ، فلم يكف يتولى شاهنشاه

(١) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٧٢

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٠ هـ

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٢ هـ

ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٤ .

ابن قطب الدين محمد الحكم في سنجار حتى نازعه أخوه عمر ، ثم عمل على التخلص منه ، وخلفه ، غير أنه ما لبث أن اضطر إلى تسليم سنجار إلى الملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبي (١) ، وأخذ الرقة عوضاً عنها (٢) ، لكنه لم يستمر طويلاً في حكمها فقد انتزعها منه الأيوبيون ، وتوفي بعد قليل (٣) .

ولم يكن في أتاكيتة لإربل نظام ثابت لتولى الحكم ، فلما توفي زين الدين على كجك - أتابك لإربل - سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) خلفه ابنه مظفر الدين أبو سعيد ، لكن نائبه مجاهد الدين قياز عزله ، وولى مكانه أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف (٤) ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) فطلب أخوه مظفر الدين من صلاح الدين الأيوبي إعادته إلى لإربل ، فأقره عليها مقابل نزوله له عن حران والرها ، وأضاف إليه شهرزور وأعمالها (٥) .

لم يرخص أهل لإربل عن تولية مظفر الدين عليهم ، فسكتبوا مجاهد الدين قياز ، يطلبون منه القدوم إلى بلادهم وتسلمها ، لكنه خشي من صلاح الدين وبذلك أتيح لمظفر الدين أن يوطد سلطته في لإربل (٦) . على أن هذه المدينة لم تبلغ أوجها إلا في عهد هذا الأخير ، فزاد في رقعتها بأن ضم إليها إقليم شهرزور بما فيه كركوك (٧) .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦١ هـ

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٦٠٩

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١ .

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٦ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٣

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٦ هـ .

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥ .

(٧) Encyc. of Islam; Art Irbil. (٧)

لم يكن لمظفر الدين وارث يخلفه في الحكم ، فأوصى بإمارته من بعده إلى الخليفة العباسي المستنصر (١) ، فلما توفي سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣١ م) ، آلت السيادة عليها إلى هذا الخليفة ، فولى عليها أبا المعالي محمد بن نصر ابن صلايا (٢) .

كذلك حدثت خلافات في أتابكية حصن كيفا حول ولاية الحكم ، ففي سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يتمكن عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان من تقلد الإمارة ، على الرغم من أنه كان مرشحاً لها بعد أخيه نور الدين محمد - صاحب حصن كيفا - ذلك أن قطب الدين سقمان - أكبر أبناء هذا الأمير (٣) ، انتهر فرصة غياب عمه عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وأعلن نفسه أميراً على حصن كيفا ، فاستاء من ذلك عماد الدين ، وعول على المسير إلى حصن كيفا للاستحواذ عليه من ابن أخيه (٤) ، غير أنه لم يتمكن من تحقيق غايته ، فاستولى على خرتبرت ، وولى حكمها (٥) .

لم يعهد قطب الدين سقمان - صاحب حصن كيفا - لأخيه محمود من بعده ، على الرغم من أحقيته في الإمارة إذ كان شديد الكراهية والبغض له ، كما لم يعهد لأحد من أفراد أسرته ، بل عهد إلى أحد مماليكه ، ويدعى إيانس ، وزوجه أخته ، فلما توفي خلفه إيانس ، غير أن أهل حصن كيفا لم يرضوا بانتقال الحكم من بني أرتق إلى أحد المماليك ، وأنفوا من ذلك ، والتفوا حول محمود أخو قطب الدين ، وتادروا به أميراً عليهم ، فسار إلى آمد على رأس جمع كبير من أنصاره ، ولما عجز إيانس عن صدمه ، اضطر

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ .

إلى تسليم البلدة لهم ، فاستولى عليها محمود ، كما استولى على حصن كيفا سنة ٦١٩ هـ (١) (١٢٢٢ م) . وبذلك آلت إليه الأتابكية التي كان يليها أبوه .

كذلك تعرضت أتابكيات الموصل والجزيرة لفتن داخلية أضعفت من شأنها ، فعلى الرغم من أن عماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل - كان يظهر طوالة والطاعة للسلطان السلجوقي ألب أرسلان (٢) ، ويكتب الرسائل باسمه ، ويقوم الخطبة له ، وينقش اسمه على السكة ، ويعتزم أن يخاطب له بالسلطنة في الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان مسعود ، إلا أن ألب أرسلان لم يكن وقياً لأتابكته (٣) ، فوجه اهتمامه إلى استعادة نفوذه في الموصل ، منتهزاً فرصة غياب عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، وحرصه على قتل نصير الدين جقر - نائب أتابك الموصل - فوافقهم على ذلك (٤) .

استاء أنصار نصير الدين جقر من مؤامرة ألب أرسلان ، فقاتلوا رجاله قتالاً شديداً (٥) ، وفي نفس الوقت عمل القاضي تاج الدين يحيى بن الشهرزوري على تهدئة الفتنة (٦) ، فهدد السلطان السلجوقي بأن أقنعه بالصعود إلى قلعة الموصل حتى يملكها (٧) . وبذلك يتيسر له الاستيلاء على الموصل (٨) ،

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٥-٣١٦

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧١

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٤) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusaders P.288.

(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٤

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٧) قال له : « إنك أن قتله ، ملكك للموصل وغيرها ، ويميز أتابك أن يتم بين

يديك ، ولا يجتمع معه فارسان عليك » (ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث

سنة ٥٣٩ هـ) .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٦

ولما تقدم ألب أرسلان إلى قلعة الموصل ، حاصره أصحاب نصير الدين ، وأوقعوا الهزيمة بجنده وأنصاره ، فأدى ذلك إلى إخماد هذه الفتنة (١) .

تعرضت الموصل لفتنة أخرى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) ، فقد تسلل بعض الخدم إلى مخيم عماد الدين زنكي بن آقسنقر أثناء حصاره قلعة حمير وذلك بتحريض من خصومه ، ثم وثبوا عليه ، وطعنوه طعنة أدت إلى وفاته . مما توتب عليه حدوث بعض الاضطرابات ، غير أن بعض وزرائه تمكنوا من إخمادها (٢) .

كذلك تأمر بعض أبناء سنجر شاه — أتابك الجزيرة عليه ، بسبب ما عرّف عنه من سوء السيرة ، وعدم إقراره العدل بين رعاياه (٣) ، وانتهى الأمر بقتله ، وتولية ابنه محمود الحكم (٤) .

(١) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٢) Archer : The Crusades p. 203

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٥ هـ

(٤) ابن واصل ومفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١١٧

٣ - انحلال دول أتابكة الموصل

والجزيرة وزوالها

تعرضت بلاد الموصل والجزيرة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري للغزو المغولي ، مما أدى إلى ضعفها وانهارها ، ففي الموصل اضطرب صاحبها بدر الدين لؤلؤ إلى إظهار ولائه لهولاكو ، وإرسال الأموال إليه ، واشترك معه في بعض غزواته (١) . ولما توفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) ، خلفه ابنه الملك الصالح بعهد من هولاكو (٢) ، غير أنه لم يلبث أن رحل عن الموصل بسبب تدخل المغول في إمارته ، ولجأ إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس في مصر ، فأكرم وفادته ، وعين له راتباً شهرياً (٣) .

ثم أعاده إلى الموصل على رأس ألف فارس فدخلها قبل قدوم المغول إليها (٤) ، وأغلق أبوابها ، وكان بها جيش كبير من الأكراد والتركمان ، فوزع عليهم الرواتب الوفيرة ، وحشهم على القتال .

ولما بلغ المغول الموصل ، نازلوا أهلها وأقاموا المتاريس ، ونهبوا المجانيق ، وبأهب أهلها لقتالهم (٥) . فاضطر هولاكو إلى إرسال جيش آخر لاختصاصهم واعترض جيش المغول قوات الظاهر بيبرس التي قصدت الموصل لنجدتها عند سنجار (٦) ، ودارت بين القوات المغولية والقوات المملوكية معركة ، قتل

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول من ٣٥١

(٢) Howarth: History of the Mongols, vol.4, p. 181

(٣) قطب الدين البلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٦ من ٤٩٢

(٤) نفس المصدر ج ٢ من ١٥٦

(٥) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع الغوارب - المجلد الثاني تاريخ المغول

(٦) Howarth: History of the Mongols, vol.4, p.181

فيها كثير من جند السلطان يبرس ، ولم ينبج منهم إلا من استطاع الفرار من هذه المعركة (١) .

أدى حصار المغول للموصل الذي استمر ستة أشهر إلى اضطراب كثير من أهلها إلى الرحيل إلى الصحراء ، فساروا طعمة لسيوف المغول ، ولما اشتد بهم الكرب ، أرسل الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل — إلى سند ياغو — قائد المغول يطلب الأمان ويقول : « إني نادم على ما فعلت ، وسأخرج إليك لآتلافي ما فات ، ولكن بشرطين ، أحدهما : ألا تأخذني بأخطائي السابقة ، وثانيهما : أن تبعثني إلى هولاكو خان وتشفع لي عنده حتى لا يهدر دمي ، فأمنه القائد المغولي ، وخرج إليه يحمل الهدايا والأموال ، ولم يسمح للصالح بالمثل أمام هولاكو ، وأمر بعض الجنود بقتله (٢) .

دخل المغول الموصل في رمضان سنة ٦٦٠ هـ ، ونكلوا بسكانها ، وأسروا بعض أرباب الحرف والصناعات ، بحيث لم يبق في هذه المدينة أحد (٣) . وهكذا زالت أتابكية الموصل .

كذلك استولى المغول على سنجان أثناء حصارهم الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، وكان الملك الأشرف بن العادل الأيوبي قد أخذ سنجان من أتابكها محمود بن محمد بن زنكي الثاني سنة ٦٦٧ هـ (١٢٢٠ م) ،

(١) قطب الدين البلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٦

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمزاني : جامع التواريخ المجلد الثاني ج ١ ص ٣٢٨

(٣) قطب الدين البلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٩

(٤) هاجم محمود بن محمد بن زنكي قرى الموصل بتهريض من عمارة الدين أحمد بن علي المشطوب الذي خرج على الملك الأيوبي الأشرف موسى بن الملك العادل ، فخرج بدر الدين لؤلؤ من الموصل وهاجم ابن المشطوب بئل أعفر واستولى عليه ، وقبض على ابن المشطوب ، وأبلغ الأشرف بذلك فمظمت مكانة صاحب الموصل عنده ، ولما طلب منه مساعدته على الوقوف ضد هجمات صاحب سنجان ، أجاب طلبه ، وسار بجيشه عبر الفرات إلى حران

وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — سنة ٦٣٨ هـ (١٢٣٩ م) ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) خلفه ابنه علاء الدين الذي استمر على أمرها حتى دخلت في حوزة المغول (١) .

وكان بدر الدين لؤلؤ قد انتزع جزيرة ابن عمر من أتابكها مسعود ابن محمود سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) (٢) ، وظل يحكمها حتى وفاته ، خلفه في ولايتها ابنه المجاهد إسحق ، وأبقاه هولاكو حتى سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) حيث انتزعها منه (٣) .

ولم تكن إربل أحسن حالا من دول أتابكة الموصل والجزيرة ، فقد تعرضت لغزو المغول ، وأوصى صاحبها مظفر الدين كوكبوري ، بأن تقول إربل من بعده إلى الخليفة العباسي ، إذ لم يكن له وارث يرثه في الحكم ، فلما توفي سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) ، أرسل الخليفة المستنصر بالله العباسي ، الشريف تاج الدين بن صلاحيا (٤) إلى إربل ، فدخلها بعد أن قاومه أهلها مقاومة عنيفة ، وظل أهلها غير راضين عن حكم العباسيين لهم حتى هدهما المغول بغاراتهم (٥) سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) ، ثم انسحبوا مقابل جزيرة كبيرة .

== فاستولى عليها ، ثم قصد سنجار ، وبينما هو في طريقه إليها ، لقينه رجل صاحبها ، يمرض على الأشرف تقيته سنجار ، في مقابل تمويضه الرقة ، فأجاب الأشرف طلبه ، وفارق محمود بن محمد بن زنكي سنجار سنة ٦١٧ هـ .
(ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ) .

- (١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠٦
- (٢) حدث نزاع بين مسعود بن محمود — أتابك الجزيرة وبدر الدين لؤلؤ ، فغول على الانتقام منه ، وأرسل جيشاً استولى على بلاد سنة ٦٤٨ هـ .
- (٣) محمد علي عوض : تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص ١٦٤ .
- (٤) أبو الفدا . المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١
- (٥) نفس المصدر ج ٣ ص ١٦١
- (٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ج ٨ ص ٤٨٠

ولما اعتزم هولاكو الاستيلاء على بغداد ، عول على أخذ إربل في نفس الوقت ، وعهد إلى أحد قواده بفتحها ، وكان لهذه المدينة قلعة عظيمة مشيدة على مرتفع يجعل فتحها أمراً عسيراً (١) ، فظلت حاميتها تقاوم قوات المغول حتى عجز القائد المغولي عن المضى في القتال ، وأرسل إلى بدر الدين — صاحب الموصل — يطلب مساعدته (٢) ، فأشار عليه بدر الدين لؤلؤ بأن يرجع الاستيلاء على القلعة حتى الصيف ، حيث يلجأ الأكراد إلى الجبال هرباً من حرارة الجو ، ثم عهد القائد المغولي إلى بدر الدين لؤلؤ بمهمة الاستيلاء على القلعة (٣) ، فهدم أسوارها . وبذلك سقطت القلعة في أيدي المغول (٤) .

كذلك هاجم المغول ماردين سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، فاعتصم الملك السعيد بقلعتها ، ودافع جند الأكراد والتركمان عنها دفاعاً مجيداً واستمرت الحرب على أشدها أكثر من ثمانية أشهر — ولما تعذر على المغول الاستيلاء على القلعة أغاروا على مدن ماردين القريبة منها (٥) .

أرسل مظفر الدين — بعد أن خلف أباه في إمارة ماردين — إلى القائد المغولي يطلب منه وقف القتال على أن يسلم إليه قلعتها ، فأجاب طلبه ، وعقد بينهما الصلح ، ثم عفا عنه هولاكو ، وظل مظفر الدين وأبناؤه مواليين للمغول (٦) . ومن ثم أخذت أتابكية ماردين في الضعف والانحلال .

(١) قطب الدين البلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١

(٢) قطب الدين البلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٩١

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ — المجلد الثاني ج ١

ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

(٤) Howth; History of the Mongols vol.4, pp. 133 — 134

Ibid: vol. 4p. 161. (٥)

(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ المجلد الثاني ج ١ ص ٣٢٥

كذلك استولى المغول على ميفارقين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب يطمع في امتلاكها (١). في عهد ولاية أميرها حسام الدين بن قطب الدين الشيرازي، غير أن وزيرها تصدى للدفاع عنها، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على محاصرتها، ثم أرسل إلى أميرها وإلى والدته الخاتون يرغبهما في الصلح فاستجاب لدعوته (٢). وبذلك تيسر لصلاح الدين الأيوبي مد نفوذه إلى ميفارقين (٣). وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها المغول (٤).

أما أتابكية خرتبرت فلم تتعرض للغزو المغولي، فقد استولى عليها علاء الدين كيقياد — سلطان دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى — ذلك أن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، سار قاصداً دولة سلاجقة الروم، فاشتبك معه سلطانها علاء الدين كيقياد في معركة انتهت بهزيمة الملك الكامل، واستولى الملك علاء الدين كيقياد على خرتبرت وما تبعها من القلاع سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)، لتأمين حدود دولته من مطامع بني أيوب، ثم أمن سلطان سلاجقة الروم نور الدين أرتقشاه آخر أتابكة خرتبرت (٥). وبذلك انتهى حكم بني أرتق في خرتبرت.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ .

(٢) محمد بن شاهنشاه : معجم الحقائق و سر الخلائق ص ٢٠٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٦ هـ .

(٤) محمد بن شاهنشاه : معجم الحقائق و سر الخلائق ص ٢١٨ — ٢١٩ .

(٥) العيني : عقد الجمان في أخبار الزمان ج ١٨ ص ١٥٨ .

الباب الثاني

موقف اتابكة الموصل والجزيرة

من حكام البلاد الإسلامية المجاورة

١ - الخلفاء العباسيون في بغداد

استعان العباسيون بالفرس لأنهم أقاموا دولتهم على أكتافهم ، وقد ر الخلفاء العباسيون الأوائل موقف الفرس منهم ، فكان أبو جعفر المنصور ية قول لأهل خراسان : أنتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا . كما أوصى ولى عهده بهم بقوله : « وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك ، بذلوا أموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لا يخرج محبتك من قلوبهم ، أن تحسن إليهم ، وتتجاوز عن مسيئتهم ، وتكافأهم على ما كان منهم . . . ، ولإزداد نفوذ الفرس في عهد الرشيد والمأمون (١) .

ولما ولى المعتصم الخلافة أساء الظن بالفرس لأنهم طموحون يعملون على تحقيق مطامع قومية ، فاستعان بالترك . وبعث في طلبهم من فرغانة وأشروسنه ، واتخذ من حسن هندامهم وجمال منظرهم وشجاعتهم ، وتمسكهم بتعاليم الإسلام سبباً للاعتماد عليهم ، فأصبح معظم جند الدولة العباسية منهم ، كما أستند إليهم المناصب العسكرية والمدنية الكبيرة في دولته ، وآثرهم على العرب والفرس في كل شيء . وبذلك قوى شأن الترك ، وازداد نفوذهم ، بينما ضعف شأن العرب والفرس (٢) .

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الاسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ص ١٣

Gibbon : The Hist. of the Decline and Fall of the Roman Empire
vol. iv. p. 47.

أدى ازدياد نفوذ العنصر التركي في الدولة العباسية واستثمارهم فيها بالنفوذ دون الخلفاء ، إلى حدوث كثير من القلاقل والاضطرابات في الدولة العباسية ، حقيقة أن الأتراك كانوا يحشون الخليفة المعتصم لقوة بأسه . فلما توفي ولى الزائقي (٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ) أخذوا يتدخلون في شؤون الدولة ، ولم يستطع الخليفة السيطرة عليهم .

ولما استخلف المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) عول على سلبهم السلطة والنفوذ ، فخلصوا منه ، وأصبحت الدولة العباسية مسرحاً للفوضى والاضطرابات بسبب ازدياد نفوذ الترك (١) .

لم يقف العرب والترك مكتوفي الأيدي ، إزاء ضعف نفوذهم ، واستثارت الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم ، بل عملوا على استرداد مكائهم ، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان الدولة العباسية ، فأقام الفرس في شرق الدولة للإسلامية دولة مستقلة عن الخلافة العباسية ، وهي الدولة الصفارية ، وبعد أن انهارت الدولة الصفارية ، أقام السامانيون الفرس دولة في خراسان ، وبلاد ما وراء النهر ، ومن العناصر الفارسية التي سيطرت على بعض أقاليم الدولة العباسية ، بتوبويه الذين حكموا العراق ، وفارس والري وهمدان وأصبهان ، وبلاد الجبل (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ) ، ومثلوا دوراً رئيسياً في السيادة الإسلامية .

ولم يكن الأتراك أعداء للعرب والفرس فقط ، بل كانوا في منازعات مستمرة مع بعضهم البعض ، وصاروا مصدر قلق واضطراب في الدولة العباسية ، وأصبحوا يتدخلون في تولية الخلفاء وعزلهم ، ويستبدون بأمور الدولة دونهم .

ولما نجح الأتراك في التآمر على الخليفة المتوكل وقتله ، وتولية

المختصر باق ٢٤٧ هـ ، شيطرونا على الخلافة سيطرة تامة ، حتى أن الخليفة خضع لإرادتهم ، ولما توفى بایسوا أحمد بن محمد بن المعتصم سنة ٢٤٨ هـ ولقبوه المستعين بالله ، واستبدوا بأمر الدولة دونه . ولما حاول هذا الخليفة الاستئثار بالسلطة ، واسترداد نفوذه خلعوه من الخلافة ، وبايعوا للمعز (١) .

لم تنعم الدولة العباسية بالهدوء والاستقرار بعد أن انقرض المعز بالخلافة ، بل اختل توازنها من جراء ازدياد نفوذ الأتراك ، والمنازعات التي قامت بينهم وأرغموا المعز على التنازل عن الخلافة سنة ٢٥٥ هـ . وبايعوا المهدي . ولكنهم كرهوا منه محاولته استرداد سلطاته ومباشرتها بنفسه ، فأعلنوا العصيان ، وشقوا عصا الطاعة ، ودارت حرب بين جند الخليفة ، وجند الترك ، انتهت بهزيمة الخليفة وخلعه سنة ٢٥٦ هـ ، وببيع على أثر ذلك أحمد بن المعتد ولقب المعتد على الله ، وخلفه المعتضد الذي عمل على استرداد نفوذ الخلافة وتقوية شأنها ، وإضعاف سلطة الأتراك ، واستقرت أمور الدولة في عهده .

رأى الأتراك أن الخلفاء الأقوياء خطر على نفوذهم ، لذلك عملوا على تنويع خلفاء ضعاف حتى ينفردوا بالسلطة ، ولا يتعرضوا لمحاولات الخلفاء لإضعافهم ، أو النيل من سلطانهم ، فلما توفى المكتفي ، ولوا المقتدر الخلافة . وكان غر أصميراً ، وانصرف عن أمور الدولة ، وفضل حياة اللهو والطرب ، وأهمل أحوال الخلافة كثيراً ، وحكم فيها النساء والخدم ، وأثناء احتياز رجال الدولة ، قطع أصحاب الأطراف والنواب ، وخرجوا عن طاعته (٢) .

(١) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) الآثار الباقية من القرون الخالية ص ١٣٢ .

ازداد ضعف الدولة العباسية منذ بداية القرن الرابع الهجري بسبب ازدياد نفوذ الأتراك ، واستئثارهم بالسلطة والنفوذ دون الخلفاء حتى أن سلطان الدولة العباسية لم يعد يتجاوز بغداد وضواحيها . وفي غضون ذلك ارتفع شأن بني بويه ، ودخل أحمد بن بويه بغداد في عهد الخليفة المستكفي سنة ٣٣٤ هـ ، حيث أكرم الخليفة وفادته ، ولقبه معز الدولة . ولم يلبث هذا الأمير البويهي أن استأثر بالنفوذ في الحاضرة العباسية دون الخليفة . وفي ذلك يقول البيروني : أن الدولة والملك قد انتقل من آل العباس إلى آل بويه .

وعلى الرغم من أن البويهيين استأثروا بالنفوذ السياسي دون الخلفاء العباسيين ، فإنهم كانوا ينظرون إليهم على اعتبار أنهم رؤساء المسلمين ، واحتفظ هؤلاء الخلفاء بسلطتهم الدينية (١) .

ظل البويهيون رغم تنازعهم على السلطة والنفوذ مسيطرين على شؤون بلاد فارس والعراق حتى ولى الملك الرحيم سنة ٤٤٠ هـ ، فنازعه الأمراء البويهيون السيادة والحكم ، كما استفحل خطر البساسيري في بلاد العراق ، وتقرب بنو بويه من الفاطميين ، وانضم عدد كبير من الجند الأتراك والديلم إلى دعوتهم ، فعمل السلاجقة الذين ازداد نفوذهم في الدولة الإسلامية ، وضموا إلى دولتهم الكثير من ممتلكات الدولة الغزنوية على السيطرة على العراق . ففي أوائل سنة ٤٤٨ هـ أظهر طغرل بك أنه يريد الحج ، وإصلاح طريق مكة المكرمة ، والمسير إلى الشام ومصر ، والقضاء على دولة العلويين بها ، وأذن له الخليفة العباسي القائم بدخول بغداد ، فأزال عنها الحكم البويهي ، وانتقلت السيطرة على مقاليد أمور الخلافة العباسية من البويهيين الفرس ، إلى السلاجقة الترك (٢) .

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي

ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ص ٨٤

الحكومة عطاء، وكان يراعى في تقدير العطاء ثلاثة وجوه أحدها عدد من يعمل الفرد من الدراى والعبيد ، والثانى عدد ماعنته من الخيل والظفر . والثالث ظروف الموضع الذى يلزم به من العطاء والرخص^(١) .

وكان من شروط إثبات اسم الشخص فى الديوان ، أن يكون حراً فلا يثبت فى الديوان عبده تابع لسيده داخل فى عطاءه ، ولا يجوز إثبات الضبي فى الديوان ، بل يكون جارياً فى جملة عطاء الدراى . والثالث الإسلام ، ليدفع عن الدين باعتقاده. والرابع السلافة من الآفات المانعة من القتال ، والخامس أن يكون فيه إقدام على الحرب ، فإذا ضعفت همته عن الإقدام أو قلت معرفته به ، حذف اسمه من الديوان^(٢) .

وكان على أهل العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالأسلحة ، ويذهبوا للقتال حينما يؤمرون بذلك . وإذا لم يلبوا الدعوة للقتال ، فإن اسمهم يحذف من الديوان^(٣) .

وقد حدد عمر بن الخطاب العطاء طبقاً للقراءة من الرسول ، فبدأ بضم الرسول ثم الاقرب فالأقرب ، ففرض للعباس وبدأ به ، وقال من قربت داره أحق بالزيادة ممن بعدت داره ، لأنهم كانوا درعاً للإسلام وهدفاً للعدو^(٤) .

فرض عمر بن الخطاب لأهل اليمن والعيس بالشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة . ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة . وقال : إن كثير المال لا فرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم ، ألفاً لسفره وألفاً لسلاحه وألفاً يتخلقه لأهله وألفاً لقرعته ونظله^(٥) .

ظل العطاء كما حدده عمر بن الخطاب حتى استقرت الخلافة لمعاوية ، فزاد فى

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩٣

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١٣ ص ١٠٨

(٣) الطبرى تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٧٣٣

(٤) المصدر السابق حوادث سنة ١٥ هـ

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤١٣ .

زنكى ما لبث أن أعرض عن الخليفة حين رفض تسليمه ديبس بن صدقه .
— صاحب الحلة (١) — وزادت العلاقات سوءاً بينهما حين توفي السلطان محمود سنة ٤٢٥ هـ (٢) (١١٣٠ م) ، وطلبت رسل السلطان السلجوقي من الخليفة العباسي إقامة الخطبة له في بغداد ، فرفض الخليفة وقال : إن الحكم في الخطبة للسلطان سنجر من أراد خطب له . فعزم السلطان مسعود على دخول بغداد ، وتولى السلطنة ، وطلب من عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — الوقوف إلى جانبه ، حتى ييسر له تحقيق غرضه ، فسارع إلى نصرته (٣) .

لما بلغ الأمير إبراهيم بن سقمان بن أرتق — صاحب حصن كيفا — أن عماد الدين زنكى سار إلى بغداد على رأس جيش كبير ، أنسكرك ذلك ، وزحف إليها فجدد للخليفة (٤) ، وانضم إليه في الحرب التي دارت بينه وبين السلطان السلجوقي وحليفه أتابك الموصل (٥) ، وانهت باحرازه .

(١) كان ديبس بن صدقه قد هاجم البصرة سنة (٥٢٣ هـ — ١١٢٨ م) ونهبها ، فسير إليه السلطان السلجوقي محمود جنداً للقبض عليه ، ففارق ديبس البصرة إلى بلاد الشام حيث قبض عليه تاج الملوك بورى بن طفتكين — صاحب دمشق — ولما بلغ عماد الدين زنكى ذلك أرسل إلى تاج الملوك يرض عليه إطلاق سراح ابنه بهاء الدين سونج ، في مقابل تسليمه ديبس بن صدقه ، فاستجاب صاحب دمشق لطلب زنكى ، وسله ديبس ، وأطلق سراح سونج .

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٥ :

Gibb: *The Damascus Chronicle of the Crusades*, p.261

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٩

المعنى : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٢ — ٤٧ :

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٥ — ٤٧ :

Lane Poole; *Saladin* p. 52.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٣٦ هـ (١١٣١ م) .

Setton : *A Hist. of the Crusades*, vol. I. P. 456.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٦ هـ .

النجم على أعدائه ٥٢٦ هـ (٩) (١١٣٦ م) ، وأسر الكثير منهم ، وفر عماد الدين زنكي إلى (٢) تكريت حيث يسر له - دزدارها (٣) - نجم الدين أيوب عبور نهر دجلة إلى الموصل (٤) ، وقد فت ذلك في عهد السلطان مسعود ، فكف عن القتال (٥) .

لم يقف العداء بين أتاك الموصل ، والخليفة العباسي عند هذا الحد ، بل اشتبك في قتال آخر (٦) ، ذلك أن السلطان سنجر - صاحب خراسان - سار على رأس جيش كبير - وبصحبة الملك ظفر بن السلطان محمد - إلى بغداد ، ليوليها السلطنة (٧) ، فأثار ذلك غضب الخليفة المسترشد ، وعقد الصلح مع السلطان مسعود ، وعهد إليه بالسلطنة ، ثم صحبه إلى خارج بغداد لمنع السلطان سنجر من دخولها (٨) ، فأرسل سنجر إلى عماد الدين زنكي يأمره بالمسير إلى بغداد ، ومعه ديس بن صدقه - صاحب الحلة - ليكونا عوناً له على الخليفة المسترشد (٩) ، واشتبك سنجر وصاحب الموصل في

- (١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٢ .
 (٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦ .
 (٣) دزداريه : كلمة فارسية مكونة من لفظين دز - أى قلعة ، ودار الحافظ فكان معناها صاحب القلعة ، أو متوليها .
 ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨ .
 (٤) قدر عماد الدين زنكي هذا الموقف لنجم الدين أيوب وأدخله مع أمرته منذ ذلك الوقت في خدمته .

- ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨ .
 (٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤ .
 (٦) ابن النديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١ .
 Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P. 194
 (٧) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ .
 العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦ .
 (٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ .
 (٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٦ .
 أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٨ .

معركة مع الخليفة المسترشد ، دارت فيها الدائرة على السلطان السلجوقي وحليفه في رجب سنة ٥٢٦ هـ (١) (١١٣١ م) . وقد وصف بعض أصحاب زنكي المعركة وصفاً يتجلى فيه ما كان يتمتع به الخليفة من هبة في نفوس أهل الموصل بقولهم : « اشتد القتال ، وظهرنا على عسكر الخليفة ، ولم يبق غير أن ينهزموا ، فرأينا خيمة سوداء قد نصبت عند المعركة ، وخرج المسترشد بالله منها راكباً بسواده ، ويده سيف منلول ، فتكلمهم قالوا : لما رأينا هذه دهشة ورعدة حتى كاد السلاح يسقط من أيدينا ، فكانت الهزيمة ، ولن نطق الثبات ، فانهزمنا ، ونحن لا نعقل (٢) » .

استقر رأى الخليفة المسترشد — بعد ما شاهده من عداء عماد الدين زنكي له — على مهاجمة بلاده (٣) ، فسار قاصداً الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣١ م) على رأس ثلاثين ألف مقاتل (٤) ، منتهزاً فرصة وقوع الخلاف بين الأمراء السلاجقة (٥) ، ولما اقترب منهما انصرف زنكي في بعض عسكره وترك أمر الدفاع عنها لنائبه ، لحاصرها الخليفة ، وأخذ يضيق عليها الحصار (٦) حتى اضطر عماد الدين زنكي إلى طلب وقف القتال ، لكن الخليفة أبى إجابة طلبه (٧) .

(١) ابن النديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١
Grousset: Histoire des Crusades vol. 2 p. 55.

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٦
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٣

(٣) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٤١

(٤) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٢

(٥) ابن النديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١

Setton : A History of the Crusades. vol.1 p. 432-

(٦) تاريخ العظيم ص ٤١٨

Setton : A History of the Crusades, vol.1 p. 432 (٧)

١ استمر حصار الخليفة للموصل ثلاثة أشهر متوالية (١) ، كان زنكى خلالها يرابط في سنجار ، ويعمل على قطع الميرة عن جند الخليفة (٢) ، ولما لم يظفر الخليفة بشيء أثناء ذلك الحصار ، وبلغه أن السلطان مسعود هاجم بغداد (٣) ، اضطر إلى رفع الحصار عن الموصل . وعاد إلى حاضرة دولته (٤) .

١ رأى عماد الدين زنكى أن يعدل عن موقفه العدائى من الخليفة العباسى ويعمل على تحسين علاقته به ، رغبة في اكتساب رضاه ، فبعث بابنه سيف الدين غازى إلى الخليفة العباسى فى بغداد للسعى فى إحلال الصفاء بينه وبين أبيه ، فاستقبله الخليفة ، ومعه قاضى القضاة فى موكب عظيم . ولما دخل سيف الدين غازى بن زنكى قصر الخلافة قبل الأرض ، وطلب من الخليفة العفر والصفح بقوله : « أنا وأبى عبيد هذه الدولة ، وما زالت العبيد تجيء والموالى تصفح ، ونحن بحكم الخدمة فى أى شيء . » فأعلن عفوهم عن زنكى (٥) ، وساد الوثام بينهما ، بل أن زنكى أظهر ولاءه للمسترشد ، وليس أدل على ذلك من أنه طمع فى ضم دمشق إلى حوزته بعد مقتل أتابكها تاج الملوك بورى بن طختكين — أرسل أهل هذه المدينة إلى الخليفة أموالا ، وطلبوا منه أن يعمل على صد زنكى عنهم ، فبعث إليه يأمره برفع الحصار عن دمشق ، فاستجاب له (٦) ، وسار إلى العراق . ولما طلب الخليفة من زنكى مساعدته فى محاربة السلطان مسعود سنة ٥٢٩ هـ (٧) (١١٣٤ م) ، قدم إليه وأنجده (٨) .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) Archer : The Crusades. p. 201 .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٤ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١ ص ٢ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٥ .

(٧) Gibb : The Damascus Ghronicle of the Grusades p.235 .

(٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١ ص ٤٣ .

استمرت العلاقات الودية ساعمة بين عماد الدين زنكى والخليفة الراشد ، فوقف إلى جانبه في النزاع الذى دار بينه وبين السلطان مسعود الذى حرص شحنة بغداد على مهاجمة دار الخلافة (١) ، فأمر الخليفة بحذف اسم السلطان مسعود من الخطبة ، وأرسل إلى زنكى يطلب منه معاوئته ، ويطمعه فى الملك (٢) ، فانضم زنكى إلى جانب الراشد ضد مسعود ، على حين انحاز بعض أمراء البلاد المجاورة إلى السلطان السلجوقى (٣) ، وخرج الخليفة الراشد من بغداد فى صحبة زنكى لمحاربة السلطان مسعود (٤) .

سار السلطان مسعود إلى العراق على رأس جيش كبير ، ولم يستطع الأمراء فى بغداد قتاله لما كان بينهم من خلاف وشقاق ، فحاصروهم السلطان مسعود أكثر من خمسين يوماً (٥) ، ثم دخل بغداد ، واضطر الراشد بالته إلى الرحيل إلى الموصل ملتجئاً إلى أتابكها (٦) عماد الدين زنكى ، ومعه وزيره ابن صدقه ، وجماعة من أصحابه ، وأعوانه ، فأكرم زنكى وفادة الخليفة فى الموصل (٧) ، بينما استقر السلطان مسعود ببغداد (٨) .

شرع السلطان مسعود بعد دخوله بغداد فى حذف اسم الخليفة من الخطبة تمهيداً لخلعه ومبايعة غيره ، فلقى عمله موافقة من الأمراء وكبار

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٠ هـ
 - (٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٥٨
 - (٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٥٥
 - (٤) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
 - (٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٥٥
 - (٦) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٥
 - (٧) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
 - (٨) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القدم الأول ج ١٢ ورقة ٨١
 - (٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٣
 - أبو الفداء : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١

الدولة (١) . ثم أحضر السلطان القضاة والفقهاء ، وأثبتوا محضراً تضمن اتهام الخليفة بالظلم ، وأخذ الأموال ، وسفك الدماء (٢) ، كما عرض السلطان عليهم اليمين الذي حلف به الراشد له ، وفيها بخط يده : « أنى متى جندت ، أو خرجت ، أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان مسعود بالسيف ، فقد خلعت نفسى من الأمر » ، فأفتوا بخلعه وصارت الخطبة لا تقام باسمه في بغداد ، وسائر البلاد (٣) .

استقر رأى السلطان مسعود على تولية أبى عبد الله بن المستظهر بالله الخلافة ، ولقبه المقتفى لأمر الله (٤) ، فأرسل الخليفة الجديد رسولا إلى زنكى فى الموصل ، يحمل إليه الكتاب الذى تضمن خلع الراشد ، وفيه شهادة الشهود والقضاة ، وقرأه عليه فبايعه ، وأقام الخطبة له فى الموصل (٥) .

كما كتب السلطان مسعود إلى زنكى يطلب منه تسليم الراشد إليه ، وإرساله إلى بغداد ، فامتنع عن إجابة طلبه (٦) ، ولم يلبث الخليفة المخلوع أن رحل عن الموصل إلى أذربيجان (٧) ، ومنها إلى همدان ، ثم قُتِلَ أصفهان (٨) حيث هجم عليه بعض الإسماعيلية وقتلوه (٩) سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ
 - (٢) الخزرجمى : أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس ورقة ١٥٩
 - (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٤ .
 - (٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢
 - (٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٦٧
 - (٦) الخزرجمى : أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس ورقة ١٥٩
 - (٧) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
 - (٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٠
 - (٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٠
- Setton : A History of the Crusades vol. 1. p: 458.

حضر موت^(١) . ولما قضى عبد الملك بن مروان على سرقة ابن الزبير واقتتبت بمقتله في مكة في جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ^(٢) ، أخذ الحجاج بن يوسف الثقفي البيعة من أهل مكة لعبد الملك وأسندت إليه مقاليد ولاية الحجاز بالإضافة إلى اليمن واليمامة^(٣) .

واستعمل الحجاج على صنعاء ومخاليضها أخاه محمد بن يوسف ، وعلى الجند واقد بن سليم الثقفي ، وجعل حضر موت المحكم بن حنبل الثقفي^(٤) . وكان اليمن مغلفين فقط ، الجند وما إليها ، وصنعاء وما إليها ، وتوالى على اليمن الولاة من بنى ثقف ، من بينهم يوسف بن عمر الثقفي ، ولاء سليمان بن عبد الملك اليمن ، فلم يزل والياً عليها حتى عهد إليه هشام بن عبد الملك بحكم العراق بدلاً من اليمن . وكان آخر ولاية اليمن الثقفيين في العهد الأموي ، القاسم بن عمر الثقفي في عهد مروان بن محمد^(٥) آخر خلفاء بني أمية ، وقد قاسى اليمنيون من الولاة الثقفيين الكثير من الشدائد فاعمل هؤلاء الولاة ، الأهلين معاملة تنطوي على الجور والظلم وتطالع اليمنيون إلى الخلاص من الحكم الأموي وولاته الجبابرة العتاة . لذلك أصبحت اليمن أرضاً خصبة للحركات المناهضة للحكم الأموي - كما سنرى .

(١) الخزرجي : المسجد المسبوك ورقة ٢٠

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٧٣ هـ

(٣) الخزرجي : المسجد المسبوك ورقة ٢٠

(٤) يحيى ابن الحسين : غاية الأمانى ص ١٢٣

(٥) المرتضى : بلوغ المرام ص ٨

— أتابك الموصل — نائبه زين الدين علي كجك للقبض عليه ، فهاجمه في شهر زور ، وعاد به إلى الموصل (١) ، حيث قبض عليه ، على الرغم من أن الخطبة كانت تقام له في بغداد (٢) .

لم ينته العداء بين الخليفة العباسي المقتني ، وقطب الدين مودود عند هذا الحد ، بل توترت العلاقات بينهما في سنة ٦٥٢ هـ (١١٥٧ م) ، حين سار الملك محمد بن السلطان محمود إلى بغداد وحاصرها (٣) ، وبعث إلى صاحب الموصل يطلب منه النجدة ، فأجاب طلبه ، وأرسل جيشاً كبيراً إلى بغداد بقيادة زين الدين علي كجك . على أن الخليفة ما لبث أن استمال زين الدين إلى جانبه ، فكف عن القتال ، وعاد إلى الموصل (٤) ، فأدى ذلك إلى إضعاف شأن الملك السلجوقي الذي عاد إلى همدان دون أن يحقق غرضه من محاربة الخليفة (٥) .

تحسنت العلاقة بعد ذلك بين زين الدين علي كجك ، والخلافة العباسية ، ففي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) سار زين الدين — نائب أتابك الموصل — إلى بغداد ، وطلب من الخليفة المستنجد العفو والصفح ، فعفا عنه ، وخلع عليه ، ومنحه بعض الهدايا (٦) .

على أن العلاقات بين الخلافة العباسية ، ودول أتابكة الموصل والجزيرة ما لبثت أن تطورت منذ ذلك الوقت ، فعمل الخلفاء على حماية هذه الدول .

(١) ابن التلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٧

الحسيني : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٤٢

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٠٨

(٣) الحسيني : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٣٤

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ص ١٣٢

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٦٩

ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٤

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٥ ، ١١٩

عن أظلام بن أيوب ، فلما اعتزم صلاح الدين الأيوبي المسير إلى الموصل سنة ٥٧٠ هـ (١١٨٣ م) ، أرسل الخليفة الناصر رسولا للصلح بينه وبين أتابكها عز الدين مسعود (١) ، وكذلك كانت الحال حين حاصر العادل ابن أيوب سنجار سنة ٦٠٦ هـ ، أنفذ الخليفة العباسي الناصر رسولا إليه يطلب منه الكف عن محاصرتها ، ومصالحة أتابكها (٢) .

ولما هاجم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل إربل ، استنجد صاحبها مظفر الدين كوكبوري بالخليفة العباسي ، بل سار إلى بغداد ليعلم عولاه له ، وأعطاه مقاتلي إربل وقلاعها في موكب حضره أرباب الدولة كما قدم إليه التحف والهدايا ، فخلع عليه الخليفة خلع السلطنة ، ثم عاد صاحب إربل إلى أتابكته ، وقطع الخطبة لبني أيوب ، وصارت تقام باسم الخليفة وحده (٣) .

على أن بعض الخلفاء العباسيين انتهزوا فرصة ضعف دول الأتابكة وعملوا على ضم أجزاء من بلادهم إلى حوزتهم ، فلما قبض عز الدين مسعود على أتابك الموصل — على وزيره مجاهد الدين قنماز ، وعجز عن ضبط أمور دولته ، أرسل الخليفة الناصر لدين الله جيشاً استولى على دقونا (٤) . كما أن الخليفة المستنصر أرسل جيشاً استولى على إربل بعد أن توفي صاحبها مظفر الدين كوكبوري سنة ٦٣٠ هـ ، دون أن يسكون له وريث ، وكان قد طمع فيها بنو أيوب (٥) .

(١) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٨٠

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٤٤١

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٦ هـ .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٦٨

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٩ هـ .

(٥) أبو الفداء : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦١

السلاجقة

يرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين كانوا يقيمون في الصحراء الواسعة الشاسعة ، التي تمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر قزوين ، وكثرت هجراتهم إلى شواطئ جيحون ، خصوصاً في وقت انهيار الدولة السامانية حيث المراعى الوفيرة .

يكتشف أصل السلاجقة الغموض ، ويبدو أن سلجوق — جد هؤلاء القوم — ابن قائد جيش يدعى دقاق ليغو ، أو يوغو — ملك التتار جنوب روسيا (١) — وينسب إلى قبيلة غزقنق (٢) ، ولقد حدثت خلافات بين يغو ودقاق — الزعيم السلجوقي — اضطر على أثرها سلجوق وأسرته إلى ترك ديارهم ، والهجرة إلى نواحي جند (٣) ، ومعه ألف فارس ، وألف بعير ، وخمسون ألف رأس من الماشية عند مصب نهر سيحون ، ويرجع أن هذه القبيلة قد دخلت الإسلام . بعد أن توصلت العلاقات بين أفرادها ، وبين أهل جند (٤) .

أظهر السلاجقة نشاطاً ملحوظاً في الجهات الجديدة التي هاجروا إليها ، فقاموا بالذود عنها من خطر كفار الترك — بني جلدتهم — واشترك السلاجقة في الصراع المرير الذي حدث بين القره خانية ، والسامانيين حول السيادة على بلاد ماوراء النهر ، وانضموا إلى جانب السامانيين في القتال الذي دار بينهم ، وبين أعدائهم (٥) . وقد تمكن سلجوق من خلال هذا الصراع

(١) Cambridge History of Iran. vol. 5 p. 16.

(٢) Cambridge Medieval History. vol. 1v p. 300

(٣) Cambridge History of Iran. vol 5. p. 18.

(٤) قاميري : تاريخ بخاري ص ١٢٧ — ١٢٩

(٥) Encyc. of Islam. Art Saljuk.

من السيطرة على منطقة خصيبة في بلاد ما وراء النهر ، وضمها إلى إمارته الناشئة (١) .

ظل أمر السلاجقة في صعود في بلاد ما وراء النهر ، وكانت منازلهم في الشتاء في نور بخارى ، وفي الصيف في سفد سمرقند (٢) ، وتوفي سلجوق بعد أن تجاوز من العمر العام السابع بعد المائة ، وله من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى (٣) ، وكان أرسلان أقوى هؤلاء الأبناء شأنًا . ولقد وقف إلى جانب الأمير الساماني المنتصر في حروبه ضد القره خانية ، وحالف على تكين — أخا إيلك خان — الذي سيطر على بخارى ، كما أن أخاه ميكائيل لم يأل جهداً في سبيل غزو كفار الترك حتى استشهد ، وخلفه من الأولاد بيغو وطغرل بك محمد وجغرى بك داود ، ولقد أطاعتهم عشائهم ، ولما خشي أمير بخارى بأسهم ، وعول على التخلص منهم ، لجأوا إلى بغراخان — ملك تركستان — فأذن لهم بالمقام في مملكته على أن بغراخان مالبث أن نوجس منهم خيفة ، فقبض على طغرل بك ، وعندئذ ثارت ثورة السلاجقة ، واشتبكوا مع جند بغراخان في عدة معارك ، تمكنوا على أثرها من تخليص أميرهم طغرل بك ، غير أنهم لم يستطيعوا المقام بعد ذلك في مملكة بغراخان ، فعادوا إلى جند (٤) ..

تحالف السلاجقة مع على تكين — أمير بخارى — فأذن لهم بالإقامة في نور بخارى ، وما زالوا في أنضر عيشة ، وهم في المراعى يكلأون السكلا لا يذعرهم ذاعر ، ولا يردعهم رادع (٥) ، ووقف عبيد أرسلان بن سلجوق

(١) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ص ٣٣٤

(٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٤٥

Hubib : Sultan Mahmud of Ghazni. p. 59.

(٣) Cambridge Medieval History vol VI . P. 303

(٤) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٧٦

(٥) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ص ٤٢٤

إلى جانب على تكين ضد السلطان محمود الغزنوي ، ولذلك عول محمود على التخلص من على تكين (١) ، ففي سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م غر بنه جيحون ، والتقى بحليفه قدر خان - ملك تركستان - واتفق مع إيلك خان على إنهاء نزاع الحدود بينهما ، ووافقت انفرضة السلطان محمود لجميع المعلومات عن هؤلاء السلاجقة ، وقد أطلعهم إيلك خان على شجاعة جندهم ، وكثرة عددهم ، فرأى أنه لا يستطيع أن يلحق جانبهم إذا نهض في وقت من الأوقات إلى بلاد الهند ، فقد يحدّثوا في مملكته فساداً طلباً لولاية أو رغبة في التغلب على أحدى النواحي ، فعول على التخلص منهم ، بأن أرسل إليهم رسولا يعرض عليهم صداقته ، ويبدى لهم حسن نواياه نحوهم ، ويطلب منهم إيفاد أحد زعمائهم لعقد اتفاقية صداقة معهم (٢) ، فلما بلغت الرسالة أسماع أمراء السلاجقة ، رحبوا بما جاء فيها ، وأجسوا استقبال رسول السلطان الغزنوي ، وأرسلوا كبيرهم وزعيمهم أرسلان بن سلجوق ، ولما وفد أرسلان السلجوقي إلى محمود الغزنوي مع أصحابه وأعيان دولته ، أحسن وفادتهم وقال ، عندما نذهب إلى بلاد الهند لغزو الكفار يلزمنا جيش جرار نسير به إلى هذه الديار ، مما يترتب عليه عدم وجود حامية تدود عن خراسان ، ولي رغبة في أن أعقد معكم ميثاقاً وتحالفاً على أنه إذا خرج على عدو أو تار تار ، واحتججت إلى هدد ، استعنت بخيلكم وفرسانكم . فأظهر أرسلان بن سلجوق ، رغبته في مساعدة السلطان محمود الغزنوي وقال له : لو أنني أرسلت هذين السهمين إلى قومي لاجتمع منهم مائة ألف رجل ، ولو أن قوساً أضيف إليهما لاجتمع من الرجال قدر ما أشتهى من القوم ، فتوجس محمود خيفة من السلاجقة ، واستشار حاجبه أرسلان جاذب فيما يجب اتخاذ حيل هؤلاء القوم ، فأشار عليه بقطع إيهام الرجال جميعاً حتى لا يستطيعوا من بعد شد القوس (٣) أو

Cambridge History of Iran 5 p. 19.

(١)

(٢) البنداري : تاريخ دولة سلجوق ص ٥ .

(٣) الحسنی : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣ .

(م ٥٠ — بلاد الجزيرة)

أن يفرقهم جميعاً في جيحون لكن محمود الغزنوي فضل أن يأذن لهم باجتياز جيحون والتفرق في أطراف خراسان حتى يمكن السيطرة عليهم (١)، وأمر بالقبض على أرسلان بن سلجوق وتحديد إقامته في قلعة من أعمال الملتان حتى يكون رهينة عنده . ترغم السلاجقة على التزام الهدوء والسكينة (٢) .

تقرب السلاجقة في مقرهم الجديد بخراسان من واليها الغزنوي أبي سهل أحمد بن الحسن الحمدوني ، وسألوه أن يضيف إليهم مرجاً من مروج خراسان فأنزلهم مرج دندانقان ، فقرروا بها وبما قاربها (٣) .

غير أن أطماع السلاجقة لم تتوقف عند هذا الحد ، بل شتوا غارات متعددة في إقليم خراسان إذ كان انتقاهم إلى خراسان بداية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم ، كما كان ذا أثر قوي مرجعاً لمستقبل إيران وما جاورها ، فقد أخذوا يذعمون قواتهم وينتشرون في البلاد المجاورة لها ، وبتحنيون الفرص للانقضاض على الدولة الغزنوية أو اقتلاع جذورها (٤) .

زاد خطر السلاجقة في إقليم خراسان ، فوفد أهل نسا وباورد على السلطان محمود شاكين له عبث السلاجقة ببلادهم سنة ٤١٨ م / ١٠٢٧ م فأمر السلطان أرسلان الجاذب والي طوس باخضاعهم فظل يحاربهم نحو سنتين ، ولكنه لم يستطع قهرهم ، فأرسل إلى السلطان محمود يقول : لقد قوى شأن التركمان ولا يستطيع دفع فسادهم ، إلا إذا خرج السلطان إليهم بنفسه (٥) . خسار السلطان محمود إلى خراسان سنة ٤١٩ م / ١٠٢٨ م ، واشتبك في معارك

(١) Cambridge Medieval History. vol. iv. P . 303 - 403.

(٢) البنداري : تاريخ دولة سلجوق ص ٥ - الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣ .
Cambridge History of Iran. vol. 5. P. 18.

(٣) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣

(٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة العراق وإيران ص ٢٦

(٥) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ص ١٥٤

مع سلاجقة مزق شملهم ، وقتل منهم كثيرين ، ولاذمن نجا منهم بالفرار إلى بلخ وقهستان (١) .

لم يستطع السلاجقة الإقامة في بلدان الدولة الغزنوية بعد الهزائم التي لحقت بهم ، فعمدوا إلى غزو البلدان الإسلامية ، وأحدثوا الكثير من أعمال الشغب والتخريب في مدن دامغان وسمنان والري وأصفهان ومراغة وهمذان وغيرها من مدن العراق وأذربيجان (٢) ، وأذن لهم هرون بن التوتانش - والي خوارزم - بالإقامة في أقاليم خوارزم شتاءً وأمر السلطان مسعود ابن محمود ، شاه ملك - والي جنس - بمهاجمة خوارزم ، والتخلص من السلاجقة ، فباغت شاه ملك السلاجقة على حين غفلة وشدت شملهم (٣) ، فهجروا خوارزم ، وتفرقوا في مفازة نسا وقصدار ومرو ولرسوا إلى السلطان مسعود يطلبون منه الأمان ، وتعهدوا بالوقوف إلى جانبه في وجه الطائفة التي قد تقسدت في مملكتهم ، وبأن يكونوا أنصاراً وأعواناً مخلصين له ، لكن السلطان مسعود لم يكن على استعداد للتحالف معهم لما يعرفه عن أطماعهم في بلدان دولته ، لذلك قبض على الرسل ، وغادر جرجان ، وتوجه إلى نيسابور لمحاربة السلاجقة (٤) ، لكن جيشه كان قد أحسن بوهن شديد ، وفسد سلاحه بسبب الرطوبة ، فعلاه الصدا ، وضمفت دوابه لأنها لم تأكل علف الربيع ، لذلك عهد السلطان مسعود إلى بعض رؤساء جنده بطرد السلاجقة من دولته ، لكن السلاجقة هزموا الجيش الغزنوي ، واستولوا على ممتلكاته (٥) .

أدى انتصار السلاجقة على الجند الغزنوي إلى ارتفاع مكانتهم ، وازدياد

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٤٠ هـ .

Gambridge Medieval History. vol. IV P. 304.

(٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السور من ١٥٥ - ١٥٦ هـ .

(٣) Cambridge Medieval History vol. P. 52-53

(٤) ابن خلدون : البر وديوان المبتدأ والخبر ٢٢ ج١ ، من ٣٧٦ هـ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٩ هـ .

هبتهم ، وزادت أطماعهم في مستلكات الدولة الغزنوية ، وأرسل إليهم السلطان مسعود قولاً لينا لعلمهم يكفوا عن أعمالهم العدوانية في دولته ، وسير مع رسوله الخلع النفيسة ، وأمرهم بالرحيل إلى الشط - على جيحون - ونهاهم عن الشر والفساد ، وأقطع دهستان داود ونسا اطغرلبك وفراوه ليغزو ، ولقب كل واحد منهم بالدهقان (١) ، فاستخفوا بالربل والخلع ، وقالوا للرسول : لو علمنا أن السلطان يبقى علينا إذا قدر لأطعناه ، ولكننا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكتنا لما عملناه وأسلفناه فمن لا بطيعه ، ولا شق إليه (٢) .

ظل السلاجقة مصدر خطر دائم على مدن خراسان ، وفشل عمال الغزنويين في خراسان في الدفاع عن هذه البلاد ، فأرسلوا إلى السلطان مسعود يستغيثونه ، ويشكون إليه ما يفعله السلاجقة في خراسان (٣) ، فأعد السلطان جيشاً كبيراً بقيادة سباشي في سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م واشتبك سباشي مع السلاجقة في عدة معارك انتصر فيها السلاجقة ، ولما طال مقام سباشي وعساكره بخراسان والبلاد منهوبة ، والدماء مسفوكة وقلت الميرة والاتقات على العساكر ، بينا السلاجقة لا يزالون بذلك يقنعون بالقليل ، غادر سباشي خراسان ، فبسط السلاجقة سيطرتهم عليها (٤) ، ورأى السلاجقة أن الوقت حان لإعلان قيام دولتهم وحنى ثمار انتصاراتهم ، فوحدوا قبايلهم في يد طغرل بك الذي توجه إلى نيسابور ، واستولى عليها (٥) ، ثم جلس على عرش السلطان مسعود ، وأعلن قيام دولة السلاجقة (٦) ، وأمر

(١) Cambridge History of Iran. vol. 5. P 51-52.

(٢) الحسيني . أخبار الدولة السلجوقية ص ٥

(٣) الراوندي ، راحة الصدور ص ١٥٧

(٤) Cambridge History of Iran. vol 5. P. 22

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin P. 44-101

(٥) البنداري ، تاريخ دولة سلجوقي ص ٧ - ٨

(٦) Cambridge History of Iran. P. 35.

بأن تقرأ الخطبة باسمه ، و فرق النواب في النواحي (١) ، وأصبح بذلك أول سلطان للسلاجقة ، وأرسل إلى الخليفة العباسي رسولا يقول : إنه لما وجد ابن يمين الدولة مائلا عن الخير والسمو غار المسلمين والبلاد (٢) .

لم يقف السلطان مسعود مكتوف اليدين إزاء اقتراع خرسان منه : بل عول على استردادها ، فأعد جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه المهمة ، و فرق فيهم الأموال الكثيرة ، وسار عن غزنه في جيوش يضيق بها الفضاء ، (٣) ولما بلغ السلطان خرسان ، كان طغرل بك في مدينه سوس منفصلا عن أخيه ، فإراد السلطان مسعود مباغتته والحيولة بين الأخوين وبين الاتصال ببعضهما ، (٤) فلما أرخى الليل سدوله ركب فيه سرعة العدو ، واتجه إلى سوس مع فريق من فرسانه ، فأخذته سنة من النوم ، وهو على ظهر الفيلة ، ولم يستطع أحد من أعوانه أن يوقظه ، أو أن يقود الفيلة في سرعة ، فكان ذلك سبباً في فشل خطته (٥) ، ذلك أن طغرل بك انتهر الفرصة ، ولحق بأخيه جعري بك ، وتأهب مسعود للحرب مع السلاجقة في دنداقان بالصحراء الواقعة بين سرخس ومرو ، حيث الماء القليل ، والحر الشديد وحدثت منازعات بين عسكر مسعود حول الماء ، ولم يقب عن السلاجقة أخبار هذا الخلاف ، فتقدموا إليهم (٦) ، وحملوا عليهم وهم على هذا الحال من التخاذل والقتال والنهب ، فهزموهم شدة هزيمة ، وولوا الأدبار ، لا يلوى أول على آخر ، وقتل منهم كثيرون وغنم السلاجقة من الجيش الغزنوي لغنائم كثيرة ، وقسمها فاعدهم داود على أصحابه وجنده ، وآثرهم على نفسه ،

(١) Cambridge Medieval History, vol. iv. P. 304

(٢) البنداري : تاريخ دولة سلجوقي من ٨

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦١٧ .

(٤) تاريخ البيهقي من ٦٦٧

(٥) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور من ١٤٦ - ١٥٨

(٦) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية من ٢٧

ونزل في سرائق السلطان مسعود ، وقعد (١) على كرسية ونظر مسعود من حوله . فإذا به وجيهاً ، فأدار عنانه ، وامتنطى ظهر الفيلة ، وولى مهزوماً تاركاً خزائنه وأمتعته وسائر ما يملك قانعاً بالفرار والندامة . وكان ذلك في رمضان سنة ٥٣١ هـ / ١٠٣٩ م (٢) .

تمسكن السلاجقة على أثر انتصارهم الراجع على السلطان مسعود من استعادة سيطرتهم على خراسان ؛ فعاد طغرل بك إلى نيسابور وحفظ الأمن والنظام فيها ، ودخل يغوهراة ، وسار داود إلى بلخ ، ولكن واليها الغزنوي ، رفض تسليم البلدة إلى السلاجقة ، وشدد السلاجقة من حصارهم لبلخ ، فاستنجدوا فيها بالسلطان مسعود ، فسير مسعود جيشاً ، هزمه السلاجقة ، فاضطر والى بلخ إلى تسليم البلدة للسلاجقة ، ودخل في طاعتهم (٣) .

لما توفي السلطان مسعود سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م . كان السلاجقة قد ارتفع شأنهم ، وعظمت قوتهم بعد الانتصارات الرائعة التي أحرزوها على الدولة الغزنوية ، والتي سيطروا على أثرها على إقليم خراسان ، ومن الطبيعي ألا يقنع السلاجقة بما أحرزوه من مكاسب بل تطلعوا إلى المزيد ، فاتهمزوا فرصة اضطراب الأمور في طبرستان وجرجان ، وضعف واليها أنوشروان ابن منوچهر بن قابوس بن وشمكير عن السيطرة عليها . وانصرف الحكومة الغزنوية عن ضبط الأمور في بلدانها ، وسار طغرل بك إلى جرجان وامتلكها وصالح أهلها على مائة ألف دينار ، وولى عليها نائباً من قبله ، وعاد إلى نيسابور (٤) وبذلك فقدت الدولة الغزنوية تلك البلاد .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٣٢ هـ

(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١١

Habib : Sultan Mahmud of Ghazni. P. 181.

(٣) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٢ - ١٣

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٣٣ هـ

أخذت للدولة السلجوقية في الامتداد والاتساع على حساب الدولة الغزنوية ، ففي سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م أمر السلطان مسعود بخلع إسماعيل ابن التوتاش - والية على خوارزم - بسبب خروجه على طاعته ، وعهد إلى شاه ملك - وإلى جند - بولاية هذه البلدة بالإضافة إلى ولايته ، فلهذا إسماعيل إلى طغرل بك وداود وطلب منهما إعادته إلى خوارزم (١) ، فرأى الأميران السلجوقيان في هذا المطلب فرصة لتحقيق سياستهما التوسعية ، فسار داود مع إسماعيل إلى خوارزم . لكن شاه ملك تصدى للسلاجقة وقتلهم وهزمهم (٢) ، غير أن السلاجقة لم يركنوا إلى هذه الهزيمة ، بل عادوا إلى مهاجمة خوارزم بقيادة طغرل بك ، فحاصر خوارزم واستولى عليها وغادرها شاه ملك (٣) . وعلى ذلك دخلت خوارزم في حوزة السلاجقة بعد أن كانت تابعة للدولة الغزنوية .

وفي سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥) م دخل طغرل بك بغداد ، ونودي به سلطاناً ، واعترف له الخليفة القائم بذلك ، فقبض طغرل بك على الملك الرحيم البويهى - آخر ملوك بني بويه - واعترف الخليفة القائم بأمر الله بطغرل بك سلطاناً ، وغمره بالهدايا بعد أن صد عنه قوات البساسيري ، وخلصه من بني بويه الشيعة ، ومنحه الخليفة بعض الامتيازات ، مثل حق ذكر اسمه في الخطبة ، وأنعم عليه ببعض الألقاب ، وبذلك اكتسب حكمه الصفة الشرعية ، وأصبح مؤسس دولة ، بعد أن كان زعيم قبيلة .

خلف طغرل بك في الحكم ابن أخيه ألب أرسلان ، وقد بلغت الدولة السلجوقية في عهده درجة كبيرة من القوة والازدهار ، بسبب شجاعته

(١) نفس المصدر السابق حوادث سنة ٤٣٤

Cambridge History of Iran vol. 5. P. 51. (٢)

Cambridge Medieval History. vol. IV. P. 303. (٣)

مؤلفاته واستوزر الوزير المصلح نظام الملك الذي اشتهر بالعلم والسياسة ،
وأهم عمل أدبي قام به هو كتاب (سياسة نامه) الذي ضمنه نصائحه للأمراء .
جمع نظام الملك حوله طائفة من العلماء والأعلام المشهورين ، فازدهرت
بتشجيعه الآداب والعلوم والفنون ، وأهم عمل قام به هو تأسيس المدرسة
النظامية المعروفة ببغداد ، وقد وفد عليها الطلاب من جميع أنحاء العالم
الإسلامي ، وتخرج منها مشاهير العلماء والأدباء .

أما ألب أرسلان فعناه بالتركية الأسد الباسل أو الهمام ، وقد حكم
ملكه تمتد من نهر جيحون حتى نهر دجلة ، غير أنه لم يقنع بما تركه أسلافه
من فتوح وممتلكات ، بل عمل على إضافة ممتلكات جديدة إلى الامبراطورية
السلجوقية ، فسير حملة إلى فارس سنة ١٠٦٤ م وأخضع إقليم خوارزم ،
وجعل ابنه ملكشاه حاكماً على هذا الإقليم ، وأخذ البيعة لابنه ملكشاه
بولاية العهد من حكام الأقاليم والولايات السلجوقية .

على أن أعظم أعمال هذا السلطان الحربية كانت انتصاره على الإمبراطور
البيزنطي رومانوس سنة ١٠٧١ م في موقعة ملازكرد ، ذلك أن البيزنطيين
أخذوا في توسيع ممتلكاتهم حتى بلغوا أطراف الدولة الإسلامية ، فسار
ألب أرسلان غرباً حتى قابل عدوه الذي خرج في مائتي ألف من الروم
لجأهوا ، في تجمّل كثير وزى عظيم ، إلى ملازكرد من أعمال خلاط . والتقى
جيش السلاجقة بقيادة ألب أرسلان بجيش الروم في معركة حامية الوطيس .
تمكن المسلمون من أعدائهم وقتلوا فيهم كيف شاموا ، وأنزل الله نصرهم
عليهم . فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث
القتلى ، وأسرى الروم ، وسبق إلى معسكر السلطان السلجوقي ألب أرسلان ،
فقال له السلطان : ما عزمتم أن تفعل بي إن أسرتني ، فقال أفعّل القبيح .
فقال له السلطان : فما تظن أني أفعّل بك . قال : إما أن تقتلني ، وإما أن
تشرّني في بلاد الإسلام ، والآخرى بعيدة وهي العفو وقبول الأمور

واصطناعي غامباً عنك . قال السلطان السلجوقي : ما عزمت على غير هذا (١) .

أطلق السلطان سراح الامبراطور البيزنطى بعد أن وعد بدفع فدية كبيرة قدرها ألف ألف دينار ، وخمسمائة ألف دينار ، وأن يرسل إليه عسكر الروم فى أى وقت يطلبه ، وأن يطلق كل أمير فى بلاد الروم .

ونجم عن هذه الموقعة تأسيس دولة سلجوقية بأرض الروم فى آسيا الصغرى ، كما أن ضياع هذه الولايات من البيزنطيين قد أصاب الإمبراطورية بنسكبة لم تفق منها ، لأن الإمبراطورية كانت تأخذ خيرة جندها من تلك البلاد .

وفى سنة ١٠٧٢ لقي السلطان ألب أرسلان حتفه بعد أن اتصر على الترك فى إقليم تركستان (٢) .

تولى ملكشاه الحكم فى الدولة السلجوقية بعد وفاة أبيه ألب أرسلان وبدأ هذا السلطان عهده بالقضاء على الثورات والفتن الداخلية التى حدثت فى الدولة بعد وفاة أبيه . وفى سنة ١٠٨٦ قصد حلب ماراً فى طريقه بالموصل وقلعة جعبر ، وكان يهدف من وراء هذه الرحلة إقامة حكم سلجوقي قوى ومنظم فى هذه الجهات ، ودفع الطامعين عن حلب ، ومنحها لآق سنقر والذينكى ، وعهد إلى ياغى سيان بحكم أنطاكية .

ولما عاد السلطان ملكشاه من حلب زار بغداد واستقبله الخليفة المقتدى بأمر الله بمظاهر الحفاوة والتكريم ، ثم أخضع بخارى وسمرقند وكاشغر ، وعلى كل فقد بلغت الدولة السلجوقية أقصى اتساعها فى أواخر عهد السلطان لملكشاه ، فقد اتسع نفوذها حتى امتد من حدود الصين شرقاً إلى أقاصى بلاد الشام غرباً ومن البلاد الإسلامية فى الشمال إلى جنوبى بلاد اليمن ، وأدى له هذا باطرة الروم الجزية .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٦٣ .

(٢) المصدر السابق حوادث سنة ٤٦٥ هـ .

وكان ملكشاه من أحسن الملوك سيره حتى أنه كان يلقب بالملك العادل وكان يحرص على رد ظلامه المظلوم ، ويفتح بابه لكل من يقصده من أصحاب الظلمات والحاجات ، وكانت السبل في أيامه آمنة ، والقوافل تسير من بلاد ما وراء النهر ، إلى أقصى بلاد الشام في أمن وطمانينة . ومهد الطرق المتجهة إلى مكة المكرمة . وأنشأ الآبار فيها (١) ، وكانت أمور الدولة الداخلية في يد الوزير المصلح نظام الملك ، وكان ملكشاه قد فوضه أمور دولته كلها ، وقال له : أفعل ما تراه مصلحة ، قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت الوالد . ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك . فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور في ذلك وكان عالماً جواداً كثير الصمت حليماً متديناً ، يجلسه يضم الفقهاء والأئمة والزهاد ، وأسس عدة مدارس ، وخصص لها أموالاً جلية (٢) .

ضعفت الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، وانقسمت إلى دويلات مستقلة ، يحكم كل منها أتابك .

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الولاء والطاعة لسلطين السلاجقة في فارس والعراق ، فكان زنكي أتابكا لابن السلطان محمود (٣) ، وحرص على أن يظهر للخليفة العباسي وأمرأ البلاد المجاورة أن الولاء والطاعة للسلطان ألب أرسلان . ولما توفي السلطان محمود ، حاول زنكي تولية ألب أرسلان السلطنة سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م) ، وأرسل إلى الخليفة المسترشد ، يطلب منه أن يقيم الخطبة لألب أرسلان في بغداد ، فرفض .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٧١-٣٧٢

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٦٥ هـ

(٣) البنداري : تاريخ دولة تنجوق ص ١٨٧

ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧١ .

المسترشد (١) وقال : إنه صبي ، وأن السلطان عهد بالسلطنة إلى ابنه داود ابن محمود (٢) .

على أن ألب أرسلان لم يقبل بقاءه في الموصل مسلوب السلطة ، بل حاول استعادة نفوذه فيها ، منتهزاً فرصة غياب زنكي عنها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، ودبر مؤامرة تخلص بها من نائب زنكي في الموصل ظناً منه أن ذلك يمكنه من تحقيق غايته ، ولكن أعوان زنكي في الموصل أحبطوا محاولته .

ولما قتل عماد الدين زنكي سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٦ م) نادى جند الموصل بألب أرسلان سلطاناً عليهم ، وسار على رأسهم إلى الموصل غير أن وزراء زنكي لم يمكنوه من تولية حكمها (٣) .

حرص عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — على إرضاء السلطان السلجوقي حتى يحتفظ بأتابكيته ، فلما قدم هذا السلطان إلى بغداد سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٨ م) بتكليف من عمه السلطان سنجر بن ملكشاه — صاحب (٤) خراسان — ومعه الأمير ديس بن صدقه ، ليصلح بينهما وبين الخليفة المسترشد عفا الخليفة عنه (٥) ، وولاه الموصل ، فلما علم زنكي بذلك ، سار إلى بغداد ، وأرضى السلطان بذله الأموال الكثيرة له (٦) ، فأقره السلطان على الموصل وخلع عليه (٧) .

(١) أبو شامة : الروشتين في أخبار السولتين ج ١ ص ١٠٤

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٦

(٣) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusaders P.288.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٠٨ — ١٠٩

Runciman: A History of the Crusades. vol.2 p. 209

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٤

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١١

المعنى : عند الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٧

(٧) Archer : The Crusades. p. 201

أيو الحامسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٣٥

كذلك أسهم عماد الدين زنكى فى الحروب التى دارت بين السلاجقة ،
فلما توفى السلطان محمود ، وأقام الخليفة العباسى المسترشد الخطبة لابنه داود ،
حاول مسعود الوصول إلى السلطنة (١) ، وانزعما لنفسه ، غير أن سلجوق
شاه — عم داود — نافسه فى الحكم ، وسار فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١) إلى
بغداد ، ونزل بدار السلطنة ، فاستمال السلطان مسعود عماد الدين زنكى
إليه (٢) ، وطلب منه مساعدته فى تولية السلطنة (٣) ، فأجابته إلى طلبه ، وسار
من الموصل قاصداً بغداد . ولما بلغ تكريت ، سار قراجه الساقى — أتابك
سلجوق شاه — إليها ، بينما أقام سلجوق شاه فى بغداد مع نفر قليل من
الجند (٤) ، ودارت معركة بين زنكى وقراجه انتهت بهزيمة أتابك الموصل ،
وعود كثير من أتباعه ، وعودته إلى بلاده سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) (٥) .
أما السلطان مسعود فدارت بينه وبين سلجوق شاه مناوشات على مقربة من
بغداد ، ولما بلغه هزيمة زنكى ، فت ذلك فى عضده ، وعاد إلى فارس (٦) .
غير أن الخليفة المسترشد استطاع أن يعقد صلحاً بين السلطان مسعود وأخيه
سلجوق شاه ، آلت بمقتضاه السلطنة إلى مسعود ، وولاية العهد إلى سلجوق
شاه (٧) ، على أن السلطان سنجر لم يمكن مسعود من الاستمرار فى السلطنة .
ميل سار إلى بغداد وأمر عماد الدين زنكى ، بالتقدم إليها ليكرن عوناً له

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٣

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٣) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٨

Runciman : A History of the Crusades . vol. 2. p. 194

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٥ - ٢٦

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ

(٦) Setton : A Hist. of the Crusades. vol. I. P. 457.

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٨ - ٤٩

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٣ - ٤٤

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

على مسعود ، واستطاع سنجر دخول بغداد ، وعزل السلطان مسعود وتوليه الملك طغرل (١) .

عزل مسعود على العودة إلى بغداد بعد وفاة الملك طغرل سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤) ، لكن الخليفة الراشد اعترض على توليته السلطنة (٢) ، واستعان بهما الدين زنكي - أتابك الموصل - لصدّه عن بغداد ، غير أن السلطان السلجوقي أوقع بهما الحزيمة ، وولى السلطنة (٣) .

سامت العلاقات مرة أخرى بين السلطان مسعود وعماد الدين زنكي ، حين خرج على السلطان السلجوقي كثير من أمراء الأقاليم ، واعتقد أن زنكي يحرض الأمراء ضده (٤) ، فعزل على الانتقام منه ، بأن حشد جيشاً كبيراً سار به إلى الموصل سنة ٥٢٨ هـ (١١٤٣ م) غير أن مسعوداً لم يشتبك مع زنكي في قتال (٥) ، ذلك أن الرسل تدخلوا في الصلح بينهما ، وقد تضمن هذا الصلح أن يؤدي زنكي للسلطان السلجوقي مائة ألف دينار (٦) . لكن زنكي لم يود غير جزء من هذا المبلغ ، ونزل له السلطان عن الباقي ، لأنه رأى أن زنكي هو الشخص الوحيد الذي يستطيع درء خطر الصليبيين عنها (٧) ، كما أن السلطان كان في حاجة إلى مداراته بعد أن كثر خروج أمراء البلاد التابعة له عن طاعته (٨) .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ .

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٥ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٤٣ .

(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٩٢ .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٥ .

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧ .

(٨) ابن الجوزي : لتنظيم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٦٨ .

Setton : A History of the Crusades vol. 1. p. 460.

وكان مما حمل السلطان السلجوقي مسعود على مصالحة زنكى أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى كان نائباً عن أبيه فى خدمة السلطان مسعود ، فلما ساءت العلاقات بين زنكى والسلطان السلجوقي ، فرسيف الدين غازى هارباً إلى أبيه ، غير أن زنكى أمر ابنه بالعودة إلى السلطان (١) ، فكان لعمله هذا أثر بالغ فى نفس مسعود ، ومن ثم علت منزلة زنكى عنده (٢) .

سار قطب الدين مودود بن زنكى أتابك الموصل على سياسة أبيه فى الاشتراك فى الحروب التى دارت مع السلاجقة ، فلما سار السلطان محمد إلى بغداد سنة ٥٥١ هـ (٣) (١١٥٦ م) لإرغام الخليفة المقتدى لأمر الله على إقامة الخطبة له ، وقب قطب الدين مودود إلى جانبه (٤) ، ودارت الحرب بين السلطان السلجوقي وأتابك الموصل من ناحية ، والخليفة المقتدى من ناحية أخرى انتهت بانتصار الخليفة على أعدائه ، وإرغامهم على الرحيل عن بغداد (٥) .

كذلك انضم قطب الدين مودود - أتابك الموصل - إلى السلطان محمد فى نزاعه مع سليمان شاه الذى أغار هو وعسكره على أعمال الموصل ، فأرسل إليه واليهما زين الدين على كجك يطلب منه الكف عن مهاجمة بلاده ، فلم يستجب له ، وأعد جيشاً خرج به من الموصل ، واشتبك مع السلطان السلجوقي فى معركة حلت فيها الهزيمة بالسلطان الذى قبض عليه ، وبعث بالموصل (٦) .

-
- (١) البندارى : تاريخ دولة سلجوقى من ١٨٩
 - (٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٥١ هـ .
 - (٣) البندارى : تاريخ دولة سلجوقى من ١٨٩
 - (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ١٠٩
 - (٥) المصدر السابق من ١٠٨
 - (٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق من ٢٢٨
 - ابن الجوزي : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ من ١٠٥

ظل سليمان شاه في مجننه حتى سنة ٥٥٥ هـ (١) (١٨٦٠ م) حيث قدمت
رسول كبار الأمراء من بلاد الجبل إلى الأتابك قطب الدين مودود يطلبون
منه إنقاذ الملك سليمان شاه بن محمد ليولوه السلطنة على أن يكون قطب الدين
مودود مديراً لأمر دولته ، فاستحسن قطب الدين مودود هذه الفكرة ،
وأرسل سليمان شاه من الموصل إلى همدان ، وصار بصحبته زين الدين علي
كجك في عسكر الموصل ، فلما اقتربوا من بلاد الجبل ، انحازت العساكر
إلى سليمان شاه ، وزاد بذلك عدد جنده ، فحشي زين الدين علي نفسه ، وعاد
دون أن يحقق غرضه (٢) .

كذلك كانت علاقة قطب الدين مودود — صاحب الموصل —
بأرسلان شاه بن طغرل بن محمد يسودها الود ، فلما ولي السلطنة أرسل إلى
قطب الدين مودود رسولا يلتمس منه إقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على
السكة ، وإنفاذ ما كانوا يرسلونه إلى السلاطين السلاجقة فأجاب بالسمع
والطاعة ، وأقام له الخطبة في الموصل والجزيرة وسائر بلاد ديار بكر .
واستمرت العلاقات الودية قائمة بينهما حتى وفاته (٣) . ولما ولي السلطان
بركن الدين طغرل توثقت العلاقة بين قطب الدين مودود وبينه ، وأقام له
الخطبة في سائر بلاده (٤) .

٣ — أتابكة المشرق الإسلامي :

لما استقر عماد الدين زنگي في الموصل ، اعتزم ضم شمال العراق إلى
دولته ، فزحف بجيشه إلى جزيرة ابن عمر ، وعرض على ممالك البرسقي

-
- (١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٤ - ١١٥
ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٩٢
(٢) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ هـ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٤ - ١١٥
(٤) الحسيني : تاريخ الدولة السلاجقية ص ١٦٤

— وكانوا يسيطرون على هذه الجزيرة — اموالا في مقابل تسليم البلدة ،
لكنهم رفضوا (١) ، فقاتلهم قتالا شديداً دارت فيه الدائرة عليهم ، فطلبوا
منه أن يؤمنهم ، ويسلموا له المدينة ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل الجزيرة
سنة ٥٢٢ هـ (٢) (١٢٣٨ م) وضمها إلى حوزته (٣) .

واصل عماد الدين زنكى — بعد ضبطه أمور الجزيرة سياسته التي تنطوي
على توسيع رقعة أتابعيته ، فزحف بجيشه إلى نصيبين — وكان يحكمها
حسام الدين تمر تاش بن إيلغازى بن أرتق — صاحب ماردين فلما بلغها
صاحب الموصل ، سار حسام الدين إلى ابن عمه — ركن الدولة داود
— صاحب حصن كيفا — وطلب منه العون في صد زنكى عن نصيبين ،
فاستجاب له ، وأعد جيشاً لهذا الغرض ، لكن زنكى لجأ إلى الحيلة
والخدعة (٤) ، حتى تمكن من الاستيلاء على نصيبين (٥) .

ولما استولى عماد الدين زنكى على هذه المدينة ، سار إلى سنجار
فقاومه أهلها ، غير أنه تغلب عليهم ، وتيسر له بذلك ضمها إلى حوزته ،
ثم أرسل فرساناً إلى الخابور ، فاستولوا عليه ، وقصد زنكى بعد ذلك حران
فلما اقترب منها ، خرج أهلها إليه معلنين له الولاء والطاعة (٦) .
أصبح عماد الدين زنكى يشكل خطراً على مصالح بني أرتق في الجزيرة
وديوار بكر بعد أن استولى على بعض بلادهم ، ففي سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م)

(١) Lane. p. Poole; Saladin p. 52

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٧

(٣) ابن قاضي شهاب : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢
اليعنى : عقد الجان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٢ هـ .

(٥) Lane Poole. Saladin. P. 49

(٦) يذكر ابن الأثير أن أهل حران قاسوا كثيراً من هجمات الفرنج ، فلما سمعوا
بفتوحات زنكى في الجزيرة ، قويت نفوسهم ، وعلموا أنهم قد أتاهاهم نصر من الله وفتح
قريب ، فراسلوه بالطاعة ، واستحثوه على الوصول إليهم ، فسار نحوهم (التاريخ الباهر
في الدولة الأتابكية من ٢٨) .

اجتمع ركن الدولة داود — صاحب حصن كيفا — وحسام الدين تمرشاش ابن إيلغازي — صاحب ماردين (١) — وانضم إليهما صاحب آمد ، وعدد كبير من الأمراء ، وجهزوا جيشا كبيرا من التركمان وعولوا على التخلص من عماد الدين زنكي (٢) ، فساروا إليه ، والتقى بهم زنكي عند مدينة دارا (٣) — وهي تابعة لبني أرتق — ودارت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة بني أرتق (٤) ، وقد ضمن هذا النصر لزنكي سيادته على شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى (٥) .

واصل زنكي زحفه على البلاد المجاورة لدولته ، فاستولى على سرجة (٦) ودارا (٧) ، كما أنه عمل على تعقب بني أرتق ، حين ساروا إلى جزيرة ابن عمر وعاثوا فيها فسادا (٨) ، واضطروهم إلى الرحيل عنها (٩) .

ولما تحسنت العلاقات بين حسام الدين تمرشاش بن أرتق — صاحب ماردين — وعماد الدين زنكي ، انضم إليه في حصاره لآمد (١٠) ، فاستنجد صاحبها سعد الدولة أبو منصور ، بالأمير ركن الدولة داود — صاحب حصن كيفا — فأعد جيشا توجه إلى آمد لصد المغيرين عنها ، ودار قتال بين الفريقين على أبواب المدينة ، حلت فيه الهزيمة بركن الدولة ، وقتل عدد كبير من

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٥ — ٣٦

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص من ٢٧٠ — ٢٧١

(٥) Stevenson : The Crusaders in the East. p. 129

(٦) حصن بن نصيبين وديسر ودارا (ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١

Setton : A History of the Crusades, vol.1 p. 459

(٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٦ — ٣٧

Setton : A History of the crusades, vol 1. p.457

(١٠) العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج ١٢ ص ٥٦

(م ٦ — بلاد الجزيرة العربية)

جنده (١)، وظل عماد الدين زنكى وحسام الدين قمر تاش يحاصران آمد سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣م) دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها (٢).

كان عماد الدين زنكى يطمع فى الاستيلاء على بعض قلاع ديار بكر (٣) حتى يتيسر له ضم هذا الإقليم إلى حوزته ، فقصده قلعة الصور ، وظل يحاصرها حتى استولى عليها سنة ٦٥٨ هـ (١١٢٣م) ثم حاصر قلعة العقير وشوش (٤) وضمها إلى أتابكته (٥). ثم واصل زنكى زحفه وتقدمه فى ديار بكر فهاجم قلاع الهكارية ، وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن عجز أميرها أبو الهيثم بن عبد الله عن مقاومة قواته (٦).

لم يكتف عماد الدين زنكى بما استولى عليه من بلاد وقلاع ، بل عول فى سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩م) على السير إلى شهرزور (٧) ، فتصدى له حاكمها قفجاق بن أرسلان شاه التركمانى (٨) - الذى التف حوله التركمان ، وكثر

(١) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades p.227

(٢) ابن المديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٩

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ج ٨ ص ١٨٩

(٥) كان زنكى ينتقم على صاحبها الأمير عيسى الحميدى لأنه أمد الخليفة المسترشد أثناء حصار الموصل بعدد كبير من جند التركمان .

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٤ - ٥٥

Gibb: Tha Damascus Chronicle of the Crusades. p.264

(٦) كذلك تمكن نصير الدين جقر - نائب عماد الدين زنكى - من الاستيلاء على جبل طبيعة وتوش وقلعة الجلاب ، كما استولى على جميع حصون الأكراد الهذليانية . وترتب على ذلك استتباب الأمن والنظام فى هذه البلاد ، بعد أن كان الأكراد يلحقون الضرر والأذى بأهلها .

(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ)

(٧) كورة واسعة فى الجبال بين إربل ومهردان .

(ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ١٦) .

(٨) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦

جندته ، بوحديث مناوشات بين الفريقين انتهت بهزيمة التركمان ، واستيلاء
عماد الدين زنكي على شهر زور وأعمالها (١) .

على أن الأمور لم تستقر لعناد الدين زنكي في بلاد الهكارية ، فعاد
الآكراد فيها فساداً سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) ولكن نصير الدين جقر - نائب
زنكي - استولى على بعض بلادهم ، وحاصر قلعة الشعباني - وهي من أعظم
قلاعهم - فضمها إلى حوزته ، ثم أزالها ، وأمر ببناء قلعة جديدة عوضاً عنها
سميها قلعة العمادية (٢) ، نسبة إلى عماد الدين زنكي ، وكانت حصناً عظيماً
يندر وجوده في حصون الجبال (٣) . كذلك حول زنكي في هذه السنة على
مد نفوذه إلى آمد ، وكان يلي حكمها ركن الدولة داود - صاحب حصن كيفا
يفارس إلى صاحبها يطلب منه الدخول في طاعته ، وإقامة الخطبة له ،
وهدهد بالمسير إلى آمد ، وأخذها منه عنوة ، إذالم يستجب له ، غير أن
صاحب آمد لم يوافق على تسليمها لزنكي (٤) .

لم يكف زنكي عن مهاجمة ديار بكر ، والتوسع في أراضيها ، ففى سنة
٥٣٨ هـ (١١٤٢ م) استولى على عدة بلاد وبعض الحصون المجاورة لها (٥) ،
ثم رتب أمورها ، وحاصر مدينتي عانة والحديثة (٦) - على نهر الفرات -
وأما ملكها (٧) .

كانت سياسة زنكي تنطوي على الاستيلاء على جميع القلاع التي تتوسط

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(٢) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٤ .

(٣) ابن قاضي شهاب : السكواكب للدوية في السيرة النورية . ورقة ٨٠ .

Lane-Poole : Saladin. p. 55

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٤ .

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧ .

(٦) Setton: A. History of the Crusades vol:1 p. 460 .

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٦ .

بلاده حتى يكون آمنا في ملكه ، فسار سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) إلى قلعة جعبر (١) بنية الاستيلاء عليها (٢) ، كما سير جيشا إلى قلعة فنك (٣) .

ولما طال حصار زنكي لقلعة جعبر ، دون أن يتمكن من فتحها ، أرسل إلى صاحبها رسولا يدعوهُ إلى تسليمها ، ويعرض عليه عوضا عنها ، لكنه رفض تسليمها (٤) .

ولم يتيسر لزنكي الاستيلاء على قلعة جعبر ، فقد اغتاله بعض مماليكه (٥) ، كما أن القوات المحاصرة لهذه القلعة ، وقلعة فنك رفعت الحصار وعادت أدراجها (٦) .

واصل سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي سياسة أبيه في المحافظة على البلاد التي ضمها إلى دولته ، فلما توفي زنكي استرد حسام الدين تمر تاش - صاحب ماردين - مدينة دارا (٧) ، فقصدها سيف الدين غازي سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) ولم يزل يحاصرها حتى استولى عليها (٨) وعلى كثير من أعمال ملودين نفسها ، كما عاث جنده في ديار بكر فسادا وتخريبا (٩) ، فلما رأى

-
- (١) كانت قلعة جعبر ملكا للسلطان ملكشاه ، فسلبها إلى الأمير - سالم بن مالك الغنيمي ، فلم تزل بيده ويده أولاده حتى سنة ٥٤٩ هـ .
(٢) ابن العديم : زينة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨١ .
(٣) حصن مجاور لجزيرة ابن عمر من أمنع الحصون ، ومطل على دجلة ، يمتلكه جماعة من الأكراد .

- أبو شامة : الروميتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٥
(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 241
(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٨
(٧) المعيني : عند الجمان غنى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦
أبو المحاسن : التيجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٧٩
(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٥
(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٣٠٤
(٦) Runciman : A History of the Crusades. p. p.241

حسام الدين أن لا طاقة له بصيف الدين صالحه ، وزوجه ابنته (١) ورحل
أتابك الموصل عائداً إلى بلاده (٢) .

تغيرت الأوضاع السياسية في بلاد الموصل والجزيرة بوفاة نور الدين
نجمود بن زنكي سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) ، فلما علم سيف الدين غازي الثاني
ابن قطب الدين - أتابك الموصل - بذلك اعتزم استعادة البلاد التي كان عمه
نور الدين قد استولى عليها في الجزيرة ، فسار إلى نصيبين ، وضمها إلى حوزته (٣)
ثم استولى على الخابور (٤) ، وسار إلى حران وحاصرها عدة أيام ، وكان
بها مملوك لنور الدين يسمى قياز ، فامتنع بها ، ثم أعلن ولاءه لسيف الدين
غازي على أن تكون حران له . ولما أمن جانب سيف الدين ونزل من
القلعة ، قبض عليه ، وأخذ حران (٥) منه ، ثم سار إلى الرها ، وأخذ
يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها وعلى بلاد الجزيرة ماعدا قلعة جعبر (٦) .
لم يأل أتابك الموصل والجزيرة جهداً في سبيل توسيع رقعة إرسلهم ،
وفي سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) سار نور الدين أرسلان شاه - أتابك الموصل -
إلى مدينة نصيبين (٧) ، فاستولى عليها بعد أن فشل أميرها قطب الدين
نجمود في صدده عنها ، وهرب جنده إلى ديار بكر ومنها إلى حران (٨) حيث

-
- (١) المعنى : عند الجماع في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦٧
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٠٤
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٥
(٤) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ
(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٩
(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٩
(٧) استاء نور الدين أرسلان شاه - أتابك الموصل - من قطب الدين نجمود - أمير
نصيبين - لأن غوايه بها استولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل ،
بوهي نجاور ولاية نصيبين .
ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩١
(٨) ابن واصل مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ٧٩

طلبوا من الملك العادل أبي بكر بن أيوب أن يساعدهم على استرداد نصيبين، لكنه أعرض عنهم (١).

على أن طلب الدين مالبث أن استعاد نصيبين، بعد أن اضطر نور الدين أرسلان شاه إلى الانسحاب منها والعودة إلى الموصل، بعد أن تفشى المرض بين جنده (٢).

لم تقف أطماع نور الدين أرسلان شاه أتابك الموصل — عند هذا الحد بل أغار على تل يعفر (٣) — سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) وكانت تابعة وقتذاك لسنجار — واستولى عليها، فاستنجد صاحبها قطب الدين بالملك الأشرف بن العادل، وسنجر شاه — أتابك الجزيرة — وبعض أمراء بني أيوب واجتمع جندهم لمحاربة صاحب الموصل (٤)، واشتبكوا معه في معركة، حلت فيها الهزيمة بنور الدين، وعاد إلى الموصل (٥)، وتحصن بها، ثم دارت مراسلات بينه وبين الملك الأشرف، انتهت بالصلح بينهما، ورفع الحصار عن الموصل (٦).

كذلك حاول قطب الدين إيلغازي بن ألبى تمر تاشن — صاحب ماردين. أخذ بلدة البيرة، وكانت ملكا لابن عمه شهاب الدين الأرتقي، ولما توفي خلفه ولد صغير دخل في طاعة صاحب الموصل، فطمع صاحب ماردين في أخذ البيرة (٧) سنة ٧٧ هـ وأرسل إلى عز الدين مسعود — أتابك الموصل.

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٩٢ - ١١٩٣

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٧

(٣) اسم قلعة وربيض بين سنجار والموصل في وسط واد فيه نهر جار

(٤) ياقوت ومعجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٦

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٥٦

(٦) أبو اللدا: المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٠

(٧) سبط ابن الجوزي: معركة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٥١٨

(٨) ابن الأثير: السكامل في التاريخ حوادث سنة ٧٧ هـ

يطلب منه أن يأذن له في محاصرة البيوة والاستيلاء عليها ، فأجاب طلبه (١) ، وسار في عسكره إلى سميساط ونزل بها ، ثم أفضد العسكر إلى البيوة فحاصرها واضطر صاحبها إلى الاستنجاد بصلاح الدين ، فأفخذ رسولا إلى صاحب ماوردين يطلب منه الامتناع عن مهاجمة البيوة ، فأبى إجابة طلبه . ثم مالبت أن رجل عنها حين رأى أن حصاره لهذه المدينة قد طال دون (٢) جدوى .

وكان مظفر الدين كوكبورى صاحب إربل يقدم على كثير من المخاطر والمغامرات في سبيل توسيع رقعة دولته ، ففي سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) اتفق مع علاء الدين — صاحب مراغة — على قصد أذربيجان (٣) ، وأخذها من صاحبها أبي بكر البهلوان الذى عرف بميله إلى العبث واللغو ، فسار صاحب إربل إلى مراغة ، واجتمع مع صاحبها علاء الدين ، ثم زحفا إلى تبريز ، فأعد صاحبها العدة لمقاومة جيوشها الزاحفة ، وأرسل أيتغمش — مملوك أبيه — إلى أتابك إربل يحثه على الكف عن القتال ، والعودة إلى بلده (٤) غير أن مظفر الدين واصل زحفه إلى بلاده ، ولما أيقن صاحب إربل من مسيرة أيتغمش إليه على رأس جيش كبير ، عول على الانسحاب على الرغم من أن حليفه علاء الدين طلب منه البقاء في مكانه ، لكن مظفر الدين عاد إلى إربل خشية من اشتباكه مع قوات أيتغمش (٥) .

كذلك حاول ناصر الدين الأرتقى — أمير ماردين — مد نفوذه إلى

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١١٦

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٧ هـ

(٣) نفس المصدر حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٢ هـ

(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ج ٩ ص ٢٦٥

خلاط ، لكنه لم يستطع لأن أحد عماليك شاه أرمن بن سكران ، اقترح الحكم من صاحب خلاط (١) .

كانت مدينة حلب تتبع أتابكية ماردين قبل استيلاء زنكي عليها ، فاضطربت أحوالها بعد وفاة صاحبها رضوان بن تلش سنة ٥٠٧ هـ (٢) (١١١٧ م) واستدعى أهلها لإيلغازي بن أرتق — صاحب ماردين — سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) وصلوا إليه المدينة (٣) . فأتاب عنه في حكمها ابنه حسام الدين تمرناش ، واستطاع درء خطر الفرنجة عن حلب (٤) . ولما توفي أبوه عاد حسام الدين إلى ماردين وأتاب عنه في حكمها ابنه سليمان (٥) غير أن سليمان مالبث أن ثار على أبيه بتحريض من بعض عماليكه فعزله ، وولى مكانه سليمان ابن أخيه عبد الجبار سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ، ولقبه بدر الدولة (٦) .

لما عجز سليمان بن عبد الجبار عن درء خطر الفرنجة عن حلب ، انتزعها منه مالك بن بهرام بن أرتق سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) (٧) كما استولى على حران ومنبج ، ولم يزل مالك بن بهرام مستولياً على حلب حتى قتل ، فسار إليها تمرناش بن إيلغازي ، وملكها ، غير أن الفرنجة ظفروا بمصدر خطر كبير على حلب ، فاستدعى أهلها البرسقي — صاحب الموصل — فلبى

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٣ هـ

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢

Runciman : A History of the Crusades vol.2 p. 134

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

(٤) Runciman . A History of the Crusades, vol. 2 pp. 151-152

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٨) ابن الوردي : تمة المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٢٢

طلبهم وتيسر له بذلك الاستيلاء على حلب ، ثم خلفه في حكمها ابنه (١) عز الدين مسعود .

اضطربت الأمور في حلب بعد وفاة أتابكها عز الدين مسعود بن البرسقي ، فأصبحت ميداناً للنزاع بين سليمان بن عبد الجبار الأرتقي ، وإبراهيم ابن رضوان السلجوقي (٢) في الوقت الذي أراد فيه الصليبيون الاستفادة من تلك الأوضاع في الاستيلاء على حلب (٣) التي كانت في حاجة إلى حاكم قوى يتولى صد الأخطار التي تهددها (٤) .

رأى زنكي أن الفرصة قد سنحت له للاستيلاء على حلب ، وضمها إلى دولته في شمال العراق ، وكان يأمل من وراء ذلك تكوين جبهة إسلامية متحدة . تيسر لها الوقوف في وجه الخطر الصليبي ، ذلك أن الذي يحكم حلب يستطيع قطع الصلة بين إمارة الرها من ناحية والإمارات الصليبية بالشام من ناحية أخرى (٥) .

وبينما كانت حلب تعاني من الاضطرابات الداخلية (٦) دخلها عماد الدين زنكي حاملاً تقليداً من السلطان محمود بحكمها (٧) ، فوجه اهتمامه إلى إصلاح أمورها (٨) ، كما عمل على تعمير ما خربه الصليبيون في غاراتهم عليها ،

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٧ .

(٢) الميني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١١ .

Archer : The Crusades. p. 199

(٣) ابن المديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٤) Setton : A History of the Crusades. vol. I p. 433 .

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٦٩ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٨) الميني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ٣٢ ورقة ١٢ .

وأقطع أعيانها الأمراء والأجناد (١) ، وأتاب عنه في حكم حلب الرئيس صفى الدين أبا الحسن على بن عبد الرازق العجلاني فأحسن معاملة أهلها (٢) .

اتبع زنكى بعد استيلائه على حلب سياسة تنطوى على ضم الإمارات الإسلامية في بلاد الشام إلى حوزته ، فسار إلى حماة سنة ٥٢٤هـ (١١٢٩م) وكان أتابك دمشق وقتذاك قد ولى عليها ولده سونج بن بوري (٣) — وأدعى أنه يريد محاربة الفرنجة (٤) ، وأرسل إلى تاج الملوك بورى بن طفتكين — أتابك دمشق — يستنجده ، ويطلب منه الجعونة على جهادهم (٥) ، فأجاب طلبه ، إذ كان يخشى جانب بلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — ولذلك أرسل جيشاً إلى ابنه سونج — صاحب حماة (٦) — وأمره بالسير إلى عماد الدين زنكى ، والوقوف إلى جانبه في محاربة الصليبيين (٦) ، لكن

(١) يقول ابن الأثير : لولا أن الله تعالى من على المسلمين بولاية عماد الدين زنكى ، لسكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه ، فانهم كانوا لهم من أتابك طفتكين شغل ومانع عن بعض أقرانهم ، وكانوا متى حصروا حلب وغيرها ، جمع طفتكين عسكره ، وسار نحوهم ، فيرحلون ، فقدر الله تعالى أنه توفى سنة ٥٢٥هـ ، فخلت البلاد بالمرء من حام يذب عنها .

(التاريخ الباهر في الدول الأتابكية من ٣٨٠)

(٢) ابن الوردي : تمة المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٣٤ .
(٣) كانت البلاد الإسلامية في الشام مقسمة بين ثلاث قوى ، الأولى يحكمها بورى ابن طفتكين — أتابك دمشق — ويسيطر على دمشق وحماة في الشمال وحران في الجنوب ، والثانية يحكمها صمصام الدين خير خان بن قراجا أمير حمص ، والثالثة سلطان بن منقذ ، وهو الأمير العربى الذى يسيطر على شيزر . ولم يستطع كل من خير خان و سلطان بن منقذ مقاومة زنكى ، فأعلنوا ولائهما له ، وبذلك لم يبق أمام زنكى سوى تاج الملوك بورى — أتابك دمشق —

ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٨

(٤) أبو المحاسن : التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٢٦

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تلويخ حلب ج ٢ ص ٢٤٥ .

Gibb : The Damascus Chronicle of the
Chusades. p.p. 200-201.

(٦) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨

زنكي غدر بشونج حين وفد إليه ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أصحابه (١) .
ونهب خيانتهم وأتقاهم وأسلحتهم ، فهرب بعضهم ، واحتقل البعض الآخر
في حلب (٢) ، وبذلك تيسر له دخول حماه والاستيلاء عليها (٣) .

أسند زنكي ولاية حماه لعمصام الدين خير خان بن قراجة — صاحب
حصص — بعد أن أدى له مبلغا من المال ، ثم لم يلبث أن غدر به ، فانقض
عليه وحبسه بقلعة حلب ، واتجه بعد ذلك إلى حصص ، فامتنع أولاد عمصام
الدين بقلعتها ، ورقضوا تسليمها (٤) .

استقر رأى شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري — أتابك
دمشق — على استرداد حماه ، فسار إليها سنة ٥٢٧ هـ (١١٢٢ م) وشدد
عليها الحصار ولم تستطع حاميتها الدفاع عنها ، كما أن أهلها طلبوا الأمان ،
فأجاب أتابك دمشق طلبهم (٥) ، وانصرفت حاميتها عن الدفاع عنها ، مما
مهد السبيل لأتابك (دمشق) للاستيلاء عليها (٦) .

هيات الأحوال السياسية في مدينة دمشق الفرصة لعلماد الدين زنكي
الاستيلاء عليها ، وتحقيق أطماعه في إقامة دولته في بلاد الشام ، ذلك أن
أتابك دمشق شمس الملوك إسماعيل كان سعى السيرة (٨) ، فاشتدت كراهة الناس
له ، ولما خشى بأسهم ، أرسل إلى عماد الدين زنكي يطلب منه القدوم إلى
دمشق والاستيلاء عليها (٨) ، وألح في ذلك ، حتى أرسل إليه يقول : « إن

(١) Setton : A History of the Crusades. p. 430

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٣

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٣٤٦

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٣ هـ

المعنى : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان ج ١٢ ورقة ١٦

(٥) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. pp. 219-220

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٣

(٧) نفس المصدر ج ١ ص ٥٧

(٨) Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 457

اهملت المجيء سلمت المدينة إلى الفرنج (٧)، ولما تحقق أصحاب أتابك دمشق من نواياه، عمدوا إلى التخلص منه، وخلفه أخوه شهاب الدين محمود ابن بوري (٣) .

عزل عماد الدين زنكي على المسير إلى دمشق سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وأخذ رسلا قبل وصوله إليها لمحاولة إقناع أهلها بالتسليم، غير أن أهلها لم يستجيبوا للصلح (٤)، فلما بلغها زنكي أخذ في محاصرتها، فواجه مقاومة عنيفة تزعمها معين الدين أنزب — أحد مماليك طغتكين — فاضطر زنكي إلى رفع الحصار عنها، وعقد صلحاً مع أهلها (٤)، وخاصة أن الخليفة المسترشد أمره برفع الحصار عن هذه المدينة والرحيل عنها (٧)، وهكذا ظلت دمشق عقبة كبيرة في سبيل تحقيق سياسة زنكي التي تنطوي على توحيد الجبهة الإسلامية في بلاد الشام .

وعلى الرغم من فشل زنكي في فتح دمشق فإنه واصل سياسته في التوسع في بلاد الشام، فزحف إلى حصص سنة (٢) ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) — وكان

(٣) أبو الفدا: المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧

Runciman: A History of the Crusades p. 197 (٤)

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٥ - ٢٤٦

(١) العيني: عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٧٠

(١) ابن الأثير: السكاهل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٩ هـ

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٧

(٢) كان يحكم حصص صمصام الدين خير خان بن قراجا الذي قبض عليه زنكي سنة ٥٢٤ هـ، وحولى حصص بعده ابنه عين الدين لمبلغان فقتله بعض مماليكه سنة ٥٢٦ هـ، وخلفه أخوه الأمير قریش بن خير خان، وكان يدبر أمره أحد مماليكه واسمه خرتاش، الذي سلم حصص للأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري — أتابك دمشق — فلما قتل شمس الملوك، وولى بعده أخوه شهاب الدين، سلم حصص للأمير معين الدين أنزب — مملوك جده طغتكين — وقد حال بين زنكي وبين الاستيلاء على حصص.

ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٤٣

(ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥٨)

يحكمها معين الدين أنر نائباً عن أتابك دمشق — وحاصرها فترة من الوقت (١) .
غير أنه ما لبث أن رفع الحصار عنها حين علم أن الصليبيين أتوا لنجسها (٢) .
لم يكف عماد الدين زنكى عن محاولة ضم البلاد الإسلامية في الشام
إلى حوزته فاستولى على حصن المجدل (٣) ودخلت بانياس في طاعته (٤) .
ثم عاد إلى محاصرة حمص ، لكنه ما لبث أن رفع الحصار عنها حين هاجم
الإمبراطور البيزنطى حنا كومنين حلب (٥) ولما عاد الإمبراطور البيزنطى
إلى بلاده ، طارد زنكى الهجوم على حمص غير أنه توقف عن مهاجمتها بعد
أن تحسنت العلاقات بينه وبين أتابك دمشق الذى وافق على ضم حمص إلى
حوزته ، ونزل زنكى له عن بعدين وحصنين آخرين (٦) .

على أن زنكى ما لبث أن أتاحت له فرصة أخرى لتحقيق أطماعه في
دمشق (٧) حين قتل أتابكها الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بيد
غلمائه سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) إذ أرسلت والدته — وهى زوجة عماد
الدين زنكى — تطلب منه القدوم إلى دمشق ، والتأثر لابنها ، فاعد زنكى
العدة للزحف إلى هذه المدينة سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) ، غير أن أهلها الذين
أخلصوا لبيت بورى ، حشدوا قوات كبيرة للدفاع عن مدينتهم (٨) كما أن
معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — أفسد على زنكى أطماعه ، فقبض

(١) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 242

(٢) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨

(٣) مجدل : اسم بلد بالحماير ، إلى جانبه تل عليه قصر

('فاقوت مصجم البلدان ج ٧ ص ٣٨٧ ') .

(٤) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٤ .

Runciman : A History of the Crusades vol. 2 p. 261

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢ .

Stevenson . The Crusaders in the East. p. 142

(٧) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 254

(٨) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٦ .

على زمام الأمور في دمشق ، ثم بحث في طلب جمال الدين بوري — أمير بعلبك — ليحبل محبل أخيه (١) أتابك دمشق ، فلما ولي الحكم ، فوض لمعين الدين أثر تدبير الأمور في أمارته (٢) ، فتصدى لزنيكي وحال دون استيلائه على دمشق (٣) .

وعلى الرغم مما واجه زنيكي من صعوبات في سبيل الاستيلاء على هذه المدينة فإنه لم يقلع عن سياسة التوسع فسار إلى بعلبك وحاضرها (٤) . غير أن أهلها استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم ، ولما رأوا أن لا طاقة لهم بزنيكي وجنده طلبوا منه الأمان ، فأمنهم (٥) ، وسلموا إليه المدينة (٦) ، كما استلمت حامية قلعتها بعد أن ينست من النصر (٧) .

لما فرغ زنيكي من ضبط الأمور في بعلبك ، عول على المسير إلى دمشق محاولاً فتحها للمرة الثالثة ، فأرسل قبل شروعه في مهاجمتها إلى أتابكها جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري يطلب منه النزول عن دمشق مقابل إعطائه حصص أو بعلبك (٨) ، لكن أتابك دمشق رفض هذا العرض ، فلم

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ .
 (٢) ابن العديم . زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٢
 (٣) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠
 (٤) Zoe olden Bourg; Les Croisades, p.521
 (٥) المعينى : عقد الجمان في أخبار الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١١٤
 (٦) لما استولى زنيكي على بعلبك نكث بالعهد الذى منعه لأهلها ، فاعتدى على الرجال والنساء والأطفال اعتداءً ظالماً ، ويقول ابن الأثير : إن الناس استعجبوا منه ذلك ، وخالفوه وحذروه ، ولا سيما أهل دمشق ، فانهم قالوا : لو ملكنا بفعل ذلك ، فجدوا في محاربته .

- (٧) الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ .
 Setton . A History of the Crusades vol. 1. p. 549
 (٨) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٩
 ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣
 (٩) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٦

يوجد زنكى بدأ من الزحف إلى هذه المدينة سنة ٥٣٤هـ (١) (١١٣٩م) غير أن أتاكها توفي في ذلك الوقت ، وحدث خلاف بين أفراد بيت بوري على من يتولى الحكم في دمشق (٢) ، فاستغل زنكى ذلك الخلاف ، وشد هجماته على المدينة (٣) غير أن معين الدين أنر مالبث أن قضى على هذه الخلافات ، وولى مجير الدين ابق بن جمال الدين أتاكىة دمشق (٤) ثم استقر رأيه على الاستنجد بمملكة بيت المقدس الصليبية ، فأرسل أسامة بن منقذ مبعوثاً إلى ملكها (٥) فولك ، فحذر من خطر زنكى إذا ما استولى على دمشق (٦) ، وكان لحديثه تأثير بالغ في نفوسهم ، وخاصة بعد أن ضم إلى حوزته حمص وحماه وحلب وبعليك (٧) ، ولم يبق أمامه سوى دمشق ، فأيقنوا أن امتلاكه هذه المدينة يمكنه من تكوين جبهة إسلامية في بلاد الشام وشمال العراق تشكل خطراً كبيراً عليهم (٨) . كذلك عرض أسامة ابن منقذ رسول معين الدين أنر - نائب أتاك دمشق - على ملك بيت المقدس الاستيلاء على بانياس (٩) - وكانت وقتذاك تابعة لزنكى - فجمع الصليبيون جموعهم ، وتأهبوا للزحف إلى دمشق لمعاونة معين الدين أنر في الذود عنها (١٠) . ولما علم عماد الدين زنكى بذلك ، سار إلى حوران ، معزماً لقاء الصليبيين قبل أن يجتمعوا مع أهل دمشق على قتاله (١١) . غير أن الصليبيين

(١) (ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ) .

Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p- 259

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥ - ١٦

(٤) ابن الوردي : تنمة المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٤٣

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ٨١

(٦) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٧٢

Archer : The Crusades. p. 195 (٧)

Zoe OldenBourg : Les Croisades. P. 468 (٨)

Runciman : A History of the Crusades. vol 2 pp. 226-227

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(١٠) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٣

(١١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٨

مالبثوا أن عدلوا عن خطتهم ، وظلوا في بلادهم ، فعاد عماد الدين زنكي إلى حصار دمشق (١) .

أمامعين الدين أنرفائه سار إلى بانياس ، وحاصرها وأوقع الهزيمة بصاحبها ، وقتل كثيراً من رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على البلدة ، وتسليمها إلى الفرنجة (٢) تحقيقاً لوعده (٣) .

لما بلغ زنكي حصار بانياس ، وتسليمها إلى الفرنجة ، عظم ذلك عليه وعول على الانتقام منهم ، فأغار على صور وأعمال دمشق (٤) ، ثم حاصر هذه المدينة ، واضطرب أهلها حين شاهدوا في الصباح عسكر زنكي محاصراً لبلدهم (٥) . غير أن زنكي مالبت أنرفع الحصار ، ورجع إلى مرج راهط لأن كثيراً من جنده كانوا متفرقين (٦) ، فلما عادوا إليه يحملين بالغنائم ، وحل بهم عائداً إلى الموصل (٧) ،

انقسمت مملكت زنكي بعد وفاته سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) بين ولديه سيف الدين غازي ، ونور الدين محمود ، فاحتفظ الأول بالموصل ، على حين تمكن نور الدين محمود من تثبيت قوته في حلب ، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور (٨) .

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦ .

Setton ; A History of the Crusades vol. 1.p 460

(٣) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

Grousset : Histoire des Croisades vol. 2 p. 2 p. 137

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٩٨٦

(٥) Setton : A History of the Crusades vol I. p. 460

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٨٩

(٧) ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٤

ولما ولي قطب الدين مودود الموصل سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) طمع أخوه نور الدين محمود في بلاده ، وشجعه على ذلك بعض أمراء الموصل الذين أرسلوا إلى نور الدين يلحون عليه في المسير إليهم ، فقصده سنجار ، واستولى عليها (١) . غير أن الأخوين ما لبثا أن عقدا صلحاً ، أعاد نور الدين محمود بمقتضاه سنجار إلى أخيه قطب الدين ، واتفقا على أن تكون ديار الجزيرة لقطب الدين مودود وأن يبقى الشام لنور الدين (٢) .

ولي حكم الموصل بعد وفاة قطب الدين مودود ابنه سيف الدين غارى ولما علم نور الدين محمود باستعداد وزيره نحر الدين بأمر الموصل عول على المسير إليها لتدبير ملك أولاد أخيه (٣) ، فعبث القرات على رأس قوة من الجند سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) ، واستولى على الرقة وسار إلى الحابور ، وتغلب عليه كما فتح نصيبين ، وهناك انضم إليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود - صاحب حصن كيفا (٥) - فازداد عدد قواته . الأمر الذى شجعه على المسير إلى سنجار ، فحاصرها وملكها (٦) ، ثم سار إلى الموصل ، واستولى عليها ، وعزل وزيرها نحر الدين (٧) ، ورفع عنها ما كان يعانيه أهلها من أنواع المظالم واتبع هذه السياسة في كل من نصيبين والحابور وسنجار (٨) ، ثم ترك لسيف الدين حكم الموصل ، ومع ذلك عين أحد رجاله سعد الدين كمشتكين نائباً عنه في هذه الإمارة وهكذا اتسعت سلطة

١ (١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ .

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٧) Grousset : Histoire des Croisades. p558

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٩) (٧ م - بلاد الجزيرة العربية)

نور الدين محمود ، فأصبح يحكم بلاد الجزيرة (١) ، غير أن سيف الدين غازي ما لبث أن استرد هذه البلاد التي استولى عليها عمه نور الدين محمود (٢) .

٤ — الأيوبيون :

كان شاذي أو شاذي أبو صلاح الدين يوسف كرديا من بلدة من قرية بالقرب من أذربيجان ، ويكتشف أصل أسلافه الغموص ، ولا يمكن قبول الرواية التي ردها الذين عملوا في خدمة بني أيوب والتي تزعم أن صلاح الدين ينسب إلى أصل عربي عريق — آل مروان — ، وكان شاذي قد هاجر إلى بغداد ومعه ولداه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه وقد تولى دزدانية قلعة تكريت بمساعدة مواطن يدعى بهروز ، وكان له شأن في حكومة بغداد ، رتوفي شاذي في تكريت خلفه أيوب ، وفي سنة ٥٢٦ هـ / ١١٢٠ م هزمت سلاجقة بغداد جيوش أتابك زنكي — أمير الموصل — بالقرب من تكريت ، فساعده نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه على النجاة — وهما من أتباع خصومه — وداويا جراحاته ، وخدماه أحسن خدمه ، وحمله إلى قلعة تكريت ، وأقام بها خمسة عشر يوما حتى عولجت جراحاته ، واستراح من آلامه ، ولما اعتزم العودة إلى الموصل أعوزه الظاهر ، فأعطياه جميع ما عندهما من الظاهر ، حمل عليها أمتعته ، فكان عماد الدين زنكي يقدر هذا الجميل لنجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، ويعرف لهما هذه الصنيعة ، وبالطبع لم ترض بغداد عن هذا العمل ، وعزلت نجم الدين أيوب لأن مساعدته لزنكي اعتبرت عصيانا على الدولة العباسية فترك نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه تكريت سنة ٥٣٢ هـ سنة ١١٣٨ م وقصدا زنكي في الموصل ، ودخلا في خدمته ، وفي

(١) ابن قاضي شهاب : التكملة في الدرر ورقة ١٤٩

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٨ ص ٧

الدلالة التي غادر فيها نجم الدين أيوب تكريت ، ولد له يوسف صلاح الدين .

رحب زنكي كل الترحيب بأيوب وشيركوه ، وأقطعهما الأقطاعات واشتر كما معه في حروبه ، فأعانه على فتح بعلبك ، وعهد زنكي بحكمها إلى أيوب في أوائل سنة ٥٣٤ م سنة ١١٣٩ م ، وبعد وفاة زنكي حاولت جيوش صاحب دمشق أن تستعيد بعلبك ، ولما وجد أيوب نفسه غير قادر على الاحتفاظ بها انضم إليه باختياره ، وأصبح عنده قائدا ممتازا بل كبير القواد .

وبقى شيركوه في خدمة نور الدين محمود - صاحب حلب - وعول نور الدين على الاستيلاء على دمشق ، فعرض على شيركوه أن ينتزعها من يد أخيه أيوب ، واتفق الأخوان فيما بينهما ، ودخل شيركوه المدينة من غير قتال سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وبالع نور الدين في اكرام أيوب وعينه حاكما على دمشق ، وتولى شيركوه حكم حمص ، وتوارث أبناؤه حكمها .

تطلع نور الدين محمود إلى ضم مصر إلى حوزته ، وانتهاز فرصة ضعف الخلافة الفاطمية في مصر ، وتنافس كبار رجال الدولة على تقلد الوزارة ، بل إن بعضهم استعان بأمراء الدول المجاورة لتحقيق أطباعهم ، مما ترتب عليه تطلع هؤلاء الأمراء إلى بسط سلطاتهم على مصر ، فقد تقلد شاور الوزارة في عهد الخليفة العاضد ، ولم يلبث أن ثار عليه ضرغام - أحد قواد الجيش - وتقلد الوزارة ، فأضطر شاور إلى الإلتجاء بنور الدين محمود لمعاونته في استعادة منصبه ، فأرسل حملة إلى مصر يقودها أسد الدين شيركوه تصدت لضرغام ، وتغلبت عليه ، وعاد شاور إلى الوزارة ، ولم يلبث أن تخلى عن حليفه نور الدين فطلب من شيركوه العودة إلى بلاد الشام ، وبعث أماريك - ملك بيت المقدس الصليبي - يستنجد به ، ويخوفه من نور

الدين إذا تمكن من الديار المصرية ، فسارع إلى تلبية طلبه ، وأرسل جيشاً أرغم شيركوه على العودة بجنده إلى الشام .

وكان لهذه السياسة أثرها في توجيه أنظار كل من نور الدين - صاحب دمشق - والصليبيين في بيت المقدس إلى غزو مصر ، ثم تابعت حملات أسد الدين شيركوه والصليبيين على مصر ، وانتهى الأمر بانتصار حملة شيركوه الثالثة ، ودعوة أماريك - ملك بيت المقدس - من غير حرب ولا قتال ، ثم أسند الخليفة العاضد الفاطمي إلى شيركوه منصب الوزارة بعد تخلفه من شاور ، غير أن شيركوه لم يستمر طويلاً في الوزارة . فتوفي بعد قليل ، واستدعى الخليفة الفاطمي صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وولاه الوزارة .

وكان الخليفة الفاطمي مسلوب السلطة مع صلاح الدين الذي عمل على تدعيم مركزه في مصر ، . يحاطة نفسه بأهل بيته ، فطلب من نور الدين محمود أن يرسل إليه أباه وأقاربه ، واسند إليهم بعض المناصب كما وجه اهتمامه على القضاء على المذهب الشيعي في مصر ، ولما أيقن من إنهيار سلطة الخليفة العاضد أمر بإقامة الخطبة للخليفة المستضيء بالله العباسي وإسقاط أسم العاضد من الخطبة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ولم يعلم الخليفة العاضد بهذا التغيير لمرضه ، ثم توفي بعد ذلك بقليل . وبذلك سقطت الدولة الفاطمية .

ولم تلبث أن نشبت الخلافات بين صلاح الدين يوسف وسيدته نور الدين محمود ، وذلك لأن صلاح الدين بعد أن كان وزيراً للعاضد ، خلاله الجو بعد وفاته ، وصار يخطب باسمه بعد أسم الخليفة العباسي وسيدته نور الدين ، واعتزم الاستقلال بمصر عن الدولة النورية ، فوطد نفوذه في مصر ، وقضى على العناصر الموالية للفاطميين في مصر بفضل شجاعته وإقدامه ، ودانت له مصر بالاء والطاعة .

على أن نور الدين محمود لم يتقاضى عن نزعة صلاح الدين الاستقلالية
فاعتزم غزو مصر ، وأخذها من صلاح الدين ، ولكن نور الدين لم يلبث
أن توفي دون أن يحقق غرضه . وبذلك ترك الميدان خاليا أمام صلاح
الدين . وقامت منافسة شديدة بين أمراء نور الدين محمود في حلب ودمشق
وأمراء بنى زنكى في إقليم الجزيرة شمال العراق حول من يخلفه في حكم
الدولة النورية .

واستقر رأى الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك - أحد كبار رجال
دولة نور الدين محمود - على تولية الصالح اسماعيل مكان أبيه نور الدين سنة
٥٦٩ هـ - (١١٧٣ م) (١) حتى لا يطمع سيف الدين غازى بن مودود -
صاحب الموصل (٢) - فى الاستيلاء على حلب . غير أن سعد الدين كشتكين -
نائب نور الدين محمود فى الموصل - ما لبث أن سار إلى حلب ، وقبض على
شمس الدين محمد ، وانفرد بأتا بكية الصالح اسماعيل (٣) .

ولما علم صلاح الدين الأيوبي باستبداد سعد الدين بأمور حلب ، وتديره
شؤون ابن سيده نور الدين محمود عظم ذلك عليه وأنكره ، واتخذ من
ذلك ذريعة لتحقيق رغبته فى السيطرة على الشام (٤) ، فسار إلى حلب
متظاهراً أنه يريد الاشراف على تنشئة الملك الصالح (٥) .

أثار اتجاه صلاح الدين إلى حلب مخاوف أتباع الملك الصالح اسماعيل
وأيقنوا أن الملك سينتقل منه إلى صلاح الدين (٦) ، فأرسلوا إلى سيف الدين

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ .
ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٨ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٧ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٥ .
(٤) الميمنى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٥٤٦ هـ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٧ .
(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٤ .

غازى - أتابك الموصل - يطلبون منه القدوم إليهم للوقوف إلى جانب الملك الصالح ضد أطماع صلاح الدين (١).

غير أن صلاح الدين أرسل إليهم يحذرهم من منعه من دخول حلب ، وتدير أمر دولة الملك الصالح ويقول : « لو أن نور الدين علم أن فيكم من يقوم مقامى ، أو يثق إليه مثل ثقته بى لسلم إليه مصر التى هى أعظم ممالكه وولاياته ، ولو لم يعجل عليه الموت ، لم يعهد إلى أحد بتربية ولده ، والقيام بخدمته غيرى ، أو أراكم قد تفردتم بمولاى وابن مولاى دونى وسوف أصل إلى خدمته ، وأجازى انعام والده بخدمة يظهر أثرها ، وأجازى كلامكم على سوء صنيعه فى الذب عن بلاده (٢) .

وكان صلاح الدين قد ضم إلى حوزته فى ذلك الوقت دمشق (٣) وحصص وحماه وبعلبك . ولما قصد حلب ، استنجد أهلها بالصليبيين (٤) ، فهاجموا حصص ، واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عن حلب (٥) ، وتأهب لصد الصليبيين عن بلاده (٦) .

استجاب سيف الدين غازى لنداء ، أهل حلب ، وأرسل جيشاً إليها لاعتقاده أن صلاح الدين قد استفحل خطره وعظم شأنه ومن ثم وجه اهتمامه إلى الوقوف فى وجهه حتى لا يستحوذ على البلاد ، وتترطد فيها

-
- (١) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشرا ج ٣ ص ٦ .
 (٢) المبنى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الثانى ج ١٢ ورقة ٥٤٧ .
 ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٢٢ .
 (٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٣٦ .
 (٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣ .
 (٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والحاسن اليوسفية ص ٣٩ .

Setton : A History of the Crusades Vol. I. p. 567

Archer : The Crusades p. 243

سلطته (١)، فأرسل جيشاً بقيادة أخيه عز الدين مسعود لمعاونة ابن عمه الملك الصالح في صد صلاح الدين عن بلاده . كما هاجم سنجار وكان صلاح الدين قد طلب إلى أتايكها الوقوف إلى جانبه في وجه صاحب الموصل (٢)، لكنه لم يلبث أن رفع الحصار عنها بعد أن فشل في الاستيلاء عليها (٣)، كما أوقع صلاح الدين الهزيمة بجيشه الذي أرسله للدفاع عن حلب (٤).

عول سيف الدين غازي بعد هزيمة جيشه في حلب على محاربة صلاح الدين الأيوبي (٥)، فأعد جيشاً كبيراً سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) سار به من الموصل وبصحبة أخوه عز الدين مسعود، غير أن صلاح الدين رغبة منه في تجنب الحرب، أرسل إلى سيف الدين يعرض عليه الغزول عن حصن وحماه، على أن يقره على دمشق، ويكون فيها نائبا عن الملك الصالح اسماعيل . فلم يجب طلبه (٦)، وقال : « لا بد من تسليم جميع ما أخذ من بلاد الشام، والعودة إلى مصر (٧)، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على اعداد العدة لمحاربته، والتقى مع عز الدين مسعود بالقرب من مدينة حماه (٨) في موضع يقال له قرون حماه (٩)، حيث دارت معركة انتهت بانتصار صلاح الدين وهزيمة جيش الموصل (١٠)، ثم تابع صلاح الدين تنفيذ خطته،

- (١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٤ .
- (٢) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٥٨ — ٥٩ .
- (٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٠ .
- (٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦٠ .
- (٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ .
- (٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦٠ .
- (٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٥ .
- (٨) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ٦ ص ٥٩ .
- (٩) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤١ .
- (١٠) أبو شامة : الزوابع في أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٤٧ — ٢٥٧ .

Lamb, The Crusades, p.43

Lane-Poole : Saladin. P.139

فسار إلى حلب ، وظل محاصرا لها حتى اضطر أهلها إلى طلب الصلح (١) على أن يكون له ما يئده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ، فأجابهم إلى ذلك ، ورحل عن حلب (٢) .

لم يوافق سيف الدين غازي بن مودود على ذلك الصلح الذي تم بين أهل حلب وصلاح الدين ، فأرسل إليهم يطلب منهم تقضه ، وأعد العدة لمحاربة صلاح الدين (٣) وحشهم على الاشتراك معه في محاربته ولم يكتف بذلك بل أرسل إلى ريموند الثالث - أمير طرابلس - يطلب مساعدته على صلاح الدين ، وأنفذ إليه أسرى الصليبيين المحتجزة عنده ، رغبة في استمالته إليه أما صلاح الدين فإنه عقد هدنة مع مملكة بيت المقدس حتى يتفرغ لمحاربته سيف الدين غازي بن (٤) مودود الذي حشد كل قواه لطرد صلاح الدين من دمشق ، ولم يتفرد وحده بمحاربته بل استنجد عليه بأمرأه كيفاوماردين وسنجار (٥) ، وانضم إليه قوات من حلب ، وساروا جميعا إلى دمشق سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) (٦) . غير أن صلاح الدين أعد العدة لصددهم ، وبعث في طلب جيش كبير من مصر (٧) والتقى في معركة كبيرة مع أتاكك الموصل وحلفائه عند تل السلطان (٨) - على الطريق بين حلب وحماه - انتهت

(١) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب . تاريخ حماه ص ٢٧١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ .

المقرئى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٥٩ .

Runciman : A History of the Crusades. Vol.2 p.626

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ٣٦

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٦

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦٩

(٦) Lane-Poole : Saladin. p.143

(٧) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٧٢

(٨) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٥٥

بأحراره النصر ، واستيلاءة على كثير من الأموال والذخائر (١)
ثم وجه أهتمامه لمحصرة حلب ، واضطر أهلها إلى مصالحةة بعد
أن طال حصارها (٢) .

ولما توفي سيف الدين غازى بن مودرد - أتابك الموصل سنة ٥٧٦ هـ -
(١١٤٠ م) خشي أهلها من مطامع صلاح الدين فى بلدهم فولوا عليهم عز
الدين مسعود - أخا سيف الدين غازى - لكبر سنه ، لما عرف عنه
الشجاعة وحسن السياسة . (٣) .

ومما يجدر ذكره أن الصالح اسماعيل صاحب حلب توفي أيضا فى هذه
السنة وأوصى بأن يخلفه ابن عمه عز الدين مسعود (٤) فى حلب حتى تتألف
من حلب والموصل جبهة واحدة تستطيع الصمود فى وجه صلاح الدين (٥)
لذلك سارع عز الدين مسعود إلى تنفيذ وصيه ابن عمه ، وسار قاصدا حلب (٦)
ودخلها وتولى الحكم فيها (٧) ، ثم ثار أهل حماه على أميرهم ، ونادوا بعز
الدين مسعود أميرا عليهم (٨) ، كما أن أمراء حلب أطمعوا عز الدين فى

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٠٦

المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٥٩

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٩١

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٨٠

(٤) Rauciman : The Kingdom of Jerusalem.p.433

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٠٨

(٦) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٧٧

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٢

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٠٨

في السير إلى دمشق (١) لكنه لم يستجب لهم ، بل نزل عن حلب لأخيه
عماد الدين زنكي بن مودود - صاحب سنجار - (٢) وهكذا لم يقيسر له إقامة
جبهه إسلاميه تضم الشام والعراق (٣) .

رأى صلاح الدين الأيوبي أن الخطر يتهده من ناحيه وجود بني زنكي في
الموصل وحلب ، ومن ثم عمل على التخلص منهم ، كما بلغه أن أهل الموصل
استعانوا بالصليبيين عليه ، (٤) وشجعه مظفر الدين كركبوري ، أتابك
اربيل - على غزو الموصل ، وأظهر استعداداه لمدة بكل ما يحتاج إليه (٥)
فكان ذلك مما يسر عليه أمر الزحف إلى الموصل ، فاستولى في طريقة إليها
على بعض مدن الجزيره . ثم شرع في محاصرة الموصل (٦) غير أن صاحبها
عز الدين مسعود أعد عدته لصد هذا الحصار (٧) فحشد فيها عددا ضخما
من العساكر ما بين فارس وراجل واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عنها

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٧

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والحاسن اليوسفية ص ٤٥

(٣) لما دخل عز الدين مسعود حلب ، جاءته رسل من أخيه عماد الدين - صاحب
سنجار - يطلب أن يسلم إليه حلب ، ويأخذ عوضاً عنها مدينة سنجار فرفض لإجابة طلبه
فهدده عماد الدين بقوله : «لأن سلكت إلى حلب وإلا سلكت أنا سنجار إلى صلاح الدين» ،
فخشي عز الدين من عاقبة هذا العمل ، ووافق على تسليم حلب لأخيه ، وأخذ سنجار
عوضاً عنها ، وعاد إلى الموصل . (ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية
ص ١٨٣) وابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٠١

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٦١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٧ .

تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٨٠ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٩ .

Ruucimau : The Kingdom of Jerusalem. p.433

(٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٣١ .

Lane Poole : Saladiu. p.165

بعد أنه عجز عن الاستيلاء عليها (١) ثم قصد سنجار ، فخرج إليه أهلها مرحبين بمقدمه (٢) .

رأى عز الدين مسعود - أتابك الموصل أن يستعين على خصمه صلاح الدين ببعض أمراء وأتابكة البلاد المجاورة ومنهم شاه أرمن - صاحب خلاط وقطب الدين بن نجم الدين - صاحب ماردين (٣) - وسار عز الدين مسعود مع حلفائه خارج الموصل للقاء صلاح الدين ، قبل أن يهاجم بلاده (٤) ولما علم صلاح الدين بإجتماع هذه الجيوش اضطر إلى العودة إلى الشام (٥) كما عاد كل أمير إلى بلده (٦) .

واصل صلاح الدين سياسته التي تنطوى على ضم بلاد الجزيرة إلى حوزة فلما دخل نور الدين محمد بن قرأ أرسلان - صاحب حصن كيفا - في طاعته حرصه على المسير إلى آمد (٧) ، فاستجاب له ، وزحف إليها (٨) ثم شرع في حصارها (٩) ٥٧٩ هـ (١١٨٣) وأرسل صلاح الدين إلى أهلها بعدهم بحسن المعاملة أن سلموا البلدة له (١٠) فكفوا عن القتال ، وطلبوا الأمان واقضوا من حول صاحبهم ، ورجعوا بانضمام بلدهم إلى حوزة صلاح الدين فأعطاهم أمانا ، ومكنوه من الاستيلاء على آمد (١١) فولى عليها نور الدين بن

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاسن اليوسفية ص ٤٦ .

(٢) محمد بن شاهنشاه : مضار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٨ هـ .

(٤) القريري : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٢٠ .

(٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاسن اليوسفية ص ٤٦ .

أبو المعاسن : التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٩

(٦) Runciman : The Kingdom of Jerusalem. p.434

(٧) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاسن اليوسفية ص ٤٦

(٨) Lane-Poole : Saladin. p.172

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ

(١٠) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٣٩

(١١) تاج الدين بن شاهنشاه : مضار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٤

قرأ أرسلان - صاحب حصن كيفا - وكتب له تقليدا بأعمالها (١) فأخذها بما فيها من الأموال والذخائر (٢) واشترط عليه صلاح الدين أن يحسن معاملته الرعية ، ويقدم بينهم العدل (٣) ، ثم وفد إلى صلاح الدين رسل من قبل صاحب ماردين وبعض أمراء بلاد الجزيرة يطلبون الأمان ، فأجاب طلبهم (٤) .

غادر صلاح الدين الأيوبي العراق بعد أن زادت هجمات الصليبيين في بلاد الشام ، وحشد جيشا كبيرا ضم جندا من البلاد (٥) المجاورة ، وحاصر حلب ، فقاومه أهلها مقاومة عنيفة (٦) ، غير أن أميرها عماد الدين زنكي بن مودود ، أرسل إلى صلاح الدين سرا يعرض عليه نزوله عن حلب مقابل إعادته إلى سنجار ، فوافق صلاح الدين على ذلك (٨) واشترط عليه أن يكون على أهبة الاستعداد للقتال معه . وبذلك خلا الجو لصلاح الدين في حلب ، فضمها إلى حوزته بعد أن غادرها صاحبها إلى سنجار (٩) امتد نفوذ صلاح الدين إلى شمال العراق ، ولم يبق خارجا على طاعته سوى الموصل ، لذلك عاود مهاجمتها بعد أن بلغه أن عسكر الموصل قد أغار على أربل وأعمالها ، فبعده هدنة مع ريموند الثالث - أمير أنطاكية والوصي

-
- (١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٦
 سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٧٥
 (٢) تاج الدين شاهنشاه : مضمهر الحقائق وسم الخلائق ص ١٣٨
 (٣) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٢٦
 (٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٤٢
 (٥) Runciman : The Kingdom of Jerusalem. p. 435
 (٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٦
 المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٨٠
 (٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ
 (٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٦٧
 (٩) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٥٥ ، ١٩٤

على ملكة بيت المقدس - مدتها أربع سنوات (١) وطلب من حلفائه في بلاد الجزيرة معاونته في فتح الموصل (٢) فاستجاب له كل من معز الدين سنجر شاه - أتابك الجزيرة - ونور الدين قرا أرسلان - صاحب حصن كيخا - ودارا ، وزين الدين على كجك - صاحب أربل - وعماد الدين قرا أرسلان - صاحب ماردين (٣) . ولما بلغ صلاح الدين الموصل سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) حاصرها غير أن حرارة الجو حالت دون الاستمرار في القتال ، كما أبى أهلها بلاء حسنا (٤) ، واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عنها بعد أن بلغه وفاة شاه أرمن ابن سبكان الثاني - صاحب خلاط (٥) دون أن يترك وراثته خلفه . وقد رأى صلاح الدين أن يستغل هذه الفرصة لضم خلاط إلى حوزته (٦) غير أنه فشل في ذلك ، وسار إلى ميفارقين (٧) وبعد أن تمكن من الاستيلاء عليها أسند ولايتها إلى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطى (٨) ، ثم عاد إلى حصار الموصل للمرة الثالثة ، (٩) لكن أهلها طلبوا مصالحةً (١٠) ، كما أن أتابكها عز الدين مسعود يش من مساعدة الخليفة والسلاجقة له (١١) ، فنزل لصلاح الدين بمقتضى الصلح الذي عقده معه عن شهر زور وأعمالها ، وجميع ما وراء الزاب من البلاد والقلع والحصون ، وولاية بني قفجاق وغيرها (١٢) ، كما وافق على إقامة الخطبة

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
Lane Poole : Saldin. p.192
(٢)
(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ص ٤٤
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٩٦
(٥) للقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٨٩
(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٣٨٣
(٧) Lane-Poole : Saladin. p. 192
(٨) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ص ٥٦
(٩) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماء ص ٢٨٦
(١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٩٤
(١١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٦٢
(١٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

لصلاح الدين بدلا من سلاطين السلاجقة (١) ، وتعهد فضلا عن ذلك بأن
ينفذ عسكره لمعاونة صلاح الدين وينقش اسمه على السكة (٢) . وهكذا
تيسر لصلاح الدين مد سلطانه إلى جميع بلاد الموصل والجزيرة (٣) .

وجه أتابكة الموصل والجزيرة اهتمامهم بعد وفاه صلاح الدين إلى
التخلص من نفوذ بني أيوب (٤) ، فسار عز الدين مسعود إلى نصيبين (٥)
سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) ، كما وفد اليه أخوه عماد الدين زنكي - صاحب
سنجار - وأرسل عز الدين إلى أمراء البلاد المجاورة للموصل يستمدهم ،
لكن الملك العادل - الذي خلف أخاه صلاح الدين - عول على الاحتفاظ
بسيادته على بلاد الموصل والجزيرة ، فأعد جيشا كبيرا وزحفت إلى حران
في طريقه إلى الموصل (٦) وضم إلى حوزته الرقة والخابور (٧) ثم قصد
ماردين وحاصرها ، واستطاع أن يستولى على بعض أعمالها (٨)

استقر رأى نور الدين قرأ أرسلان - صاحب الموصل - على استخلاص
ماردين من الملك العادل ، وانضم إليه قطب الدين بن عماد الدين زنكي -
أتابك سنجار - ثم سارت القوات المتحالفة إلى ماردين (٩) ، وكان الملك
العادل بن أيوب قد أناب عنه الملك الكامل في حصارها فاشتبك مع جند الموصل

(١) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٩٠

(٢) ابن الأثير : في التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٥

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٣٧

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٢

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ

ابن واصل : مغرر السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٩

(٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٣٨

(٨) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٩٢

(٩) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٣٦

وسنجار في معركة دارت فيها الدائرة عليه، فاضطر الى رفع الحصار عن ماردین، ثم عاد الى حران سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨ م) (١).

كان لا تنصار صاحب الموصل وسنجار على بنى أيوب في ماردین أثر بالغ، في تشجيعهما على المسير الى حران، ومالبثا أن استوليا عليها وعلى أرها، ثم انضم اليهما صاحب ماردین. غير أن الرسل سعوا بين بنى أيوب وأمرأ الموصل وسنجار وماردین في الصلح، وبخاصة بعد أن علموا أن الملك العادل بن أيوب قد زال عنه الخطر الذي كان يهدده من ناحية ابني أخيه الملك الأفضل والملك الظاهر (٢).

وكان الملك العادل يطمع في استعادة ماردین، فعهد سنة ٥٩٩هـ (١٢٠٢ م) الى ابنه الأشرف موسى بمحاصرتها (٣) وانضم اليه عسكر الموصل وسنجار ولما تعذر على صاحب ماردین مقاومة جيوش خصومه، أرسل الى العادل يطلب الصلح (٤)، فأجاب طلبه. وكان مما تضمنه هذا الصلح أن يؤدي صاحب ماردین للعادل مائة وخمسين ألف دينار، ويقيم له الخطبة في بلاده وتضرب السكة باسمه (٥) ويمده بالجند اذا ما طلبها منه (٦).

حدثت بين نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود - أتابك الموصل وقطب الدين محمد بن زنكي الثاني - أتابك سنجار - خلافات ترجع الى أن صاحب سنجار، دخل في خدمة الملك العادل، وأقام الخطبة له في بلاده، فخشى نور الدين من عاقبة هذا العمل على نفسه وبلده، فهاجم أتابكيه

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ١٩٥

(٢) ابن واصل: مفرج السكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٢٩.

(٣) اللقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ١٦١

(٤) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٣٨

(٥) اللقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١٩١

(٦) ابن الأثير السكاه في التاريخ حوادث سنة ٥٩٩هـ.

سنجار سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) ، وبدأ بمدينة نصيبين ، فظل يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها . وفي أثناء حصارها ، هاجم مظفر الدين كوكبوري بعض بلاد الموصل ، حتى يضعف من شأن أتاكها ، ويرغمه على رفع الحصار عن نصيبين (١) .

لم يكتف نور الدين بانتزاع نصيبين من صاحب سنجار ، بل سار إلى تل يعفر - وكان صاحبها وقتذاك - قطب الدين محمد - فحاصرها وضمها إلى حوزته ، ثم عمل على ترتيب أمورها ، وعاد إلى الموصل (٢) .

رأى صاحب سنجار بعد هذه الاعتداءات التي تعرضت لها بلاده أن يستنجد بالملك الأشرف موسى بن الملك العادل - صاحب ديار الجزيرة وخلاط - الذي سار من حران ، وانضم إليه أصحاب أربل وآمد والجزيرة (٣) ، فضلاً عن أخيه الملك الأوحى نجم الدين - صاحب ميافارقين - وقد صارت قوات الملك الأشرف وحلفائه نحو الموصل ، والتقت بصاحبها نور الدين على مقربة من هذه المدينة في معركة حلت فيها الهزيمة به ، وتفرق عسكره (٤) ، ولم يكتف الملك الأشرف بهذا النصر الذي أحرزه ، بل تابع زحفه حتى دخل الموصل ، ثم ترددت الرسل بين الملك الأشرف ونور الدين صاحب الموصل في الصالح (٥) . غير أن الملك الأشرف اشترط أن يعاد تل يعفر إلى قطب الدين - صاحب سنجار - (٦)

(١) أبو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٢

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ

ابن الأثير التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٢

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٥٩

(٤) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ١٩٣

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٥٧ - ١٥٩

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ

فوافق نور الدين على ذلك وتم عقد الصلح بين الفريقين سنة (١) ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م).

امتدت أطماع الملك العادل أبو بكر بن أيوب - صاحب مصر ودمشق - إلى بلاد سنجار وجزيرة ابن عمر ، فدارت مراسلات بينه وبين نور الدين قرا أرسلان - صاحب الموصل على تقسيم هذه البلاد بينهما ، على أن تكون بلاد قطب الدين - صاحب سنجار - للملك العادل ، وجزيرة ابن عمر لنور الدين ، ولما عزم الملك العادل على تنفيذ هذا الاتفاق نزل بجران (٢) ، حيث انضم إليه صاحب خلاط وميفارقين ، وصاحب آمد وحصن كيفا وغيرهم من الأمراء ، ثم زحف إلى سنجار سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٥ م) على رأس جيش كبير فرأى صاحبها قطب الدين أنه لا قبل له بمواجهة العادل وجنده ومن ثم أرسل إلى الملك العادل يعرض عليه أخذ سنجار ، على أن يعرضه عنها ، غير أن أهلها رفضوا هذا العرض (٣) ، وأعدوا العدة لمقاومة الملك العادل الأيوبي الذي زحف إلى مدينتهم (٤) ، وشرع في حصارها مما اضطر صاحبها إلى الاستنجاد بالخليفة العباسي وأمراء البلاد المجاورة . واتفق مظفر الدين كوكبوري - صاحب أربل - ونور الدين أرسلان شام - صاحب الموصل ، وصاحب ماردين على رفع الحصار عن سنجار (٥) ، كما أنفذ الخليفة العباسي رسلا إلى الملك العادل تطالب منه عدم التعرض (٦) لأتابك سنجار ، وانتهى الأمر بأن رفع العادل الحصار عن سنجار ، وخاصة بعد أن حدثت خلافات بين أمراء بني أيوب في بلاد الشام (٧).

(١) أبو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٨

(٤) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ج ٨ ص ٤١

(٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٤١
(م - ٨ بلاد الجزيرة)

عهد الملك العادل قبل وفاته ببلاد الجزيرة التي كانت في حوزته إلى الملك الأشرف موسى . ولما ثار عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه على بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل استعان بالملك الأشرف (١) ، ودخل في طاعته سنة ٦١٥ (١٢١٨ م) ، كما أن محمود بن قطب الدين محمد - صاحب سنجار - عرض عليه أن يسلم إليه سنجار على أن يعوضه عنها بمدينة الرقة ، فوافق الأشرف على ذلك سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) . ثم عقد صلحاً مع صاحب ماردين ، على أن يعطيه رأس عين ، ويؤدى إليه ثلاثين ألف دينار (٢)

رأى مظفر الدين كوكبوري - صاحب أربل - أن الملك الأشرف موسى ازداد نفوذه حتى أصبح يهدد بلاده ، ومن ثم وجه سياسته إلى إضعاف شوكتها ، فتحالف سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) مع شهاب الدين غازي - صاحب خلاط - والملك المعظم عيسى - صاحب دمشق - وساروا نحو بلاد الملك الأشرف ، غير أن حليف مظفر الدين ما لبث أن توقف عن مهاجمة بلاد الملك الأيوبي (٣) . أما مظفر الدين كوكبوري فإنه سار إلى الموصل ، وحاصرها ، لكن صاحبها بدر الدين لؤلؤ ، أحكم أمورها ، فاضطر مظفر الدين بعد أن امتنعت عليه البلد إلى الرحيل عنها . لكنه لم يلبث أن عاد إلى مهاجمتها (٤) بعد أن اتفق مع بعض أمراء الجزيرة وديار بكر على قصد بلاد الأشرف ، غير أن الأشرف أحبط محاولته (٥) .

عول الملك الأشرف على الانتقام من الأمراء الذين تحالفوا مع صاحب

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٠٦

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢١ هـ

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البصر ج ٣ ص ١٤٠ - ١٤١

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٨٠

عُذِل فهاجم ماردين سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٨ م) وطاع جنده فيها تخريباً ونهباً كما حرض علاء الدين كيقباد - صاحب بلاد الروم السلاجقة - على المسير إلى بلاد الملك المسعود - صاحب آمد - مما حمله على أن يتعهد للملك الأشرف الأيوبي بعدم مخالفة أعدائه (١).

على أن آمد لم تنتج من أطماع ملوك الأيوبيين ، فوحف إليها الملك الكامل الثاني سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) وحاصرها ، وانزعها من صاحبها الملك المسعود بن محمود ، كما استولى على البلاد التي كانت تابعة له ، وضمها إلى حوزته (٢).

ولما توفي الملك الكامل طمع بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل في سنجار - وكانت تتبع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل فهاجمها (٣) واستولى عليها سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) (٤) كما امتلك جزيرة ابن عمر (٥) سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م).

(١) أبو القدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٤٤

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٥٦ - ١٦٠

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ١٧٠

(٤) حاصر بدر الدين لؤلؤ سنجار سنة ٦٣٥ هـ ، فاستنجد صاحبها الملك الصالح الأيوبي بالخوارزمية ، وبذل لهم حراة والرها في مقابل تجديده فوقفوا إلى جانبه في حشد غارات جند الموصل وهزمهم وفي سنة ٦٣٦ هـ اتفق الملك الصالح مع أخيه الجواد يونس - صاحب دمشق وأعمالها - على أن يحكم الملك الصالح دمشق بدلا من سنجار على حين على الجواد يونس حكم سنجار وهاته والركة . ولما استقر الجواد يونس حكم سنجار ، عاد بدر الدين لؤلؤ إلى مهاجمتها ، والاستيلاء عليها

(٥) أبو القدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧٠ ، ١٧٢

(٥) محمد علي عوني : تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص ١٦٤

عما تقدم يمكن القول أن علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بأمراء البلاد الإسلامية المجاورة ، تغيرت تبعاً لقوة الأتابكة وضعفهم ، فاستطاع الأتابكة إبان قوتهم بسط سيطرتهم على مساحات كبيرة في شمال العراق وبلاد الشام ، فاتسع نفوذ نجم الدين أيلغازي — صاحب ماردين — ، في ديار بكر ، وسيطر على بعض مدن الشام وبسط عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — سلطانه على شمال العراق ، وبعض مدن الشام . ولمحة صغف شأن الأتابكة هجزوا عن صد هجمات بني أيوب .

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أقاليم الموصل والجزيرة

١ — مع البيزنطيين

٢ — مع الصليبيين

٣ — مع المغول

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ - مع البيزنطيين :

لم يقف البيزنطيون إلى جانب الصليبيين في حروبهم مع أتابكة الموصل والجزيرة عندما بدأوا يوجهون حملاتهم إلى أطراف بلاد الشام والعراق لأنهم رفضوا تنفيذ الاتفاق الذي عقده معهم (١) ، والذي يقضى بأن يسلم الصليبيون البيزنطيين البلاد التي يستولون عليها على اعتبار أن هذه البلاد كانت ملكا للدولة البيزنطية قبل أن يستولى عليها المسلمون (٢) فلما استولى الصليبيون على أنطاكية سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) سار إليها كربوقا - أتابك الموصل - وسقان بن أرثق - أمير ماردين - لاستعادتها (٣) ، وحاصر المسلمون أنطاكية ، وشددوا عليها الحصار حتى نفذت منها الآقوات (٤) ، فاستنجد الصليبيون بالامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين ، لكن الامبراطور أعرض عنهم (٥) الأمر الذي شجع كربوقا على تشديد هجماته على أنطاكية (٦) ، وكادت المدينة تسقط في أيدي المسلمين لولا الخلافات التي ظهرت بين قادتهم ، والتي شجعت الصليبيين المحاصرين بأنطاكية على هزيمتهم وتشيت شملهم (٧) .

(١) Settan : A History of the Crusades. Vol. I p. 313-314

(٢) Runcimon : A History of the Crusades. Vol I p. 224

(٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٥

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٣٦

Runciman : A History of the Crusades. Vol. I p. 237

(٦) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٦

(٧) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٣٧

كذلك عمل الامبراطور الكسيوس كومنين على الاستفادة من الهزيمة التي ألحقها أتابك الموصل والجزيرة بالصليبيين في موقعة حران سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٣ م) ، فاسترد البلاد التي انتزعها منه الصليبيون في الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى (١) وأرسل أسطولاً استعاد اللاذقية والبلاد الواقعة على الشاطئ بين اللاذقية وانطراطوس (٢) ، ولم يكتف الامبراطور البيزنطي بذلك ، بل أنفذ رسولا إلى السلطان السلجوقي سنة ٥٠٤ هـ (١١١١ م) يعرض عليه عقد تحالف معه لمحاربة الصليبيين ، وطردهم من بلاد الشام (٣) .

على أن البيزنطيين عادوا إلى التحالف مع الصليبيين بعد أن تابعت انتصارات عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — على الفرنجة في بلاد الشام (٤) وفتح حصن بارين سنة ٥٣٢ هـ (١١٢٧ م) (٥) الذي مكّنه من بسط سيطرته على حماه وحمص - (٦) واعترف الأمير ريموند دي بواتيه أمير أنطاكية - بالسيادة البيزنطية على إمارته (٧) ووافق البيزنطيون على الاشتراك مع الفرنجة في إلتقاط حملة صليبية كبرى لتحطيم قوة عماد الدين زنكي في بلاد الشام ، (٨) في مقابل أن يعزل ريموند عن أنطاكية للامبراطور

Stevenson : The Crusaders in the East. pp. 78-79 (١)

Grousset : Histoire des Croisades. Vol. I d. 414 (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ

(٤) يذكر ابن واصل أن رجال الدين الفرنجة قصدوا القسطنطينية ، واستنجدوا بالبيزنطيين على عماد الدين زنكي لأنه هاجم بارين ، وحذروا الروم من سقوط بارين في أيدي أتابك الموصل ، وإبادة من فيها .

(٥) مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢٧٦)

(٥) ابن التلاني : ديل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 439 (٦)

Cambridge Medieval History. Vol. 4 p. 359 (٧)

(٨) ابن المكثيم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١

البيزنطى ، ويتخذ ريموند لنفسه إمارة تشمل حلب وشيزر وحماه وحصص
بعد انتزاع هذه البلاد من المسلمين (١) .

أحاط البيزنطيون حملتهم على بلاد الشام بالسرية والسكران ، (٢)
فأرسل إمبراطورهم حنا كومنين إلى عماد الدين زنكى يؤكد له أنه لن
يحاربه (٣) كما أن ريموند ألقى القبض على جماعة من التجار المسلمين ، وعلى
المسافرين من أهل حلب (٤) حتى لا تنسرب أنباء الاستعدادات الصليبية
إلى زنكى (٥) .

سار الإمبراطور البيزنطى حنا كومنين إلى بلاد الشام (٦) سنة (٥٣٢ هـ
- ١١٣٧ م) على رأس جيش كبير تساعده جيوش أنطاكية والرها (٦)
ولما بلغت قوات الروم نزاعة - وهى على مقربة من حلب - حاصروها وشدوا
عليها الحصار ، (٧) حتى اضطر أهلها إلى طلب الأمان من الإمبراطور
البيزنطى (٨) ، فأجاب طلبهم ، غير أنه مالبث أن تكث بالعهد بعد استيلائه
على البلدة ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً (٩)

كان عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - يحاصر حمص أثناء هجوم

(١) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 213

(٢) Vasiliev : A History of the Byzantine Empire. p. 416

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٥) Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2 p. 215

(٦) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨١ .

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٥

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢

Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2, p. 215

البيزنطيين على بزاغة ، (١) فخشى أهل حلب من مهاجمة البيزنطيين لهم ، فصار فريق منهم إلى عماد الدين زنكى ، وطلبوا منه النجدة . فسير معهم جنودا كثيرا . ودخلوا حلب ليحولوا دون مهاجمة الروم لها (٢) . ولما أغار بعض فرسان الروم على حلب ، قاتلهم أهلها ، وقاتل عماد الدين زنكى قتالا شديدا ثلاثة أيام ، وأوقعوا بهم خسائر فادحة ، مما اضطرهم إلى الرحيل عنها والمسير إلى قلعة الأتاب (٣)

خشى أهل الأتاب بأس قوات الروم . فهربوا منها ، مما أعان الروم على امتلاكها (٤) ، كما امتلكوا معرة النعمان وكفر طاب (٥) على أن سيف الدين سوار (٦) - نائب زنكى بحلب - لم يقف مكتوف اليدين . حينما هاجم الروم الأتاب ، بل عول على استعدادتها ، فصار إليها على رأس جيش كبير ، وحمل على الروم حملة مكنته من استعادة الأتاب (٧)

فارق عماد الدين زنكى حمص ، وزحف إلى سلبية - من أعمال حماه ثم عبر الفرات إلى الرقة ، ومنها أخذ يقتبع البيزنطيين ، ويقطع الطريق عنهم ، وكان ذلك مما حمل الروم على عدم التوسع في الاستيلاء على البلاد الخاضعة لزنكى في الشام ، فقصدوا قلعة شيزر - وصيقوا عليها الحصار

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٥

Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 439

(٢) ابن واصل : مفرج السكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٢ هـ

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٥

(٥) يذكر ابن العديم أن سوارا كان فى خدمة يورى بن طمسكين - أتابك دمشق - وتركه ، ودخل فى خدمة عماد الدين زنكى ، فأقطعه إقطاعات كثيرة ، وولاه حلب وأعمالها ، واعتمد عليه فى قتال الفرنجة ، فظهرت شجاعته ومقدورته الحربية فى قتال الصليبيين . (زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٤٥)

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 194

(٦) ابن واصل : مفرج السكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

حتى يتيسر لهم السيطرة على أواسط وادي نهر العاصي ، ليحولوا
دون تحقيق أطماع عماد الدين زنكي في بسط سيطرته على المزيد من
الأراضي الشامية (١)

استنجد سلطان بن منقذ — صاحب شيزر — بعماد الدين زنكي (٢)
بعد أن أشرفت البلدة على الهلاك ، وقتل كثير من أهلها (٣) ، فاستجاب
زنكي لطلبه ، ونزل على نهر العاصي بالقرب من شيزر ، (٤) وشرع في
مهاجمة الروم ، (٥) كما عمد إلى مد البلدة بالرجال والعتاد والمؤن ، (٦) ولم
يكف بذلك ، بل أرسل إلى الامبراطور البيزنطي يحذره من مغبة
مواصلة القتال (٧) .

كذلك طلب عماد الدين زنكي من بني أرتق في ديار بكر معاونته في
محاربة الروم ، فسار داود بن أرتق إلى بلاد الشام على رأس جمع كبير من
التركمان لقتال البيزنطيين (٨) سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) وخرجت عساكر

(١) Runciman : A history of the Crusades Vol. 2 p. 215

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٥ .

(٣) ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٧ هـ

(٤) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ٨١

(٦) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨١ .

(٧) أرسل زنكي إلى الامبراطور يحذره ويقول : « إنكم قد تحصنتم مني بهذه
الجبال فأنزلوها إلى الصغراء حتى تلتقي ، فإن ظفرت بكم ، أراحت المسلمين منكم
وإن ظفرت مني استرحتم ، وأخذتم شيزر وغيرها » . ولقد كان لتحذير زنكي أثر بالغ
على إمبراطور الروم حتى أنه رفض نصيحة الفرنجة له في مواصلة القتال ، وقال لهم :
« أظنن أن له من المسكر إلا ما ترون ، إنما هو يريد أن تلقونه ، فيجيشه من نجدات
المسلمين ما لا حده » .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٥ — ٥٦

أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨١ — ٨٢

(٩) ابن التميمي : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٨

من دمشق نجدة لعماد الدين زنكى، كما أنفذ أتابك الموصل رسولا من قبله إلى السلطان السلجوقى مسعود يستنجد به ويحذره من التوانى عن نجاته ويبلغه أن الروم زاحفون إلى حلب، (١) وإن امتلكوها عبروا الفرات قاصدين بغداد، فاستجاب السلطان السلجوقى لطلبه، (٢) وأعد عشرة آلاف فارس للمسير إلى بلاد الشام، (٣) وفى نفس الوقت أرسل زنكى قوات للاغارة على آسيا الصغرى ليوجه اهتمام البيزنطيين إليها (٤)

على أن الامبراطور البيزنطى لم يواصل مهاجمة البلاد الخاضعة لزنكى لأن حليفه أميرى أنطاكية والرها، انصرفا إلى تحقيق آريهما الخاصة عن الوقوف إلى جانبه (٥) فضلا عن ظهور الخلاف بين أمراء الفرنجة، وتجدد العداء بينهم وبين البيزنطيين فكان جوسلين الثانى - أمير الرها - يخشى من انتصار الفرنجة والبيزنطيين على المسلمين، (٦) لاعتقاده أن زعيمهم سيحصل عقب النصر - بمقتضى الاتفاق بينه وبين البيزنطيين - على حلب وغيرها من البلاد الاسلامية (٧) وبذلك يصبح قريبا منه، وهذا ما كان يحذر منه جوسلين (٨)

وقف زنكى على الخلافات بين الفرنجة والبيزنطيين، فعمل على زيادة

(١) ابن واصل مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٠ - ٨١

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٢ هـ

(٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦

ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة لأتابكية ص ٥٦ - ٥٧

(٤) Runciman: A history of the Crusades Vol. 2. p. 216-247

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٠ - ٨١

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨١

(٧) Runciman: A history of the Crusades. Vol. 2 p. 216

(٨) Setton: A hist. of the Crusades Vol. I p. 440

(٩) أسامة بن من ١٢٣ مثلاً: الاعتبار ١ - ٢١٤

تأفرقة (١) بينهما، ولما رأى الامبراطور البيزنطى أن جهوده لن تكفل بالنجاح بسبب موقف الفرنجة منه ، ومقاومة عماد الدين زنكى له ، رحل عائداً إلى بلاده ، فسار زنكى فى أثره وقضى على كثير من قواته ، وغنم مغانم كثيرة ، وبذلك فشلت الحملة الصليبية على بلاد الشام فى إضعاف نفوذ أنابك الموصل فى هذه البلاد ، بل اتسع سلطانه باستيلاء قواته على كفر طاب والآنارب (٢).

لم يشترك البيزنطيون بعد ذلك مع الفرنجة فى حرب ضد عماد الدين زنكى بسبب قيام الخلافات بينهما ، ولما سقطت الرها فى أيدى زنكى سنة ٥٢٩ هـ - (١١٤٤ م) عاد ريموند - أمير أنطاكية - إلى محالفة البيزنطيين ليقفوا إلى جانبه فى وجه زنكى الذى أصبح يشكل خطراً كبيراً على إمارته (٣) فسار إلى القسطنطينية ، وأعلن ولاءه للامبراطور البيزنطى مانويل كومنين ، فعفا عنه ، ووعده بمساعدته ضد عماد الدين زنكى (٤) .

غير أن تحالف البيزنطيين مع الصليبيين لم يمكن الصليبيين من درء خطر القوات الإسلامية ، فهزم نور الدين محمود ، ريموند - أمير أنطاكية - وقتله سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) (٥) ، واستولى على معاقل وحصون

(١) أرسل عماد الدين زنكى إلى الامبراطور البيزنطى يحذره بأن الفرنجة فى الشام خائفون منه ، فلوفارق مكانه ، تخلفوا عنه ، وبعث إلى الفرنجة يخوفهم من الامبراطور البيزنطى ، ويقول لهم : إن امبراطور الروم إن ملك حصنا واحداً فى بلاد الشام ملك بلادكم جميعاً . (ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦)

ابن واصل : مفرج الكروبي فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨١ - ٨٢)

Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 441 (٢)

Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 pp. 265-266 (٣)

Grousset : Histoire des Croisades, Vol. pp. 228-229 (٤)

(٥) أبو شامة : الروشتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٥٧ - ٥٨

أنطاكية شرقى نهر العاصى (١) بينما وقع جوسلين الثانى - أمير تل باشى - أسيرا فى أيدي المسلمين (٢) .

ولما عرض الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين على بترس - زوجة جوسلين الثانى ، والوصية على إمارة الرها - شراء ما تبقى من البلاد التابعة لإمارة الرها ، وافقت على الفور ، واستولى الامبراطور على هذه البلاد سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٠ م) (٣) على أن الامبراطور البيزنطى لم يستطع الاحتفاظ بها لبعدها عن مركز الامبراطورية البيزنطية ، وقرىها من البلاد الاسلامية (٤) ، الأمر الذى شجع الأمراء المسلمين على انتزاع هذه الحصون من البيزنطيين ، فاستولى نجم الدين ألبى بن تمر تاش الأرتقى - صاحب ماردين - على سمساط والبيرة سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) (٥) . أما نور الدين محمود ، وسلطان سلاجقة الروم ، فقد استولى على بقية هذه البلاد (٦) .

لم يقف العداء بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين البيزنطيين عند هذا الحد فقد انضم قطب الدين مودود - أتابك الموصل - وقرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - ونجم الدين ألبى بن تمر تاش - صاحب ماردين - إلى نور الدين محمود فى حروب مع البيزنطيين والصليبيين عندما هاجم حارم سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) وقد انتهت هذه الحروب بانتصار نور الدين محمود وأتابكة الموصل والجزيرة على أعدائهم البيزنطيين والصليبيين (٧) .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢١

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٦ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢٢

(٣) Stevenson : The Crusaders in the East. p. 168

(٤) Setton : A History of the Crusaders Vol. I. p. 534

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٤٤

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٢٣

٢ - مع الصليبيين

قبل أن نتحدث عن دور الأناجيل في قهر الصليبيين نجد بنا أن نناقش أسباب الحروب الصليبية .

الحروب الصليبية من الناحية النظرية تعتبر حرباً مقدسة ، والفرس عنها والدافع إليها تأمين طريق الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس والأراضي المقدسة المحيطة به ، والتي كان يمتلكها المسلمون ، ولقد استنشق رجال الدين في أوروبا المسيحيين حول ضرورة تخليص الأرض المقدسة ، ورأوا أن ذلك أفضل سبيل يسعى إليه الإنسان لتخليصه من الذنوب والخطايا التي اقترفها من وسائل طلب المغفرة من الله الوقوف في الأراضي المقدسة التي وقف بها المسيح والرسول في أمن وسلام . ورأت الكنيسة أن خير وسيلة لتخليص بيت المقدس هو دفع أمراء الاقطاع إلى حمل السلاح والذود عن القدس بدلاً من أن يحاربوا بعضهم بعضاً ، وعلى ذلك يمكن اعتبار الحروب الصليبية إصلاحاً للمحاربين من الناحية الدينية ، وإذا كان من مبادئ الفروسية الأساسية الدفاع عن كل ما هو حق ، فإن الدعوة للحروب الصليبية دعوى لمهاجمة كل ما هو باطل ومنكر . وهذا الباطل من وجهة النظر البابوية - وجود بيت المقدس في أيدي المسلمين . والفارس الذي يستجيب لنداء البابوية يشبع في نفسه غريزة المقاتلة بمهاجمة بلاد الشرق ، والسعى إلى تخليص الأراضي المقدسة ، وفي الوقت نفسه يرضى الجانب الروحي من طبيعته وهو التماس الخلاص وغفران الذنوب .

والحروب الصليبية قامت لإنقاذ المسيحية من الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها من السلاجقة الذين ازداد نفوذهم وقوى أمرهم وهددوا الدولة البيزنطية ، وأضعفوها بعد انتصارهم الرائع على البيزنطيين في معركة ملازكرد ، مما دعا إلى استنجد الأباطرة البيزنطيين بالبابوية لتخليص ما فقدوه

من ممتلكاته في آسيا الصغرى ، فأرسلت أوروبا الحملة الصليبية الأولى . على أن الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين لم يكن يقصد من هذه الاستغاثة سوى استرداد ما فقدته من ممتلكات ، ولم يقصد حملة تتجه إلى بيت المقدس كما حدث فعلاً إذ فوجئ بحملة تضم مئات الألوف من الأوروبيين المسلحين يقودهم أمراء لا يخضعون للامبراطور البيزنطى ، ووجهتهم الأولى تخلص بيت المقدس .

ويجب أن نشير هنا إلى أن الحروب الصليبية لم تحدث لأسباب دينية فقط ، بل لأسباب أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية كذلك ، ومن هذه الأغراض مطامع الأمراء والنبلاء في تكوين إمارات في الشرق ، والحصول على منتجات الشرق ومتاجره بدون وساطة وبأثمان معقولة ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بإنشاء مستعمرات في الشرق تكون مراكز تجارية هامة . ولقد حدثت مجاعات في أوروبا ، وساءت الأحوال الاقتصادية في كثير من بلدانها الأمر الذى دفع الكثيرين إلى الاتجاه إلى الشرق ليحيوا حياة أفضل . ولا يغيب عن الأذهان مقدار البؤس الذى كان يعيش فيه الفلاح في أوروبا في المصور الوسطى في ظل نظام الاقطاع ، ومدى الاستغلال الذى كان يعرض له من السيد الاقطاعى وإرهاقه بالضرائب . كل ذلك دفع الكثيرين منهم إلى البحث عن الخلاص من الجور الذى تردى فيه ، فكان الشرق وما عرف عنه من سعة في الرزق ووفرة في الخيرات خير ملاذ يلوذ به الفلاح الأوروبى لتحسين معيشته .

بدأت الدعوة للحرب الصليبية في مؤتمر كلير مونت في جنوب فرنسا في خطاب مشهور دعا فيه البابا أريان الثانى إلى مساعدة البيزنطيين ، وأشار إلى ما يحيط بالمسيحية من خطر داهم نتيجة تقدم الترك السلاجقة ، ودعا

الناس إلى المبادرة بمحاربة المسلمين ، في حملة نظامية ، وذلك ضمان بقبول التوبة وغفران الذنوب .

ولقد أثار البابا بخطابه حماس المجتمعين في أرجاء المجمع حتى أنهم هتفوا بعبارات كهكذا أراد الله ، وأعقب ذلك مسارعة الألوف إلى حمل الصليب واتخاذهم شارة لهم . وحدد خطة الحملة وموعد سيرها ، وقرر بأن تكون القسطنطينية مكاناً يلتقى فيه الصليبيون .

ونلاحظ أن فكرة الحروب الصليبية قد نبتت في أرض فرنسية ، ودعا إليها بابا من أصل فرنسي ، ولذلك اعتبرت الحروب الصليبية من الأعمال الفرنسية ، يضاف إلى ذلك أن المملكة التي أقامها الصليبيون في الشرق كانت فرنسية في نظامها وعاداتها وتقاليدها ، وكانت فرنسا مهد الفروسية الذي زود الجيوش الصليبية بخيرة الفرسان ، وفعلاً حشدت فرنسا جيشاً قوياً يتقدمه أمراء الاقطاع ، وهم الذين كانوا على استعداد لأن يقوموا بمغامراتهم الحربية الجريئة ، ورأى الفرنسيون أن الحروب الصليبية فرصة للخروج من الأوضاع السيئة التي عانوها نتيجة الحروب والأوبئة والمجاعات ولعب النورمانيون دوراً هاماً في الحروب الصليبية لأنهم يحجون التجوال والترحال ، ويتحمسون للدين وأهله ، لذلك كانوا حلفاء مخلصين للبابوية .

الحملة الصليبية الأولى :

تشمل الحملة الصليبية الأولى حملتين ، يطابق على الأولى حملة الشعوب ، والآخرى يطلق عليها حملة الأمراء . أما حملة الشعوب فهي أسبق في قيامها من حملة الأمراء ذلك أن خطاب أريان الثاني في كليرمونت كان ، الزاد الذي تزود به المبشرون الذين جاؤوا البلاد يدعون للحروب الصليبية ، وأشهر هؤلاء المبشرون بطرس التاسك الذي عرف عنه المقدرة على إثارة حماس الجماهير ، وهو قسيس فرنسي يحاول تأدية فريضة الحج فيما مضى ،

غير أنه لم يتيسر له ذلك بسبب ما لقيه من الأتراك السلاجقة من سوء المعاملة ، فاضطر إلى العودة إلى بلاده ، واشتهر بطرس بأنه كان يسير حافي القدمين رث الثياب ، لا يأكل الخبز ولا اللحوم ، إنما يعيش على السمك وشرب النبيذ ، ولقد كان شديد الحمس للدعوة الصليبية ، واستطاع بشكله الأسطوري أن يؤثر تأثيرا بالغيا في العوام في غرب أوروبا^(١) .

لم يشهد بطرس الناسك مجمع كبير مونت ، بل بدأ رحيله للدعوة الصليبية قبل انعقاد هذا المؤتمر ، وظاف على حماره الأعرج ييلاد أوربا مثل أورليان وشامبني واللورين ، وانتهى به المطاف في كولونيا على نهر الرين حيث أمضى عطلة عيد الميلاد ، ومن كولونيا بعث بتلاميذه ومريديه إلى الجهات التي لا يستطيع أن يزورها ، وأخذ بطرس يتنقل من جهة لآخرى راكبا حماره مبشرا بالحروب الصليبية ، فكثرت جمعه حتى زاد أنصاره على خمسة عشر ألفا ، وهاجروا رجالا ونساء منازلهم وحقوقهم ، وازداد عددهم بمن انضم إليهم من الألمان . فتكون من هؤلاء الفقراء خمس جموع ، قبل حلول الموعد الذي حدده البابا لاجتماع الجيوش الصليبية بالقسطنطينية وهو مايو ١٠٩٦ .

غير أن ثلاثة من هذه الجموع لم تصل إلى القسطنطينية ، إذ هلك أغلبها أثناء اجتيازهم بلاد المجر ، بسبب ما ارتكبه من أعمال السلب والنهب أثناء سيرهم ، فتعرض لهم المجرىون ، ومزقوا شر ممزق ، أما الجمعان الآخران فقد وصلا إلى العاصمة البيزنطية فعلا ، وقاد أولهما والتر المفلس ، والثاني بطرس الناسك ، بعد أن فقد كثيرا من أنصاره بسبب اعتداءات البلغاريين عليهم . وقد أحسن الإمبراطور البيزنطي معاملة أفراد الحملتين على الرغم مما ارتكبه هذه الجموع من تخريب وتدمير في

البلاد الأوربية التابعة للإمبراطور ، وعبرت هذه الجموع مضيق البوسفور في أغسطس ١٠٩٦ (١)

واشتبكت هذه الجموع الغفيرة بالأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى وهزمهم السلاجقة ، وقتلوا منهم كثيرين . وقد حاول الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين إنقاذ هذه الحملة ، فأرسل عدداً من السفن ، وصلت بعد فوات الأوان ، وحملت الفلول للمزومة إلى القسطنطينية (٢) . وهكذا فشلت حملة العامة في تحقيق أهدافها .

حملة الأمراء .

حدث هذا وأمراء وفرسان أوروبا يعدون المساعدة للسير إلى الشرق وقسموا حملتهم إلى ثلاثة أقسام ، يقود كل فريق أمير من أمراء أوروبا المعروفين بالشجاعة والفطنة ، وتولى جود فري وأخوه بلدوين قيادة جيش اللورين ، وأخذوا طريقهم عبر المجر فالقسطنطينية فبلغوها في ديسمبر ١٠٩٦ م ٤٩٠ هـ . أما ريموند — أمير تولوز ، وأول من حمل الصليب من الأمراء — فقد قاد جيشه من البروفنس وبلغوا القسطنطينية في أبريل سنة ١٠٩٧ م ٤٩١ هـ ، بينما سار يوهيموند مع ابن أخيه تانكرد على رأس النورماندين بطريق البحر إلى القسطنطينية ، فوصلوها في الوقت الذي بلغها فيه ريموند ، وبلغ القسطنطينية أمراء آخرون يشودون جيوشاً أوربية من بلدان مختلفة من القارة الأوربية ، غير أن دورها كان ثانوياً إذا قيس بالدور البارز الذي قام به الأمراء الذين تحدثنا عنهم .

ومهما يكن من أمر فقد تجمع في القسطنطينية جيش كبير قدره بعض

Runciman : A Hist. of the Crusades . 1 . p. 114 (١)

Grousset : Hist. des Croisades . I . P. 5 (٢)

المؤرخين بأكثر من نصف مليون مقاتل من بينهم أكثر من مائة وخمسين ألف فارس من شجعان أوروبا وأشدائهم^(١). وكانت تكتنف العلاقات الصليبية البيزنطية بعض الصعوبات ، فحينما وجد الامبراطور البيزنطي الكسيوس نفسه أمام جموع الصليبيين الضخمة كان عليه أن يواجه أحد أمرين ، إما يعتبر الأمراء حلفاء له ، وفي ذلك عليه أن يشترك مع هؤلاء الأمراء بحيشه ويحارب في الشرق معهم ، ويقاسمهم مكاسب الحرب وغنائمها ، وإما يعتبرهم أتباعا له ، يقسمون له يمين الولاء والطاعة ويحاربون بأمر منه ، وكل الأراضي والمكاسب من الحروب تؤولان للامبراطور البيزنطي ، وقد تشبث الامبراطور بالفكرة الثانية ، وحمل الأمراء على أن يقسموا يمين الولاء والتبعية له ، واعتبر الأراضي التي تؤدي إلى بيت المقدس أراض «بيزنطية» انتزعها المسلمون ومن حقه استردادها بعد أن يفتحها الصليبيون^(٢).

على كل حال عبر الصليبيون البسفور أوائل مايو ١٠٩٧. ٤٩١ هـ إلى أملاك قلع أرسلان في آسيا الصغرى ، وحاصروا نيقية - عاصمة السلاجقة - وشددوا عليها الحصار حتى استولوا عليها ، وانضمت إلى الدولة البيزنطية ، بحجة أنها كانت ملكا لها من قبل ، لذلك ارتاب الصليبيون في نوايا الامبراطور ، ووقفوا على مدى استغلاله لهم . على أن الصليبيين رغم ذلك واصلوا زحفهم في آسيا الصغرى وهزموا كل من اعترض طريقهم من السلاجقة ، واستولوا على مدن آسيا الصغرى

بلدوين والرها :

استطاع الأمير بلدوين أن يحرز تقدما كبيرا ، وأن يستولى على كثير من المواقع والمدن والقلاع في شمال الجزيرة . - وذلك بفضل مساعدة العنصر الأرمني الذي كانت له السيادة في تلك الجهات ، والذي نظر إلى تقدم

Runciman : A Hist. of the Crusades. I. p. 163

(١)

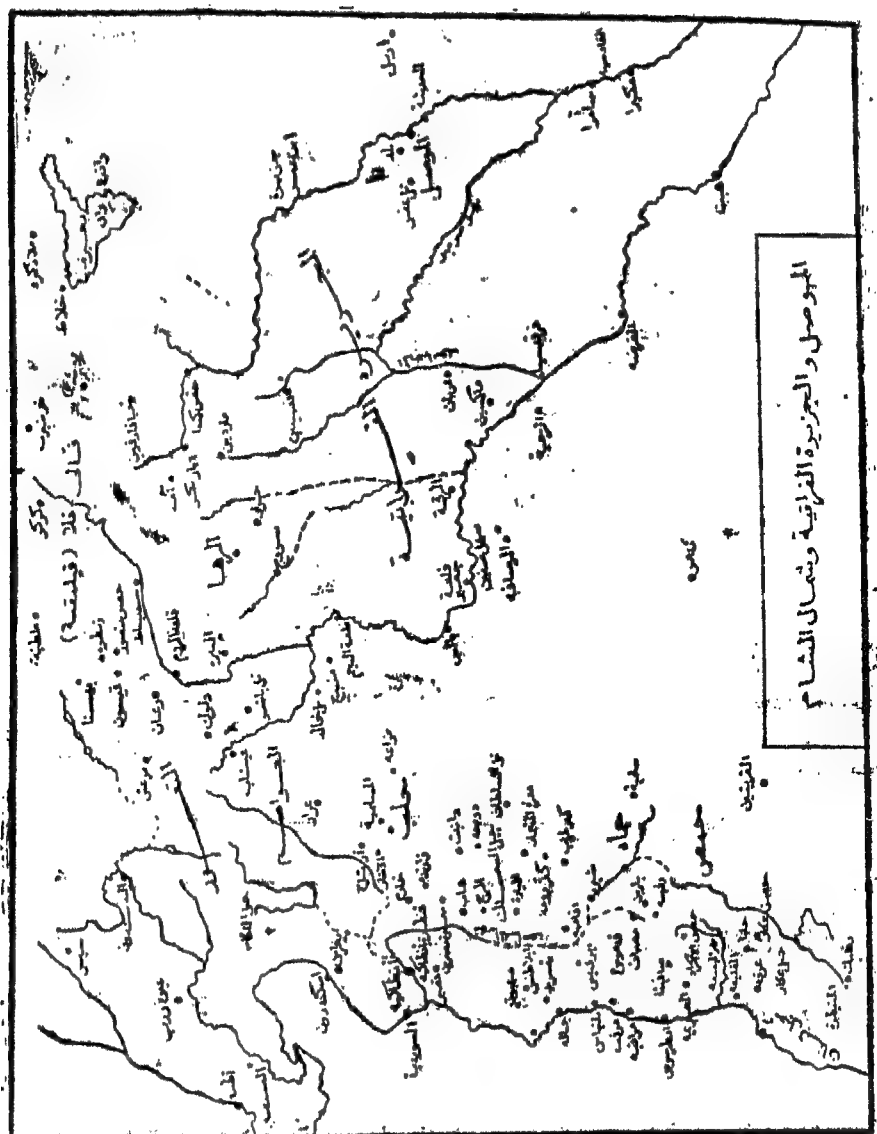
IBID p. 47

(٢)

الصلبيين بعين الرضا للتخلص من حكم الأتراك المسلمين . لذلك استولى بسهولة على تل باشر بمؤازرة الأرمن الذين ثاروا ضد الحاميات التركية الضعيفة . وفي غضون ذلك كان ثوروس — حاكم الرها — قد سمع بنجاح الصليبيين في الاستيلاء على تل باشر من السلاجقة . فأرسل إلى بلدوين يدعو للحضور إلى الرها للوقوف إلى جانبه ، وكان ثوروس رجلا مسنا ، ليس له ولد يرثه في إمارته ، تخشى أن تضيق الرها من يد المسيحيين ، ويستولى عليها الأتراك المسلمون ، وزاد من مخاوف ثوروس أن كربوقا — صاحب الموصل — كان يعد عندئذ جيشا كبيرا لانفاذ أنطاكية من الخطر الصليبي ، مما جعل ثوروس يتخوف من أن يكتسح ذلك الجيش — وهو في طريقه إلى الشام — الرها وغيرها من الإمارات الأرمنية^(١) . ووافق بلدوين على تجديد ثوروس ، فشد رحاله إلى الرها سنة ١٠٩٨ م على رأس عدد قليل من الفرسان ، وتمكنت فرقة بلدوين من تثبيت أقدام ثوروس في الرها ، ومن حمايتها من أعدائها الأتراك في سيمساط ، ولم يكتف ثوروس بحماية بلدوين لامارته ، بل أعلن تبنيه له حتى يخلفه في حكم الاماره ، ولم يبق ثوروس طويلا على قيد الحياة بعد هذا ، إذا لم يصرعه في ثورة أشعل نارها الأرمن ، تخلفه بلدوين في حكم الرها : وهذه أول إمارة صليبية في الشرق ، قامت أثناء الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، أميرها بلدوين الأول . وللرها مكانة كبيرة في العالم المسيحي ، إذا كانت أولى البلاد التي عاشت فيها جالية مسيحية كبيرة ، وترجمت فيها أجزاء من الانجيل باللغة السريانية . في القرن الثاني لليلاد . واستفاد الصليبيون من سيطرتهم على الرها ، لأنها مركز دفاعي ممتاز يحمي ممتلكات الصليبيين في الشام من هجمات المسلمين التي قد يشنونها من الشرق^(٢) .

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨٣

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٤



عزل بلدوين على توسيع رقعة إمارته ، فبسط سيطرته على سميساط التي كان وقوعها على الضفة المقابلة للفرات يشكل خطرا على الرها ، ولم يكتف بالاستيلاء على سميساط ، بل رشح إلى سروج على بداية الطريق الموصل إلى حلب ، وبذلك أمن بلدوين إمارته الجديدة ، وكفل لها الحماية والطمأنينة ، فضلا عن زيادة ممتلكاتها .

اتجه الصليبيون إلى أنطاكية ، وحاصروها في ٤٩١ هـ وظل هذا الحصار قائما حتى سقطت المدينة في أيدي الصليبيين ، وكان بوهيموند الذي تمكن من الاستيلاء على أنطاكية قد أحبط جميع المحاولات التي قام بها دقاق ورضوان لانقاذ المدينة ، ولما سمع ياغى سيان بقوة بأس الصليبيين ، أمر أهل أنطاكية من المسلمين بالخروج منها لأنه خشى عليهم من أعدائهم وأمرهم بحفر خندق . ودافع عن المدينة التي ظلت محاصرة تسعة أشهر وظهر من شجاعه ياغى سيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطة مالم يشاهد من غيره ، وشدد هجماته على الصليبيين حتى أفنى الكثير منهم ، ولم يستطع الصليبيون الاستيلاء على أنطاكية إلا بخيانة فيروز الأرمني مستحفظ القلعة فقد تواطأ مع الصليبيين ويسر لهم عملية الاستيلاء على أنطاكية ، وكانت الامدادات تصل الصليبيين من البحر المتوسط على السفن الإيطالية ، ولكن الصليبيين ماكدوا يستولون على أنطاكية حتى هاجتهم قوات كربولاق — أمير الموصل — وقاسى الصليبيون من ضغط هذه القوات الويلات والبؤس على أن الصليبيين قد شددوا هجماتهم على القوات الإسلامية حتى طردوهم نهائيا من المدينة ، وأتموا سيطرتهم عليها .

سار ريموند إلى بيت المقدس تاركا أنطاكية في يد بوهيموند ، وأضاع وقتا طويلا في الاستيلاء على المدن التي في طريقه ، وتجنب الصليبيون مهاجمة المدن الساحلية حتى لا يفقدوا قوتهم قبل تحقيق هدفهم المنشود وهو

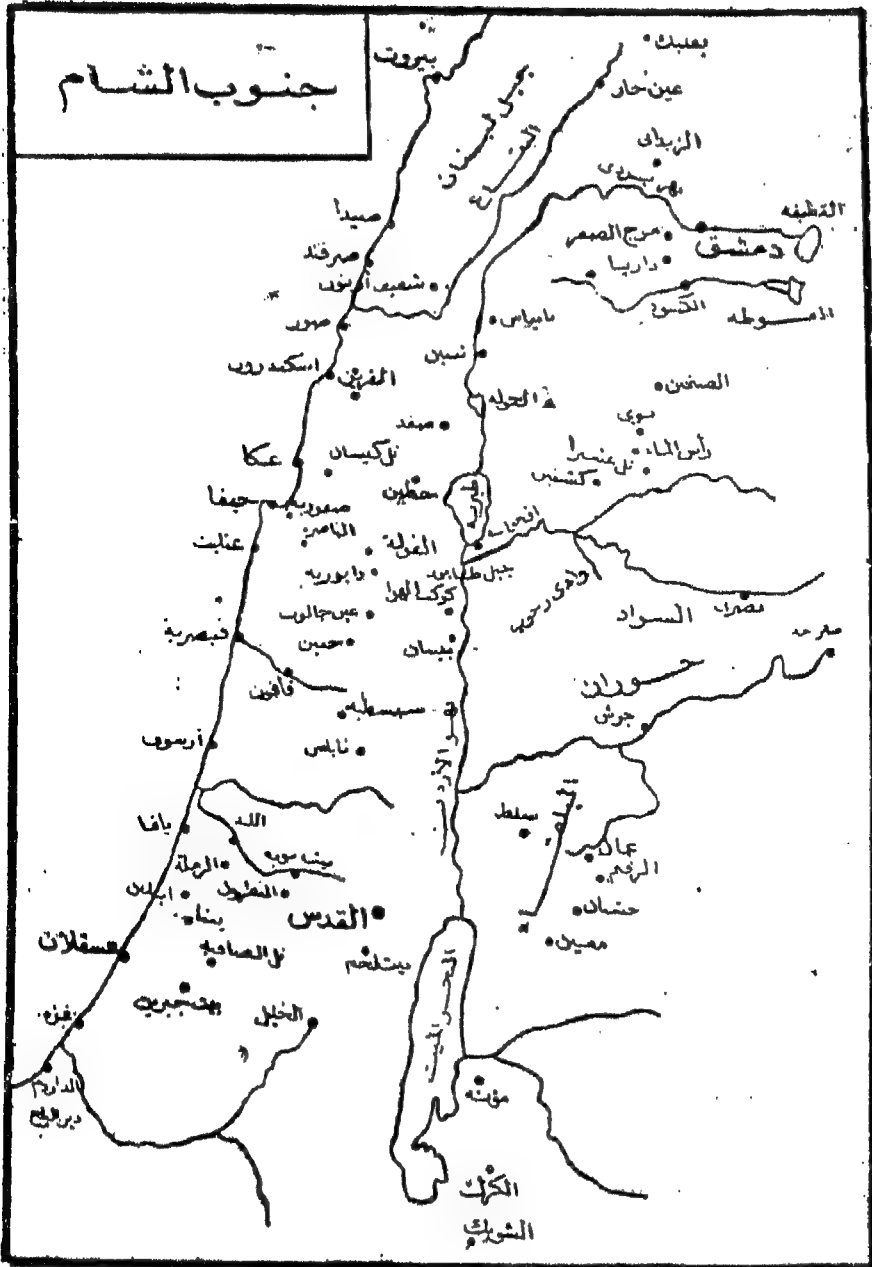
الاستيلاء على بيت المقدس ، واكتفوا بخصوهم من أصحابها على ضمانات
عدم الاعتداء عليهم أو التعرض لهم ، والتعهد بتقديم المؤن لهم . وأخيرا
وصل الجيش الصليبي إلى بيت المقدس في يونيو سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٩ م .

كان بيت المقدس لتاج الدولة تنش وأقطعه الأمير سقمان بن أرتق
التركماني فظفر الفرنج بالأتراك في أنطاكية وقتلوا منهم كثيرا ، فلما رأى
الفاطميون ضعف الأتراك السلاجقة ساروا إلى القدس بقيادة الوزير
الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي ، وحاصروا القدس ، وامتلكوها بالأمان
سنة ٤٩٠ هـ ، وأحسن الأفضل إلى حاكم القدس سقمان . وأجزل له العطاء
هو ورفاقه ، وسيرهم إلى دمشق ، وبذلك انضمت القدس إلى الدولة
الفاطمية ، وعهد الفاطميون إلى افتخار الدولة بحكم المدينة الكبرى (١) .

قدم الصليبيون إلى القدس وحاصروها نيفا وأربعين يوما نصبوا
عليها برجين أحدهما من ناحية صهيون ، أحرقة المسلمون ، وقتلوا كل من
به فلما فرغوا من احراقه ، كان الصليبيون قد امتلكوا البلدة من الجانب
الآخر وملكوها من جهة الشمال . وأعمل الصليبيون السيف في رقاب أهل
المدينة ، ومكثوا أسبوعا يقتلون فيه المسلمين ، واحتفى جماعة من
المسلمين بمحراب داود « فاعتصموا به . وقاتلوا فيه ثلاثة أيام ، فبذل لهم
الصليبيون الأمان . فسلوه إليهم ، وخرجوا ليلا إلى عسقلان ، وأقام
الصليبيون في المسجد الأقصى مذبحه مروعة قتلوا فيها على حسب تقدير ابن
الآثير ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلماهم
وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان . وجاور بذلك الموضع الشريف ،
واستولوا على الأموال والتحف والنفائس التي وجدوها في القدس ، وعشا
حاول أهل القدس الذين غادروها الاستنجاد بالقوى الإسلامية لانقاذ

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٥

جنوب الشام



مدينتهم ، من ذلك أن وفدا منهم قصد بغداد ، وتكلموا كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب ، واستغاثوا بالناس في صلاة الجمعة وبكوا وأبكوا وذكروا ما دم المسلمون من ذلك الشر وما تخلله من قتل الرجال وسبي الحرير والأولاد ونهب الأموال (١).

وبذلك حققت الحملة الصليبية الأولى أهدافها باستيلائها على بيت المقدس واختار الصليبيون جود فرى حاكما على بيت المقدس لما اشتهر به من التقوى والمورع ، وتوج ملكا في بيت المقدس ، واتخذ لنفسه لقب حامى القبر المقدس ، وكان على جود فرى أن يدافع عن كل محاولة تبذل لاسترداد مدينة القدس في سنة ٤٩٢ هـ لما علم الفاطميون في مصر نبأ استيلاء الصليبيين على القدس جمع الوزير الفاطمي الأفضل أمير الجيوش العساكر ، وسار إلى عسقلان ، وأرسل إلى الصليبيين يشكر عليهم جريمتهم ، ويتهددهم ، فأعادوا الرسول بالجواب ، وراحوا على أثره ، وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ، وباغتوا المصريين ، ولم يكونوا على أهبة للقتال فركبوا خيولهم ولبسوا أسلحتهم ، لكن الصليبيين هاجوهم فمزموهم ، وقتلوا منهم كثيرين ، وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح ، وانهمز الأفضل ، وعاد بخواصه إلى مصر ، ونازل الصليبيون عسقلان وضائقوها فبذل لهم أهلها إتاوة مالية كبيرة (٢).

وبعد أن توفي جود فرى خلفه في حكم مملكة بيت المقدس التي ضمت يافا وحيفا والرملة — بلنديون الأول أمير الرها والمؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس وقد اتسعت المملكة الجديدة في عهده بأن ضم إليها أرسوف وقيسرية وعكا وصيدا وبيروت ، وقد ساعد انضمام هذه المدن على تأمين وصول الأساطيل الإيطالية محملة بالمؤن والامدادات للصليبيين . لما أيقن الفرنجة في بلاد الشام أنهم في مأمن من الدولة البيزنطية

(١) ابن الأثير : السكمان حوادث سنة ٤٩٢ هـ

(٢) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

عولوا على التوسع في البلاد الإسلامية ، فشنوا عدة غارات على حلب وأعمالها (١) منتهزين فرصة انشغال الأمراء المسلمين وجندهم بقتال بعضهم بعضا فضلا عن تفرق كلتهم (٢) ، فقصى الفرنجة على كثير من سكان حلب ، وفرضوا عليهم مبالغ كبيرة من المال ليتقوا أذاهم (٣) ، كما اعتزم جوسلين — أمير تل باشر — وبوهيموند — صاحب أنطاكية — الاستيلاء على حران — التي تقع بين الرها ونهر الفرات ليقطعوا ما بين المسلمين في الشام وأخوانهم في العراق وفارس من صلات (٤) .

نهض الأميران سقمان بن أرتق — صاحب ماردين — وجكرمش — أتاك بك الموصل — للذود عن بلادهما ، فتناسيا ما بينهما من خلافات ، وأرسل كل منهما إلى صاحبه يدعوه للنشاور معه في جهاد الفرنجة ، فاجتمعا في الخابور ومعهما عشرة آلاف جندي من العرب والأكراد والتركمان (٥) وهاجما الرها ، فانضم بلدوين دى بورج — أمير الرها — إلى جوسلين — صاحب تل باشر — وبوهيموند — أمير أنطاكية — وهاجما حران (٦) حتى تنصرف القوات الإسلامية عن مهاجمة الرها ولكن المسلمين لم يتمكنوا منها . إذ اشتبكوا معهم في معركة حاسمة سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) دارت فيها الدائرة على الصليبيين (٧) ، وغنم التركمان كثيرا من الغنائم (٨) . يل وقع بلدوين دى بورج — أمير الرها — أسيرا وكذلك جوسلين ،

Grousset : Histoire des Croisades, Vol. 1, P. 401 (١)

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

Runciman: A History of the Crusades Vol . 2 P. 40 (٤)

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

Setton : A History of the Crusades . Vol . 1 P. 389 (٦)

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

Runciman : A History of the Crusades . Vol . 2 P. 43 (٨)

أما بوهمند وجنده ، فعادوا إلى أنطاكية لا يلوون على شيء واتجه سقمان إلى ديار بكر ، واستولى وهو في طريقه إليها على عدة حصون للفرنجية ، أما جكرمش ، فسار إلى حران وفتحها (١) .

على أن ايلغازي بن أرتق — الذي ولي ماردین بعد وفاة سقمان — أطلق سراح جوسلين مقابل الحصول على مبلغ قدره عشرون ألف دينار (٢) ، ثم سعى جوسلين إلى إطلاق سراح بلدوين بغدية قدرها ثلاثين ألف دينار (٣) .

كان لموقعة حران أهمية كبيرة ، إذ أوقفت توسع الصليبيين نحو الشرق على حساب المسلمين ، كما أدت إلى تأمين مدينة حلب بصفة خاصة وسورية الشمالية من خطر الفرنجة ، بل أثبتت أن الصليبيين لا يستطيعون قطع الصلة بين القوى الإسلامية في العراق والشام وآسيا الصغرى (٤) .

على أن الفرنجة لم يكفوا عن الزحف على المدن الإسلامية في الشام ، فاغاروا سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) على طرابلس ، فاستنجد نجر الملك عمار — صاحبها بسقمان بن أرتق — أمير ماردین — فاستجاب (٥) له ، وتوجه إلى طرابلس ، غير أنه توفي وهو في طريقه إليها ، وضم الفرنجة طرابلس إلى حوزتهم سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) (٦) .

ولما ولي محمد بن ملكشاه السلطنة السلجوقية عول على قتال الفرنجة (٧)

ibid .

(١)

(٢) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٣

(٣) ابن الدليم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

Stevenson: The Crusaders in The East. 78

(٤)

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٨ هـ

(٦) نفس المصدر حوادث سنة ٥٠٣ هـ

(٧) Runciman: A History of the Crusades . Vol. 2 PP. 114-115

مفأخذ جيشا كبيرا يتكون من جند الموصل بقيادة أتابكها^(١) مودود ،
وجند التركان تحت امره ايلغازى بن أرتق — صاحب ماردين — وجند
من خلاط وميا فارقين ، وطلب اليهم الاستيلاء على الرها^(٢) .

وحفقت قوات الموصل والجزيرة إلى الرها سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م ،
فاستنجد بلدوين دى بورج — صاحبها — ببلدوين الأول — ملك بيت
المقدس — فخرج لنجدة وأنضم اليه الأمراء الصليبيون في بلاد الشام^(٣) ،
غير أن الفرقة تفرق شملهم ، إذ وصل إلى تانكرد — أمير أنطاكية —
أن رضوان — أمير حلب — غزا أمارته^(٤) ، كما أن بلدوين الأول —
ملك بيت المقدس — عاد إلى مملكته بعد أن بلغه أن الفاطميين ازدادت
هجماتهم عليها^(٥) .

ولما اشتدت هجمات قوات الموصل والجزيرة على أماره الرها ، وعجز
أميرها عن حماية بلاده الواقعة شرقي الفرات ، أمر السكان المسيحيين بأن
يفادروا هذه البلاد ، فرحلوا إلى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات
لأنها أكثر أمنا . ولما شرع هؤلاء السكان في المسير إلى تلك البلاد
التي اتخذوها موطنًا لهم ، باغتهم مودود — أتابك الموصل — ونكل بهم^(٦) .
استقر رأى تانكرد — أمير أنطاكية — بعد عودة جند الموصل
والجزيرة إلى بلادهم — على الانتقام من رضوان — أمير حلب —^(٧) الذى

(١) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٩

(٢) Runciman : A History of the Crusades . Vol .2 P. 115

(٣) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٠

(٤) Runciman : A History of the Crusades . Vol .2 p.116

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٦) Runciman A History of the Crusades, Vol 2, PP. 117, - 118

(٧) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣

هاجم بلاده ، فأغار على حلب ، وأخذ يشدد الحصار على حصن الاثارب^(١) حتى يتيسر له الاستيلاء عليه^(٢) ، ثم قصد حصن زردنا ، وأمتلكه سنة ٥٠٤ هـ — (١١١٠ م^(٣)) ولما بلغ ذلك أهل منبج وبالس غادروا بلديهما مما أتاح للفرنجية الفرصة لدخول هذين البلدين ، لكنهم سرعان ما رحلوا عنها ، وساروا إلى صيدا ، واستولوا عليها^(٤) ، الأمر الذي أدى إلى إثارة المسلمين ، وتخوفهم من اقدام الفرنجة على الاستيلاء على سائر بلاد الشام^(٥) . فسار جماعة من أهبل حلب إلى بغداد لتحريض أهلها على الفرنجة^(٦) . وذكر ابن الأثير^(٧) أنه قبل وصول وفد حلب إلى بغداد أرسل الامبراطور البيزنطي الكسيوس كرومين — وكان في خلاف مع الفرنجة — إلى السلطان السلجوقي في بغداد يستفزه على الفرنجة ، ويحثه على قتالهم ، ولما علم بذلك أهل بغداد صاحوا في السلطان : « أما تتق الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام ، حتى أنه أرسل إليك في جهادهم . عندئذ لم يتردد السلطان السلجوقي في انفاذ عساكر الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام لصدها الفرنجة عنها^(٨) .

اجتمعت قرات كبيرة من الموصل والجزيرة بقيادة مودود — أتائبك الموصل — وإليازين أيلغازي بن أرتق^(٩) ، وسارت نحو سنجار .

-
- (١) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٨ .
 (٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٨ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .
 (٤) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .
 (٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .
 Grousset: Histoire des Croisades. Vol. I p. 460
 (٦) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٨ .
 Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p. 121
 (٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .
 (٨) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .
 Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 121 (٩)

فاستولت على بعض حصون الفرنجة القرية منها سنة ٥٥٠ هـ (١١١١ م)^(١)، ثم حاصر جند الموصل والجزيرة مدينة الرها، غير أنهم مالبثوا أن اضطروا إلى التقهقر عنها إلى حران لحمل الفرنجة على تعقبهم^(٢)، لكن الفرنجة فطنوا إلى خدعة قواد المسلمين ولم يتبعوا قواتهم بل عمدوا إلى تحصين مدينة الرها، وتزويدها بالجند والعتاد والمؤن حتى تستطيع الصمود ضد هجمات قوات الموصل والجزيرة^(٣).

ولما عاد مودود وإياز بن إيلغازي إل الرها حاصراها، فاستعصت على قواتهم^(٤)، مما اضطرهم إلى الرحيل عنها، فقصدوا تل باشر^(٥)، وحاصروها خمسة وأربعين يوما، وكادت تسقط في أيديهم لولا أن جوسلين الثاني — صاحب تل باشر — اتصل بأحد قواد القوات الإسلامية الأكراد، واتفق معه على رفع الحصار عن تسلل باشر مقابل مبلغ من المال^(٦)، وفي نفس الوقت اتصل رضوان — صاحب حلب — بمودود — أتابك الموصل — يستنجد به على الفرنجة — الذين زادت غاراتهم على حلب^(٧) وهكذا أتيحت الفرصة للقائد الكردي ليقنع مودود برفع الحصار عن تل باشر، والمسير إلى حلب^(٨). غير أن القوات الإسلامية التي انجحت إليها مالبث أن هاجمها جوسلين^(٩) — ولما اقتربت قوات الموصل والجزيرة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٠ هـ

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

(٣) ابن الفلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥.

Setton: A History of the Crusades Vol. I P. 399

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٠ هـ

(٥) ابن الفلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

Runciman: A History of the Crusades Vol. 2p. 122 (٧)

(٨) ابن الفلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١١٧

Setton: A History of the Crusades Vol. I p. 406

(٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٠ هـ

Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P. 122

من حلب أدرك أميرها رضوان أن تلك القوات وهؤلاء الأمراء الذين يتولون قيادتها يشكلون خطراً عليه وعلى سلطانه ^(١)، ومن ثم لم يخرج لاستقبال مودود وحلفائه، بل أغلق أبواب حلب في وجوههم ^(٢).

لم يكف مودود — أتابك الموصل — عن مواصلة جهاد الفرنجة، فسار على رأس قوات الموصل والجزيرة إلى معرة النعمان لاسترداد النواحي التي استولى عليها تانكرد — صاحب أنطاكية — وانضم إليه طغتكين — أتابك دمشق ^(٣) —. لكن حدثت خلافات بين الأمراء المشتركين في حملة مودود وبين أتابك دمشق الذي طلب منهم المسير إلى طرابلس والاستيلاء عليها ^(٤)، فأبوا لإجابة طلبه لأنهم رأوا في ذلك مخاطرة لا يستفيد منها إلا هو ^(٥)، كما أن — أتابك دمشق — رفض التعاون مع هؤلاء الأمراء ^(٦). وتوجس منهم خيفة حين علم أن بعضهم يزمع التآمر عليه بغية اقتزاع دمشق بل شرع في مهادنة الفرنجة سرّاً ^(٧)، وسرطان ما تفرق الأمراء المسلمون ولم يبق مع مودود سوى إيازين إيلغازي وطغتكين فاتجهوا إلى نهر العاصي ^(٨).

لما علم الفرنجة بتفوق القوات الإسلامية، حولوا على استغلال هذه الفرصة لتحقيق مطامعهم، فصاروا إلى فامية بقيادة بلدوين الأول — ملك بيت المقدس وبلدوين دى بورج — أمير الرها، وجوسلين — صاحب

(١) ابن الفلاني: ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧

Grousset: Histoire des Croisades Vol. 1 p. 465.

(٢) ابن العديم: زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

Setton: A History of the Crusades Vol. 1, p. 400

(٣) ابن الأثير: السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ هـ

(٤) ابن الفلاني: ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤ — ١٧٥

Setton: A History of the Crusades Vol. 1 p. 400 (٥)

(٦) لم يكن مودود بين هؤلاء الأمراء إذ كان متحالفاً مع طغتكين.

Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 126 (٧)

(٨) ابن الأثير السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ هـ

تل باشر — وبرترام — أمير طرابلس^(١) — عندما اقتربوا من شيزر ، استنجد صاحبها — سلطان بن منقذ — بمودود فاستجاب له ، وسار إلى شيزر ، واشتبكت قواته مع قوات الفرنجة^(٢) في معركة دارت فيها الدائرة على الصليبيين^(٣) .

ظل مودود — أتابك الموصل — يعمل على الاستيلاء على الأمارات الصليبية في بلاد الشام . على الرغم مما واجهه من صعوبات في سبيل تحقيق غايته ، فقصدها سنة ٥٠٦ هـ — (١١١٢ م) منتهزا فرصة اتصال سكانها الأرمن^(٤) — المقيمين فيها — به . وتشجيعه على المسير إليهم لكرامتهم بلندرين دى بروج — أمير الرها — ولما سار مودود إلى هذه المدينة أبقى فيها فريقا من جنده لمحاصرتها . بينما توجه إلى سروج — على اعتبار أنها المركز الثاني للصليبيين شرق الفرات — وحاصرها ، غير أن حاكم الرها فطن إلى تأمر الأرمن عليه ، فانزل بهم عقابا صارما^(٥) . أما جوسلين — صاحب تل باشر — باغت عسكر الموصل ، ويبدو أن صاحب الموصل لم يأخذ حذره من الفرنجة . وفي ذلك يقول ابن الأثير^(٦) :

« ولم يحذر منهم ، فلم يشعر الا وجوسلين — صاحب تل باشر — قد كبسهم » :

عاد أتابك الموصل والجزيرة إلى مهاجمة الأمارات الصليبية في بلاد الشام ، حين توالى غارات بلدوين الأول — ملك بيت المقدس —

Runciman : A History of the Crusades Vol . 2 P. 123 (١)

(٢) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧

Setton : A History of the Crusades. Vol 1 P. 400 (٣)

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٣ هـ

Setton: A History of the Crusades. Vol. I . P. 401 (٥)

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

على دمشق^(١) ، فأعد مودود حملة اشترك فيها إياز بن يلغازى ، وبعض
أمراء الجزيرة وساروا إلى بلاد الشام^(٢) حيث التقوا بطغتكين —
أتابك دمشق — عند سلية — من أعمال حماه — وجمدت القوات الإسلامية
إلى استدراج قوات الصليبيين إلى نواحي دمشق ، واشتبكوا معهم في
معركة لقي فيها الصليبيون هزيمة فادحة سنة ٥٠٧ هـ — (١١١٣ م)^(٣)
أخذت القوات الإسلامية بعد ذلك النصر الذى أحرزته على الصليبيين
تتابع اغارتها على بلاد الفرنجة بين عكا وبيت المقدس ولم يفلح الفرنجة
في صد هجمات المسلمين^(٤) ، بل تحصنوا فى الاستحكامات والحصون دون
أن يتمكنوا من مغادرتها^(٥) . ثم أذن مودود لقواته بالعودة إلى العراق ،
والبقاء هناك حتى الربيع ، وسار مع بعض خواصه إلى دمشق^(٦) حيث
قتله الاسماعيليون بإيعاز من طغتكين — أتابك دمشق — ويذكر
ابن الأثير^(٧) أن طغتكين عمل على التخلص من مودود ، لإذراه خطرا يهدد
حكمه فى دمشق ، ولما خشي من انتقام السلطان السلاجوق عقد هدنة مع
بلدوين الأول — ملك بيت المقدس — سنة ٥٠٨ هـ — (١١١٤ م) ثم
تحالف مع الفرنجة فى العام التالى^(٨) .

تخلص الفرنجة بوفاة مودود من أقوى أعدائهم كما تحطمت جهود
السلاجقة الرامية إلى تكوين جبهة إسلامية متحدة تقف في وجه الصليبيين^(٩) .

Setton: A History of the Crusades Vol I . P. 402 (١)

Runciman: A History of the Crusades: Vol . 2 P. 126 (٢)

Grousset : Histoire des Croisades Vol . 1 . P. 484 (٣)

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

(٥) ابن القلاسى : ذيل تاريخ دمشق من ١٨٤ — ١٨٥

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 127 (٦)

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

Setton : A History of the Crusades Vol . 1 . P. 403 (٨)

Ibids . (٩)

جعلى أن السلطان محمد واصل سياسته في العمل على استئناف الجهاد ضد الفرنجة ، فأسند أتابكية الموصل إلى آقسنقر البرسقي (١) ، وأمره بقتال الصليبيين فأعد جيشاً كبيراً انضم إليه صاحب مازدين وعماد الدين زنكى ، وبعض أمراء الجزيرة (٢) ، وهاجمت القوات الإسلامية الرها وسروج وسميساط سنة ٥٠٨ هـ - (٣) (١١١٤ م) .

حالت الخلافات التي ظهرت بين أتابكية الموصل والجزيرة دون تنفيذ سياستهم في محاربة الصليبيين فنشب النزاع بين آقسنقر البرسقي - أتابك الموصل - وأياز بن ايلغازى (٤) - ولما وقع أياز أسيراً في يد البرسقي ، استدعى أبوه ايلغازى جند التركان وهاجم البرسقي ، وهزمه وأرغمه على العودة إلى الموصل (٥) ، ولم يلبث بعد ذلك أن عزله السلطان السلجوقي محمد ، وأحل محله في أتابكية الموصل جيوش ملك (٦) . أما ايلغازى بن أرتق فنفى انتقام السلطان السلجوقي منه ، وسار إلى الشام حيث تحالف مع طغتكين - أتابك دمشق (٧) - واتفقا على الوقوف في وجه السلطان محمد بل تحالف مع الفرنجة وراسل روجر - صاحب أنطاكية (٨) .

واصل السلطان السلجوقي محمد مناهضة الصليبيين ، فأعد قوات كبيرة ضمن جيش الموصل بقيادة أتابكها جيوش ملك وجند الجزيرة ، وأسند قيادة هذه القوات إلى برسقي - أمير همدان وأصفهان - وطلب السلطان من هذا الأمير البدء بالتخلص من طغتكين و ايلغازى .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٢) Setton : A History of the Crusades. Vol . 1. P.403 (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٤) Setton : A History of the Crusades: Vol. 1. P.404 (٤)

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٧) Runciman: A History of the Crusades Vol, ٥ p.131 (٧)

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ هـ

سار برسق إلى الرها وحاصرها ، ثم مالبث أن رفع عنها الحصار واتجه إلى حلب ، بعد أن علم أن لؤلؤ - نائب أمير حلب - انضم إلى ايلغازي وطغتكين ، فلما اقترب منها ، أرسل إليه يطالبه بتسليمها ، وعرض عليه كتب السلطان بذلك^(١) . لكن لؤلؤ رفض تسليم حلب ، واستنجد بطغتكين وايلغازي فسار إلى حلب ، وكان ذلك بما حمل برسق على العدول عن مهاجمتها وقصد حماه - وكانت في حوزة طغتكين ، فاستولى عليها بمساعدة أمير حمص^(٢) .

استنجد طغتكين ببلدوين الأول - ملك بيت المقدس - وبوز - أمير طرابلس - فخشي برسق من تجمع أعدائه وعاد إلى الجزيرة ، غير أنه لم يلبث أن انقض لجأه على كفر طاب ، فاستولى على قلعتها^(٣) ، وسلمها إلى بني منقذ - أصحاب شيزر - ثم سارت قوات الموصل والجزيرة إلى قلعة فاميه - وكانت وقتذاك خاضعة للفرنجة - فلما شاهدت هذه القوات تحصيناتها القوية انصرف عنها إلى المعرة^(٤) ، لكنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها ، واتجه جيوش بك - أتابك الموصل - إلى بزاعة ، وانتزعها من الفرنجة ، بينما اتجه جيش برسق إلى حلب بما اضطر روجز - أمير أنطاكية - إلى المسير للقاء المسلمين سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥) فالتقى بجند الموصل والجزيرة على مقربة من مدينة سبرمين حيث انقض عليهم^(٥) ، فأدى ذلك إلى إثارة الاضطراب بين قوات المسلمين وعجز برسق عن جمع شملهم^(٦) وحلت به الهزيمة^(٧) .

(١) Setton : A History of the Crusades . VI, 1 p. 494

(٢) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر : ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol . 2 p. 131 - 132

(٥) Grousset : Histoire des Croisades , Vol 1 : pp. 510 - 511

(٦) Setton : A History of the Crusades . Vol . 1 pp . 404 -

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ هـ

لم يحاول سلاطين السلاجقة في العراق — بعد هذه الهزيمة — استعادة الشام من الفرنجة ، كما أن السلطان محمد لم يعد مستعداً لانفاذ حملة أخرى لمحاربة الصليبيين ومن ثم تمتعت الامارات الصليبية بقدر من الهدوء لم تعرفه من قبل . أما روجر — صاحب أنطاكية — فإنه سار إلى كفر طاب ، وضمها إلى حوزته ، ومن ناحية أخرى ، أضح ذلك الانتصار الذي أحرزه الصليبيين طغتكين — أتابك دمشق — وايلغازي بن أرتق — أمير ماردين — وسارعا إلى مصالحة السلطان السلجوقي (١) .

ظلت الموصل والجزيرة محط أنظار المسلمين في بلاد الشام فلما اضطربت الأمور في حلب (٢) بعد مقتل حاكمها لؤلؤ سنة ٥١٠ هـ — (١١١٧ م) (٣) ، سار روجر أمير أنطاكية إليها ، واستولى على بعض أعمالها (٤) ، وسامت الأحوال الاقتصادية في هذه المدينة ، فلم يتوافر فيها من المؤن ما يكفي أهلها واستبد بهم الخوف ، ولو أتيحت لهم الفرصة للرحيل عنها لما ترددوا في ذلك (٥) ، غير أن هذه المدينة ما لبثت أن دخلت في حوزة نجم الدين ايلغازي — أمير ماردين — الذي سار إليها سنة ٥١١ هـ (٦) — (١١١٧ م) ورحب به أهلها لاعتقادهم أن قواته من جنود التركن قادرة على حماية بلادهم من خطر الفرنجة (٧) .

بذل ايلغازي أموالاً للفرنجة مقابل مدنة عقدتها معهم ، ثم سار إلى

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٩ — ١٨١

Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 404 - 405

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٩ — ١٨١

(٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٨ .

(٤) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ص ١٨٠ — ١٨١

(٦) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 pp. 113-114

(٧) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٩

ماردين لجمع العساكر ، واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمر تاش (١) .
على أن الفرنجة ما لبثوا أن نقضوا هذه الهدنة ، ففي سنة ٥١٣ هـ —
(١١١٨ م) هاجم روجر — أمير أنطاكية — عزاز والبراعة (٢) واستولى
عليها وكانتا في حوزة ايلغازي بن أرتق ، وبذلك انقطع الطريق الذي يصل
بين حلب والبلاد الواقعة شرق الفرات ، ثم أغار صاحب أنطاكية على
حلب (٣) ، ولم يكن بها من الذخائر ما يكفيها ، وبلغ من خوف أهل حلب
من الفرنجة أنهم تقاسموا معهم أملاكهم التي يباب حلب (٤) .

عاد ايلغازي بن أرتق — أمير ماردين — إلى حمل لواء الجهاد ضد
الصلبيين سنة ٥١٣ هـ — (١١١٩ م) حين خرج إلى الشام على رأس عشرين
الف مقاتل من العرب والأكراد والتركمان ، فنزل روجر — أمير أنطاكية —
على مقربة من الأتارب ظاناً منه أن أحداً لا يستطيع اعتراض قواته لصيق
الطريق ، وأرسل إلى ايلغازي يهدده ويحذره (٥) . على أن ايلغازي لم يعأ
بتهديد الفرنجة فهاجم بلاد الرها ، وألحق بالفرنجة خسائر فادحة ، ثم عبر
الفرات ، ومضى إلى قنسرين — جنوب دمشق — ، فانضم إليه طغتكين ،
وشنت القوات الإسلامية عدة هجمات على حارم وجبل السماق ، على حين
هاجم بنو منقذ — أصحاب شيزر — الأراضي التي في حوزة روجر

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

Setton: A History of the Crusades. Vol. 1 P. 40g

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٦ — ١٨٧

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٤) يذكر ابن العديم أن ايلغازي جند الإيمان على الأمراء والمقدمين بأن يناصحوا
في حربهم ، وبما يزوا في قتال العدو ، وأنهم لا ينسكون ويذلون مهجوم في الجهاد ، لخلقوا
على ذلك بنفوس طيبة .

(٥) زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٧

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

Ruiciman : A History of the Crusades . Vol. 2 p. 153 (٦)

— أمير أنطاكية — رغبة في اشغاله عن مقاومة المسلمين ^(١).

استنجد روجر بجوسلين — أمير الرها — وبونز — أمير طرابلس — وبلدوين الثاني — ملك بيت المقدس — ^(٢). ولما أتم ايلغازى اعداد قواته انقض على جيش الفرنجة وأحاط به ، وانقطع وصول الامدادات إلى الصليبيين مما اضطر روجر إلى اقتحام صفوف القوات الاسلامية حتى لا يتعرض هو وجيشه للهلاك ^(٣) ، لكن المسلمين ما لبثوا أن أوقعوا الهزيمة بالفرنجة ، وخر روجر صريعاً ^(٤) في ميدان القتال ، ولم ينج من فرسانه إلا القليل ، ووقع في أيدي المسلمين من السبي والغنائم والدواب ما لا يحصى ^(٥). وبلغ من كثرة ما قتل من الصليبيين في هذه الواقعة أن أطلقوا على السهل الذي دارت فيه اسم ساحة الدم ^(٦).

كفل انتصار المسلمين على الصليبيين في واقعة ساحة الدم الأمان لمدينة حلب ، وفي نفس الوقت أصبح الطريق إلى أنطاكية مفتوحاً أمام قوات ايلغازى ^(٧) ، ولو أنه سار لمنازلها لما استعصت عليه ^(٨). غير أن ايلغازى قصد الأنارب ، واستولى عليها ، ثم زحف إلى زردنا وامثلكتها ، وخشى بلدوين الثاني — ملك بيت المقدس — تحرك المسلمين جنوباً لانتزاع بعض أملاكه ، فسار إليهم واشتبك مع ايلغازى في معركة غير حاسمة ^(٩) ،

(١) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 153

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٢ .

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ١١٣٠ هـ .

(٥) Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 413

(٦) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 155

(٧) Ibid ; Vol. 2 p. 155.

(٨) ابن القلاسي : دهل تاريخ دمشق ص ٢٠١ .

(٩) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٤ .

عاد بعدها الأمير الأرتق إلى حلب، وأصلح أمورها^(١).

استقر عوأي بلعوين الثاني - ملك بيت المقدس - على السير إلى أنطاكية وتحصينها، كما ولى الوصاية عليها ريثما يبلغ بوهمند - أميرها الشرعى - سن الرشد^(٢)، وانضم إليه جوسلين - صاحب تل باشر - في الدفاع عن أنطاكية بسبب تعرضها لغارات ايلغازى بن أرتق^(٣)، غير أن الأمير الأرتق ما لبث أن عقد هدنة مع الفرنجة تضمنت اعتراغه بامتلاك إمارة أنطاكية البلاد الواقعة شرق نهر العاصي^(٤).

على أن الفرنجة سرعان ما نقضوا هذه الهدنة، وأغاروا على بلاد الشام والجزيرة ونهبوها^(٥)، وتوالت غارات جوسلين - أمير الرها - على منبج وبزاعة والآثارب^(٦) كما انتهز بلعوين الثاني - ملك بيت المقدس فرصة ثوره سليمان بن ايلغازى - والى حلب - على أبيه، فشن غارات على أعمال حلب مما اضطر ايلغازى إلى عقد صلح مع بلعوين الثاني، نزل له فيها عن زردنا والآثارب سنة ٥١٥ هـ (١١٢٢ م)^(٧).

أتاحت هذه الهدنة لایلغازى بن أرتق - أمير ماردين وحلب - الفرصة لجمع قوات كبيرة من جند التركان من ديار بكر، ثم عبر بهم الفرات قاصدا الشام لمواصلة جهاد الصليبيين^(٨)، وحاصر هو وابن أخيه بلك

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ.

(٣) Sarton: A History of the Crusades. Vol 1 pp. 415-416

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٥) Runciman: A History of the Crusades Vol 2, p 159

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٨.

(٧) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٨.

(٨) انتهز ايلغازى بن أرتق فرصة خروج بونز - أمير طرابلس - على طاعة ملك بيت المقدس، وسير بلعوين الثاني إلى طرابلس لإرغام بونز على الدخول في طاعته.

(Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p 161)

ابن بهرام الأرتقي زردنا^(١)، واشتبكا مع بلدوين في قتال حول الأثارب سنة ٥١٥ هـ - (١١٢٥) ^(٢). غير أن ايلغازي ما لبث أن انسحب إلى حلب لمرضه^(٣).

أما بلك بن بهرام الأرتقي فسار إلى الرها، وحاصرها، لكنه عجز عن الاستيلاء عليها، ورفع عنها الحصار، ولمعلم أن أميرها يتعقبه، عول على مهاجمته^(٤)، وأحل بقواته الهزيمة، وانتهت هذه المعركة بأسر جوسلين، ٥١٥ هـ - ١١٢٢ م^(٥)، ونقله إلى قلعة خربت حيث عرض عليه الأمير بلك إطلاق سراحه مقابل النزول عن الرها، لكنه رفض^(٦) أضعفت وفاة ايلغازي بن أرتق من شأن الأراتقة بسبب اقسام أملاكه بين أولاده وأقاربه، فالت حلب إلى سليمان بن عبد الجبار الأرتقي، واستفاد الملك بلدوين الثاني من ضعف الأراتقة، فاستولى على البيرة - شرق حلب - وأقليم بزاعة وبالس بالقرب من حلب^(٧)، ولما عجز سليمان عن رد هجماتهم عقد صلحا مع بلدوين الثاني تضمنت إعادة الأثارب إليه سنة ٥١٧ هـ - (١١٢٣ م) في مقابل أن يكف الفرنجة عن بلاده^(٨).

ولما علم بلك بن بهرام بن أرتق أن صاحب حلب نزل عن حصن

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 417

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٤) نصبت بلك له كنيسا في موضع وطب زاده سواً النهار الأمطار، فانزلت أروجل الخيل، وتمتعت في سيرها، ولم يجد فرسان التركان صعوبة في تطويق الفرنجة، فقتلوا من آخرهم.

(٥) Setton : A History of the Crusades. Vol I. p. 418

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ.

(٧) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2. p. 161

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ.

(٩) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩.

الأنارب للفرنجية ، عظم ذلك عليه وأنكره ، فسار إلى حران وملكها^(١) ، ثم قصد حلب وهاجمها ومنع الميرة عنها^(٢) ، واضطر صاحب حلب إلى تسليم البلدان لابن عمه بلك بن بهرام^(٣) .
كان لوقوع جوسلين - أمير تل باشر - أسيراً أثر بالغ في نفوس الفرنجة فولى بلدوين الثاني - ملك بيت المقدس - أمانة الرها^(٤) ، وسار على رأس قوة صغيرة وأقام معسكراً في موضع لا يبعد كثيراً عن كركر - الواقعة على نهر الفرات ، والتي انتزعها بلك من الفرنجة^(٥) ، لكن بلك سرعان ما انقض على معسكر بلدوين ، وقضى على كثير من جنود الفرنجة ، وأسر بلدوين ، ثم نقل إلى قلعة خربت^(٦) .

عول الفرنجة على الانتقام من بلك فهاجموه ، بينما كان يحاصر منبج لانتراعها منه ، فتصدى لهم ، وألحق بهم الهزيمة ، ثم عاد إلى منبج حيث انتهت حياته أثناء حصاره القلعة سنة ٥١٨ - (١١٢٤ م)^(٧) .

- (١) ابن العديم : زبدة الجلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٠ .
- (٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
- (٣) Runciman : A History of the Crusades. vol. 2. p. 167
- (٤) ابن الفلاس ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩ .
- (٥) Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 422
- (٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
- (٦) فر بلدوين الثاني من الأسر بعد أن حلف للأسرى الفرنجة " على أنه لا يبيع ثيابه ولا يأكل لحماً ، ولا يشرب إلا وقت القربان إلا أن يجمع الجوع الفرنجة ، ويهل بهم إلى خربت ويخلصهم " ، وسار إليهم جوسلين حينئذ لتأخذ سكان القلعة الأرمن ، بلدوين والأسرى الفرنجة في الاستيلاء على القلعة ، غير أن بلك لم يمكن جوسلين من القلعة واستعادها ، ورتب فيها من يحفظها ، ونقل بلدوين إلى حران .
- (٧) ابن العديم : زبدة الجلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٣ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .
- Runciman : A History of the Crusades. vol. 2. pp. 163-165
- (٧) أبو القدا : المختصر في تاريخ البصر ج ٢ ص ٢٤٩ .

تفرق عسكر بلك أثر وفاته ، فسار حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى - أمير ماردين - إلى حلب ، واستولى عليها ^(١) ، وفاز به في حكمها الأمير ديس بن صدقة - صاحب الحلة - وفي هذه الأثناء رأى حسام الدين أن يطلق سراح بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس ^(٢) - بعد أن تعهد بأداء مبلغ كبير من المال ، وأن يعيد إلى حلب مدن الأتاب وزردنا وعزاز وكفر طاب والجسر ، وأن يقف إلى جانبه في قتال ديس بن صدقة ، وأن يحتفظ صاحب حلب بالرهائن ريثما يؤدي بلدوين الفدية كاملة . غير أن ملك بيت المقدس تخلى عن تعهداته بعد اطلاق سراحه ^(٣) .

ولما انتزع الفرنجة مدينة صور من الفاطميين سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) طمعوا في الاستيلاء على بقية مدن الشام ^(٤) فقصدوا حلب ، وانضم اليهم ديس بن صدقة - صاحب الحلة - وياغى سيان الأرتقى وسلطان شاه ابن رضوان . غير أن حسام الدين تمرتاش - صاحب ماردين وحلب - لم يغادر ديار بكر لنجدة أهل حلب ، ويرجع السبب في ذلك إلى ، انشغاله بالاستيلاء على ميفارقين ^(٥) بعد وفاة سليمان ، وظل أهل حلب يقاومون الفرنجة حتى ضعفت مقاومتهم ^(٦) فلهجأوا إلى البرسقى - أتابك الموصل - وبعثوا إليه يستنجدونه فلبى طلبهم ، ولما أشرفت قوات الموصل على حلب ^(٧) ، رحل الفرنجة وحلفاؤهم عنها ^(٨) . ورأى البرسقى أن من

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٩ :

(٢) Runciman : A History of the Crusades, vol, 2 p. 165

(٣) Setton : A History of the Crusades. vol, 1 p. 423

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

(٥) Setton ' A History of the Crusade vol. 1. 452

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٤٩

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٨) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P.173

المصلحة عدم تتبع الفرنجة حتى تستقر الأنور في حلب ، ولما دخلها رحب به أهلها ^(١) . وهكذا اتحدت حلب والموصل تحت زعامة آقسنقر البرسقي ، مما يعتبر نواة لتكوين جبهة اسلامية ، تستطيع الوقوف في وجه الصليبيين ^(٢) . ظل البرسقي يواصل الحرب ضد الصليبيين بعد عودته إلى الموصل ، فسار إلى الشام ، وشن عدة هجمات على بلاد أنطاكية ، وحاصرت الأناثرب ^(٣) ثم اضطر إلى رفع الحصار عنها والعودة إلى حلب ثم إلى الموصل حيث قتلته الاسماعيلية ^(٤) ، خلفه ابنه عز الدين مسعود . لكنه لم يكن كأييه في جهاد الفرنجة ، ولم يلبث أن توفي ، وسادت الفوضى مدينة حلب ، فولى الناس عليهم أميرا من بني أرتق يدعى سليمان بن عبد الجبار ^(٥) فاتهن جوسلين - أمير الرها - وبوهمند الثاني - صاحب أنطاكية - فرصة ذلك الاضطراب . الذي ساد حلب ^(٦) ، وحاولا الاستيلاء عليها ^(٧) غير أن محاولتهما باءت بالفشل ^(٨) . ولم يمض غير قليل حتى دخل عماد الدين زنكي بن آقسنقر هذه المدينة سنة ٥٢٢ هـ - (١١٩٩ م) حاملا تقليدا بحكمها من السلطان السلجوقي ^(٩) ، فأحسن أهلها استقباله ^(١٠) . وبانضمام حلب إلى الموصل

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٦١ هـ

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٩ هـ

Runciman : A History of the Crusades Vol . 2 P. 173 - 174

Setton : A History of the Crusades Vol . 1 PP. 426 - 427 (٤)

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٣٧

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٢ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢٧ - ٢٨

(٧) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٨

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٤١

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٨ - ٣٩

Setton : A History of the Crusades Vol . 1 . P. 453 (٩)

(١٠) ويذكر ابن الأثير أن أهل حلب أظهروا من الفرح والسرور بمقدم زنكي ما لا يعلمه

إلا الله سبحانه وتعالى . (التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية ص ٢٧ - ٢٨)

تحت سلطان زنكي ، اتقل صراع أتابكة الموصل والجزيرة مع الصليبيين إلى دور جديد .

واصل عماد الدين زنكي سياسة أسلافه - أتابكة الموصل - في مجاهدة الفرنجة بعد أن أستفحل خطرهم في بلاد الشام ^(١) ، وأمتد ملكهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر ، فيما عدا حلب وحصن وحماه ودمشق التي بقيت في حوزة بعض الأمراء المسلمين ^(٢) ، بل أن هذه البلاد تعرضت لغارات متعددة شها الفرنجة بغية السلب والنهب ^(٣) ، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا اتاوات على البلاد المجاورة لهم ، مقابل عدم اعتدائهم عليهم ^(٤) .

بدأ زنكي يناهض الصليبيين منذ سنة ٥٦٤ هـ (١٢٩ م) وعلى الرغم من أنه لم يستفد من الاضطرابات التي حدثت بأنطاكية بعد مقتل أميرها بوهمند الثاني ^(٥) ، فإنه عمد إلى مهاجمة بعض حصون الفرنجة التي تهدد بملكاته في بلاد الشام ومنها حصن الأثارب ^(٦) سنة ٥٢٤ هـ - (١١٣٠ م)

(١) ابن قاضي شهاب : السكواك الدرية في الشجرة النبوية ورقة ٦١
Grousset : Histeire des Croisades . Vol . 1 . P 868

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٣٢ - ٣٣

Archer : The Crusades P : 199

(٤)

Stevenson : The Crusaders in the East

(٥) حينما قتل بوهمند الثاني - أمير أنطاكية بأيدى الترك السلاجقة بآسيا الصغرى ، رفضت زوجته أليس تولية ابنة بوهمند - كولستانس - الحكم وانقرضت بالسلطان ، وطابت من عماد الدين زنكي مساعدتها ، وتمهدت له بالدخول في طاعته إذا عمل على إبقاء أنطاكية في حوزتها . غير أن بلدوين الثاني - ملك بيت المقدس - سار إلى أنطاكية ، واجهت مؤامرة أليس .

(Setton: A History or the Crusades Vol . 1. P.481)

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : حوادث سنة ٥٢٤ هـ .

- بين حلب وأنطاكية - وكان أهل حلب يلاقون كثيرا من الضر والضيق من هذا الحصن الذي اتخذته الفرنجة قاعدة لمهاجمة حلب ، ونهب أموالها ومحاصيلها (١) ، بل كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها الغريبة (٢) ، فلما هاجر عماد الدين زنكي هذا الحصن ، حشد الفرنجة جندهم لصدده ، ودارت بين عماد الدين والصليبيين معركة حلت فيها الهزيمة بهم (٣) ، ووقع كثير من فرسانهم في الأسر (٤) ، واستطاع أتابك الموصل أن يستولى على حصن الأتارب عنوة (٥) ، ثم سار زنكي من الأتارب إلى قلعة حارم - على مقربة من أنطاكية فحاصرها ، وضيق عليها الحصار . ولما رأى الفرنجة أنه لا طاقة لهم بزنكي وجنده ، عرضوا عليه الكف عنهم في مقابل منحه نصف دخل بلدهم ، فأجابهم إلى ذلك ورفع الحصار عن حارم (٦) .

على أن عماد الدين زنكي انصرف بعض الوقت عن قتال الصليبيين

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية ص ٣٩

Grousset : Histoire des Croisades . Vol . 1. pp. 675 - 676

(٢) لما احتشد الفرنجة للدفاع عن الحصن ، استشار زنكي أصحابه فيما يفعل فأشاروا عليه بالعودة إلى الحصن خوفا من الهزيمة ، ولكن زنكي رفض مشورتهم ، وقال لأصحابه ، أن الفرنجة متى رأونا قد هددنا عن الحصن يلمعوا ويهاووا في أثرنا ، وخربوا بلادنا .

(ابن الأثير) الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٣

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨

(٥) دمر عماد الدين زنكي هذا الحصن بعد الاستيلاء عليه ، وقال لقواته :

« إن هذا أول مصاف عملناه معهم ، فلنذيقهم من بأسنا ما يبق رعبه في قلوبهم »

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٣

Archer : The Crusades . P. 200

(٦) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨

Stevenson : The Crusaders in the East . P. 33

بعد عودته إلى العراق ، وانشغاله بالصراع الدائر بين السلاجقة والخلفاء
العباسيين ، والاضطرابات التي أثارها الأكراد في شمال العراق (١) .

وعلى الرغم من تغيب زنكي عن الشام ، فإن جهوده في محاربة الصليبيين
لم تتوقف ، فأمد سيف الدين سوار — نائبه في حلب — بمجندين من التركمان
وطلب اليه مجاهدة الفرنجة . فشن سوار هجمات على أنطاكية مما حمل أهلها
على الاستنجاد بفولك — ملك بيت المقدس — فسار إلى أنطاكية (٢) ،
وفي طريقه إليها علم أن سيف الدين سوار هاجم تل باشر التابعة لإمارة
الرها — وغنم منها مغانم كثيرة (٣) ، ولم يستطع الصليبيون صدده عنها ، فتقدم
فولك إلى قنسرين ، حيث كان سوار معسكرا بقواته ، واشتبك الفريقان
في معركة انتصر فيها الصليبيون (٤) ، وعاد فولك إلى فلسطين سنة ٥٢٧هـ —
(١١٣٢ م) (٥) .

انتهز سوار فرصة الفتن الداخلية التي حدثت في أنطاكية نتيجة
النزاع على الحكم ، فهاجر أنطاكية (٦) والقرى الصليبية المجاورة (٧) لها
حتى بلغت غاراته اللاذقية (٨) سنة ٥٣٠هـ — (١١٣٥ م) ويذكر

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٣ وما بعدها .

(٢) Runciman : A History of the Crusades vol . 2 p. 194 (٢)

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٠

(٤) Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 431—432 (٤)

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٧هـ

(٦) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٧

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (القسم الأول) ج ٨ ص ١٤٦

(٧) ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٠

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٠هـ

ابن القلانسي^(١) أن جند زنكى عادوا إلى حلب ومعهم ما يزيد على سبعة آلاف أسير عدا ما غنموه من الدواب والأسلحة .

رأى عماد الدين زنكى بعد عودته إلى بلاد الشام سنة ٥١٦هـ (١١٣٧م) أن يعمل على تحقيق سياسته في إقامة جبهة إسلامية متحدة حتى يتيسر له استئناس الحرب ضد الصليبيين ، فهاجم حصص مرة أخرى لكن معين الدين أنر — والها من قبل أتابك دمشق — تصدى^(٢) له ، بل استعان عليه^(٣) بالفرنجة فسار الصليبيون إلى حصص لمنع زنكى عنها ، فاضطر أتابك الموصل إلى رفع الحصار عن حصص ، وسار لمواجهة الصليبيين عند بارين — بين حماه وحصص — وكان الصليبيون قد اتخذوها قاعدة يشنون منها الغارات على البلاد الواقعة بين حصص وحماه^(٤) .

استنجد ريموند — صاحب طرابلس — بفولك ملك بيت المقدس^(٥) واشتبكا مع عماد الدين في معركة رغبة في صده عن بارين^(٦) ، لكن عماد الدين زنكى هزم الفرنجة ، وألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد^(٧) ووقع في الأسر كثيرون منهم ريموند — أمير طرابلس — بينما فر فولك إلى حصص بارين ، واحتسب به ، واضطر إلى الاستنجاد ببطريك بيت المقدس ، وأميرى الزها وأنطاكية ، وقد لبى هؤلاء الثلاثة مطلبه وخرجوا

(١) ذيل تاريخ دمشق من ٢٥٥ — ٢٥٦

(٢) Stevenson : The Crusaders in the East. p. 137

(٣) Grousset : Histoire des Croisades, Vol. 2 pp. 69—79

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق من ٢٥٨ — ٢٥٩

(٥) أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٧ — ٨٨

Setton : A History of the Crusades Vol. I. p. 438.

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٧٢ — ٧٣

لنجدته على (١) رأس جيش كبير (٢). غير أن جند زنكي شددوا الحصار على القلعة وقذفوها بالمنجنيقات ، ولما ندرت الذخائر والمؤن لدى الفرنجة اضطر فولك إلى طلب الأمان من زنكي في مقابل تسليم القلعة ، فأظهر زنكي في بداية الأمر عدم اكتراثه بهم (٣). لكنه حين بلغه اقتراب جيوش الفرنجة — الذين استنجد بهم فولك — منح الأمان لجندهم المحاصرين بالقلعة في مقابل تسليمها (٤) ، وأذن للملك فولك وفرسانه بمغادرة القلعة (٥). والعودة إلى بلادهم ، كما أطلق سراح — أمير أنطاكية — وجميع أسرى الحرب الأخيرة (٦) واستولى على القلعة وأنفذ إليه الفرنجة خمسين ألف دينار مقابل احلاق سراح أسراهم (٧).

كان لاستيلاء زنكي على قلعة بارين أهمية كبيرة إذ أن اجتلاكها يعوق الفرنجة عن الوصول إلى أعلى وادي نهر العاصي فضلاً عن أنه يمكن زنكي من السيطرة على حصن وحماه اللتين كانتا في دائرة نفوذ دمشق (٨). وبينما كان زنكي محاصراً لقلعة بارين ، تمكن من فتح معرة النعمان وكفر طاب وغيرها من البلاد الواقعة بين حلب وحماه (٩) ، وبما يجدر

(١) ابن الأثير في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٩ — ٦١

Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p. 204

(٢) ابن العديم ، زبدة العلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١ — ٢٦٠

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩

(٤) ابن الأثير في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦١

(٥) ابن العديم ، زبدة العلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٢

Setton : A History of the Crusades Vol. I. p. 438

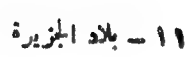
(٦)

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ - حوادث سنة ٥٣٢ هـ

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 204

(٩) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ - حوادث سنة ٥٣١ هـ

Zee Ouden Bourg : Les Croisades p. 521



ذكره أن هذه البلاد أفادت من استيلاء زنكي عليها ، إذ عمرت وزاد دخلها (١) .

واصل زنكي سياسته التي تنطوي على توحيد القوى الإسلامية في الشام لمواجهة الخطر الصليبي ، فهاجم دمشق سنة ٥٣٤ هـ (١١٢٩ م) مما اضطر معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — إلى الاستنجاد (٢) بالصليبيين ، وبذل لهم الأموال في مقابل صد زنكي عن دمشق ، فخرجوا لنصرته (٣) ، لأنهم أيقنوا بالخطر الذي يورثهم من جراء استيلاء زنكي على دمشق (٤) . ولما سارت الفرنجة إلى دمشق . اضطر عماد الدين زنكي إلى رفع الحصار عنها وقصد حوران معتمداً قتال الفرنجة قبل أن يلتقوا بأهالي دمشق غير أن الفرنجة لم يواصلوا زحفهم إلى هذه المدينة خوفاً من وقوع اشتباك بينهم وبين عماد الدين زنكي (٥) .

أما عن موقف معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — فإنه عمل على الوفاء بتمدداته للفرنجة ، فانتزح فرصة غياب — أتابك الموصل — عن بلاد الشام وسار إلى بانياس (٦) لانتزاعها وتسليمها للفرنجة — وكانت من أملاك زنكي (٧) — وانضم إليه فولك — ملك بيت المقدس — وريموند —

(١) ابن الأثير ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٢) أرسل معين الدين أنر ، أسامه بن منقذ إلى بيت المقدس لاسعى إلى الاتفاق مع الفرنجة على زنكي ، فاجتمع أسامه معه على أن يساعد أنر الفرنجة في انتزاع بانياس من عماد الدين زنكي ، وأن يبذل أمير دمشق للفرنجة ٣٠ ألف دينار كل شهر يحد بها الفرنجة قواتهم لمحاربة زنكي ، وأن يجعل صاحب دمشق رهائن عند الفرنجة ضماناً لتنفيذ الاتفاق . (أسامه بن منقذ ، الاعتبار ص ٨)

(٣) Archer : The Crusades. p. 196

(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 227

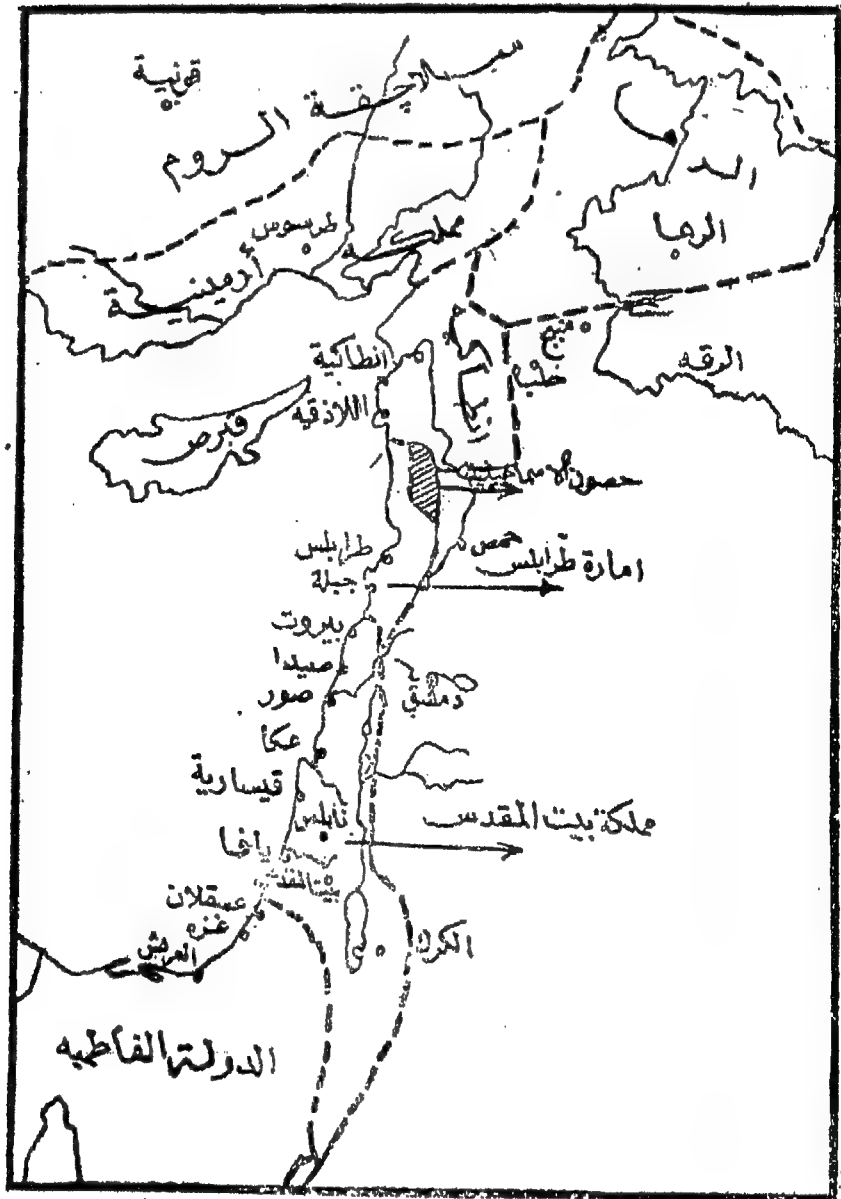
(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٦) Grousset : Histoire des Croisades, Vol. 2. p. 137

(٧) ابن واسل ، مفتح الكروبول في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٨ — ٨٩

Zoe Olden Bonrg : Les Croisades. p. 528

الامتلاكات الصليبية في بلاد الشام سنة ١١٥٣هـ (١١٤٠م)



أمير أنطاكية — وعجز أهل بانياس — عن صد أنز وحلفائه عن بلدهم^(١)
عما هون عليه أمر الاستيلاء عليها ، وتسليمها للفرنجة^(٢) ، وهكذا أدى
التحالف بين حكام دمشق وبيت المقدس إلى عرقلة الجهود التي بذلها
عماد الدين زنكي في تكوين جبهة إسلامية متحدة تستطيع مواجهة الخطر
الصليبي^(٣) .

على أن غارات قوات عماد الدين زنكي لم تتوقف في بلاد الشام ،
فيذكر ابن العديم^(٤) أن الفرنجة لما أغاروا سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) على
سرمين وطائوا فيها سلبا ونهباً ، ثم تحولوا إلى جبل السباق وكفر طاب^(٥) ،
لم يقف قواد عماد الدين زنكي في بلاد الشام مكتوفي الأيدي إزاء أعمال الفرنجة
التخريبية ، فاجتمع كثير من جند الأتراك بقيادة علم الدين بن سيف الدين
سوار ، وساروا إلى أنطاكية ، وشنوا عليها غارات وغنموا منها كثيراً
من الغنائم^(٦) .

واصل قادة زنكي جهودهم في مقاومة الصليبيين ، ففي سنة ٥٣٨ هـ
(١١٤٣ م) خرج القائد سيف الدين سوار - نائب زنكي في حلب -
إلى أنطاكية واشتبك مع بعض القوات الصليبية وأوقع بهم الهزيمة وغنم منهم

(١) Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 443

(٢) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٣) زاد التحالف بين فواك ملك بيت المقدس وأنز - نائب أنابك ، دمشق - بينما زار
عين الدين أنز وأسامة بن منقذ الملك فواك في عكا ، وأحسن استقبالهما ثم زارا حيفا
وبيت المقدس .

(٤) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ١٩٦

(٥) زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٥

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ

(٦) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٤

مقام كثيرة ، ولما خرج صاحب أنطاكية إلى زراعة للانتقام من جند زنكي رده سوار على أعقابها (١) .

كما استولى عماد الدين زنكي إلى نفس السنة على بعض بلاد ديار بكر التي كانت في حوزة جوسلين — أمير الرها (٢) — وعمل على إصلاح أمورها وأبقى بها حامية من الجند لدرء الأخطار التي تتعرض لها (٣) .

كان للنزاع الذي حدث بين ريموند — صاحب أنطاكية — وجوسلين — أمير الرها — وضعف مملكة بيت المقدس على أثر وفاة ملكها فولك ، وعجز خليفته بلدوين الثالث عن المحافظة على وحدة الفرنجة وتوحيد كلمتهم ، أثر بالغ في إتاحة الفرصة أمام زنكي لاستئناف الجهاد ضد الصليبيين (٤) ، فأعد جيشاً لمهاجمة الرها التي كانت من أشرف المدن عند النصارى ، وأكثرها محلاً (٥) .

كانت أمارة الرها تشكل خطراً كبيراً على المسلمين (٦) ، فأدى موقعها على خطوط المواصلات بين الموصل وحلب وبين بغداد ودول سلاجقة الروم في آسيا الصغرى (٧) ، إلى تعرض المسلمين لأخطار جسيمة (٨) .

(١) ابن المديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٩٥٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٨ هـ .

ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٢ .

(٣) ابن الفلاس : فتل تاريخ دمشق ص ٧٢٨ .

(٤) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades, p. 263 .

Stevenson : The Crusaders in the East, p. 153 .

(٥) ابن قاضي عهبة ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٧) ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣ .

(٨) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٧ .

أبو القدا . المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧ .



الإمارات اللاتينية في الشام
(١١٨٧م - ١٢٥٠م)

كما أن الفرنجة اتخذوها قاعدة لشن غاراتهم على البلاد الجزرية (١).

رأى عماد الدين زنكي أنه إذا ما قصد الرها اجتمع بها من الفرنجة من يعمل على صدّه ، فيتعذر عليه فتحها (٢) ، فاتجه إلى ديار بكر ليوم الفرنجة أنه منشغل عنهم بحاربة قر أرسلان - أمير ماردين - الذي تحالف مع جوسلين الثاني - أمير الرها (٣) - وقد تمكن زنكي من انتزاع عدة قلاع في ديار بكر (٤) . أما فيما يتعلق بأمير الرها فإنه لم ينشغل عن حليفه أمير ماردين (٥) ، فخرج على رأس جيش كبير عبر به الفرات إلى البلاد الشامية (٦) ليحول دون الاتصال بين حلب والموصل ، وعسكر بقواته في تل باشر (٧) . ولما وقف زنكي على تحركات خصمه جوسلين ، عقد الصلح مع الأراتقة ، وسار إلى الرها (٨) .

لم يترك جوسلين في الرها حامية كبيرة (٩) ، بل اعتمد في الدفاع عنها

(١) على الرغم من أن الفرنجة اتخذوا الرها قاعدة لشن الغارات على المسلمين فقد سر موقعها على المسلمين أمير الاستيلاء عليها ذلك أنه نهر الفرات فصلها عن الإمارات الصليبية ، وأحاط بها المسلمون من ثلاث جهات .

(Grousset : 1. Istoire des Croisades. Vol. 2 p. 172)

Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 235 (٢)

Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 461 (٣)

(٤) ابن العديم : في بدء الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٧

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣

Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 461 (٧)

(٨) قبل أن يصل زنكي إلى الرها أرسل حملة استطلاعية بقيادة صلاح الدين الباغيساني أمير حماه - لمهاجمة الرها ، غير أن الباغيساني ضل الطريق في ليلة حالكه الظلام فزيرة الأمطار ، فلم يبلغ بقواتها الرها إلا بعد أن وصل إليها عماد الدين زنكي . (ابن القلانسي في تاريخ دمشق ص ٢١٩)

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣ - ٩٤

على السكان الأصليين من المسيحيين^(١) على الرغم من قلة خبرتهم بشئون الحرب والقتال ، كما تولى الدفاع عن المدينة الجند المرتزقة^(٢) .

لما زحف عماد الدين زنكى إلى الرها شاهد مدينة تجمع بين حسن التنسيق ، ودقة التحصين^(٣) ، فأرسل أهلها يعرض عليهم الأمان — لكن زعماء المسيحيين رفضوا ذلك العرض الذى تقدم به زنكى^(٤) . أملا فى أن تصل إليهم نجدة من جوسلين ، ومن أمير أنطاكية وبيت المقدس^(٥) على أن ريموند — أمير أنطاكية — خيب أملهم حين رفض إرسال نجدة إليهم ، أما ميليسند — ملكة بيت المقدس — فأرسلت جيشا إلى الرها ، لكنه وصل إليها بعد فتحها^(٦) ، بينما ازدادت قوات عماد الدين زنكى بما انضم إليها من الأتراك والتركمان^(٧) .

حاصرت قوات عماد الدين زنكى الرها من جميع الجهات سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وحالت دون وصول الأقوات والميرة إليها^(٨) ، ونصبت على أسوارها المنجنوقات^(٩) ، وبعد عدة هجمات ، تمكن جند الموصل من تقطيع أسوار الرها^(١٠) ، ودخلوا المدينة بعد حصار دام ثمانية وعشرين

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ .

(٢) Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p 235

(٣) Setton ; A History of the Crusades. Vol. 1. p 461

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٣٧٧ - ٣٧٩

(٥) Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2 p, 273

(٦) Grousset ; Histoire des Croisades. Vol. pp. 179-180

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ - ٦٩

(٨) ابن القلاسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٧٩

(٩) ابن واصل : مفرج السكروب فى ذكر دولة بنى أبوبكر ص ٩٣

(١٠) Gibb , The Damascus Chronicle of the Crusades. pp.

يوما (١) ، وفـرر أهلها إلى قلعـتها (٢) ؛ لكن هـيو — رئيس الأساقفة اللاتين — أمر باغلاق القلعة دونهم (٣) ، عما جعلهم يواجهون خطر هجوم قوات زنكى (٤) .

أما عن زنكى فإنه أمر جنده بالكف عن قتال المسيحيين الشرقيين ، بينما حاصرت قواته الفرنجة ، ونسكت بهم (٥) .

رأى زنكى بعد دخوله مدينة الرها أن يقطعها لزين الدين على كجك وطلب اليه أن يعمل على إصلاح أمورها ونشر العدل بين أهلها (٦) ، فسار زين الدين في أهل الرها سيرة حسنة (٧) . وشملهم بغنايته ورعايته ، فطابت نفوسهم (٨) وانضموا إلى المسلمين في الدفاع عن المدينة ضد هجمات الفرنجة الذين يخالفونهم في مذهبهم الدينى (٩) . وهكذا عادت الرها إلى حالها الأول . مدينة مسيحية يحكمها أمراء مسلمون . (١٠)

علت مكانة زنكى بعد ذلك الإنتصار الرائع الذى أحرزه على الصليبيين

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩
 (٢) ابن فاضى شهبه : السكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٦٢
 (٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ - ٦٩
 (٤) ابن واصل . مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٩٤
 Runciman , A History of the Crusades, Vol. 2 p. 273
 (٥) ابن القلانسى . ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩
 ابن العديم : زبدة الملب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٩
 (٦) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤
 ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٩
 Runciman , A History of the Crusades, Vol. 2 p. 237
 (٧) Vasileiv , History of the Byzantine Empire. p. 418
 (٨) أبوشامه ، الروضتين فى أخبار الدولتين ص ١٠١
 Setton , A History of the Crusades. Vol. 1. p. 461
 (٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤
 (١٠) Grousset , Histoire des Croisades. Vol. 2 pp. 190—191

فمنحه الخليفة العباسي الهدايا ، ولقبه بطل الإسلام ، الملك المظفر المنصور قاهر الكفرة والمتمردين^(١) .

كان لسقوط الرها آثار بعيدة المدى على المسلمين ، إذ أنها أول أمانة صليبية قامت في الشرق ، ولم يعد للفرنجية بعد زوالها إلا بلاد تقع على ساحل البحر المتوسط كما أن سبل الإتصال بين حلب والموصل صارت آمنة^(٢) .

لم يكتف عماد الدين زنكي بفتح الزها ، بل عول على انتزاع أعمالها من جوسلين الثاني ، فسار إلى سروج^(٣) - التي تعتبر ثاني الحصون الصليبية الكبيرة الواقعة شرق الفرات - . ويذكر ابن القلانسي^(٤) ، أن هذا الحصن كان محصنا تحصينا قويا ، فلما نزل زنكي عليه ، قطع عنه سائر ما يصل إليه من المؤن والمعدات حتى استولى عليه^(٥) ، كما امتلك زنكي البلاد والمعاقل التي كانت في حوزة جوسلين على نهر الفرات^(٦) ، حتى لم يبق لهذا الأمير الصليبي سوى البيرة التي تتوافر فيها المؤن والذخائر^(٧) . فحاصرها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ (١١٢٥ م) غير أن الفرنجية قاوموا ، مقاومة عنيفة ، واضطر زنكي إلى رفع الحصار عنها ، وعاد إلى الموصل^(٨) . لأقرار أمورها إلى وضعها الصحيح^(٩) ، بعد محاوله السلطان السلجوقي

(١) سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان في تاريخ الأيمان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٢ .

(٢) Cambridge-Medieval History vol. 2 p. 307

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٤) ذيل تاريخ دمشق ص ٨٤ .

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ٦٩ - ٧٠ .

Runciman , A History of of the Crusades- vol. 2 P: 237

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب في تلويح حلب ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢١٨ .

(٧) ابن الأثير : التاريخ في الدولة الأتابكية ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠ - ٢١٨ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

ابن واصل مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٦ .

ألب أرسلان الاستشار بالسلطة في أتابكيته . (١)

اقتنح حسام الدين تيمرتاش — أمير ماردين — فرصة رفع زنكي الحصار عن البيرة وعودته إلى بلاده ، وسار إلى البيرة ، وشدد الحصار عليها ، وحال دون وصول المؤن والذخيرة إليها (٢) ولما عجز أهلها عن مقاومته ، رأوا أن من الخير تسليم بلادهم لأمير ماردين خشية من وقوعها في يد زنكي (٣) وهونو التيمرتاش أمر الاستيلاء على البيرة (٤) وهكذا لم يبق بيد الفرنجة أي بلد شرقي الفرات . (٥)

كان للهزائم التي ألحقها جند الموصل والجزيرة بالصليبيين في الشام أثر بالغ في نفوسهم (٦) فعملوا على الانتقام من المسلمين ، ففي سنة ٥٣٩ هـ - (١١٤٥ م) اجتمع حشد كبير من الصليبيين بنواحي انطاكية لاستعادة الرها وأعمالها (٧) كما أن سكان الرها من الأرمن أرسلوا إلى جوسلين الثاني يطلبون منه القدوم إلى مدينتهم واستعادتها وخاصة أن زنكي ترك حامية صغيرة (٨) ، ولما علم عماد الدين زنكي بذلك باغت جموع الصليبيين ، وألحق بهم هزيمة ساحقة (٩) ، وردهم على أعقابهم ، ثم سار إلى الرها وقضى على المتأمرين (١٠) .

(١) Setton , A History of the Crusades. vol. 1. p. 461

(٢) Gibb , The Damascus Chronicle of the Crusades, p.288

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ص ١٠٣

(٥) Runciman , A History of the Crusades. vol. 2. p. 238

(٦) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٨ .

(٧) Setton , A History of the Crusades. vol. 1 p. 461

(٨) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢

(٩) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨١

(١٠) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢ .

Runciman , A History of the Crusades. vol. 2. p 239

كذلك عول زنكى على محاربة حسام الدين تمر تاش - صاحب ماردين - لاعتقاده أنه تحالف مع الفرنجة الذين مكمنوه من ضم البيرة^(١) إلى حوزته ، فهاجم ماردين ، واستولى على بعض أعمالها ، ثم سار نحو الجنوب سنة ٥٤١ هـ - (١١٤٦ م) لمحاربة سالم بن مالك - صاحب قلعة جعبر ، وهو من حلفاء الفرنجة - غير أن زنكى ما لبث أن وافته منيته ، إذ قتله أحد غلمانه من أصل إفريقي ، وزنكى من أبطال الإسلام فلما يأتى التاريخ بمثلهم ، وقد عبر أحد شاهدى العيان عن الفاجعة المروعة بقوله للقاتل : لقد قتلت المسلمين جميعاً بقتله .

استقر رأى جوسلين الثانى - بعد مقتل عماد الدين زنكى على استرداد البلاد التى انتزعت منه^(٢) ، فأرسل إلى أهل الرها سنة ٥٤١ هـ - (١١٤٦ م) يحرضهم على العصيان ، وتسليم البلد إليه . فأجابوه إلى ذلك^(٣) ، وسار إلى الرها ، واستعادها^(٤) . غير أن جند عماد الدين زنكى اعتصموا بالقلعة ، ورفضوا تسليها إلى الفرنجة^(٥) ، وسار سيف الدين غازى بن زنكى - الذى خلف أباه فى حكم الموصل - إلى الرها لنجدتها^(٦) ، كما زحف إليها أخوه نور الدين محمود - صاحب حلب فلما بلغ ذلك جوسلين ، وأيقن بعجزه عن التصدى للقوات الإسلامية عاد أدراجه^(٧) . وبذلك فشلت محاولة جوسلين استعادة الرها ، لكنه لم يلبث - رغم

- (١) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٤ - ٨٦
- (٢) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ - ٩٨ - ٩٩
- (٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٣
- (٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٠
- (٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤١ هـ .
- (٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٣
- (٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٠
- (٨) Grousset : Histoire des Croisades Vol . ٨ . P. 203
- (٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦
- (١٠) Vasiliev : History of the Byzantine Empire . p. 418

تلك الهزيمة التي حلت به - أن واصل سياسته في العمل على استرداد هذه المدينة ، فأرسل إلى البابا يوجين الثالث يستنجد به ، ويطلب منه إيفاء حملة تمكنه من استعادة البلاد التي انتزعها منه المسلمون^(١) ، وكان البابا قد وقف على ضعف شأن الفرنجة في بلاد الشام من الحجاج والقادمين من بيت المقدس إلى أوروبا^(٢) ، فقرر الدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، ولقيت دعوته موافقة كنزاد الثالث - امبراطور ألمانيا - ولويس السابع - ملك فرنسا^(٣) سارت حملة صليبية ثانية إلى بلاد الشام سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٧ م) على رأسها كونراد الثالث - امبراطور ألمانيا - ولويس السابع - ملك فرنسا واتجهت إلى هذه البلاد عن طريق آسيا الصغرى^(٤) ، غير أنها لم تقم بالمهمة التي جاءت من أجلها وهي استرداد الرها^(٥) ، واستعادة شمال الشام ، وإنما عمدت إلى مهاجمة دمشق^(٦) ، على الرغم من أن أتابكة دمشق حرصوا على صداقة الفرنجة في بلاد الشام^(٧) ، وذلك تحت تأثير مملكة بيت المقدس وأطماعها في التوسع ، إذ أدرك حكام بيت المقدس الأهمية العسكرية والاقتصادية لمدينة دمشق^(٨) .

اجتمع شمل هذه الحملة عند طبرية سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ثم سارت عن طريق بانياس إلى غوطة دمشق^(٩) ، فأعد معين الدين أنز - نائب أتابك دمشق - العدة لصدّها ، وبعث إلى سيف الدين غازي - أتابك الموصل -

(١) Setton : A History of the Crusades. vol. 1 p. 466

(٢) Runciman : A History of the Crusades vol. 2 p 247

(٣) Setton : A History of the Crusades. Vol. 1 p. 467

(٤) Ibid : Vol. I. p. 406

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٢

(٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٣٧

(٨) ابن قاضي شحنة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٩٠

(٩) Setton : A History of the Crusades. Vol. 1 p. 406

(١٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الرمان في تاريخ الأعيان (القسم الأول) ج ٨ ص ١٩٧

يستنجده ، فسار إلى دمشق على رأس عشرين ألف مقاتل^(١) ، وانضموا إلى نور الدين محمود - صاحب حلب - ، فنزلوا بمدينة حمص^(٢) ، وكتب سيف الدين غازي إلى معين الدين أنز يقول له : « قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح في بلادى ، فأريد أن تكون نوابي بمدينة دمشق ، لأحضر وألقى الفرنج ، فإن انهزمت دخلت وعسكرى البلد ، واحتميته ، وأن قلقرنا فالبلد لكم لا . ينازعكم فيه أحد^(٣) » ، كما أرسل سيف الدين غازي إلى الفرنجة يطلب منهم الكف عن مهاجمة دمشق^(٤) ، ويتوعدهم بالحرب .

كذلك حذر معين الدين أنز الفرنجة المقيمين في بلاد الشام من سيف الدين غازي إذا استمروا في مهاجمة دمشق^(٥) ، ومن مؤازرة الحملة الصليبية الثانية^(٦) وعرض عليهم النزول عن مدينة بانياس^(٧) فضلا عن أموال كثيرة يمنحها لهم في مقابل التخلي عن هذه الحملة^(٨) .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ .

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٩ .

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٢ .

(٤) ابن قاضي شهاب ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٩٠ - ٩١ .

(٥) Setton : A History of the Crusade vol 1. p. 508 .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٩ .

(٧) أرسل معين الدين أنز إلى الفرنجة القادمين إلى بلاد الشام يقول ، « أن ملك الشرق

قد حضر ، فإن رحتم وإلا سلمت البلد إليه وحيثنذ تشمون وأرسل إلى الفرنجة المقيمين

في بلاد الشام يقول ، « بأى عقل تسامون هؤلاء علينا ، وأنتم تعلمون أنهم إن ملكوا

دمشق ، أخذ ما بأيديكم من البلاد الساحلية ، أما إن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته

إلى سيف الدين ، وأنتم تعلمون أنه إن ملك دمشق لا يبق لكم معه في الشام مقام .

(ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكرى دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١١٢)

(٧) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القيم الأول ج ٨ ص ١٩٨ .

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٢ .

Setton: A History of the Crusades Vol 1 p. 509

حاصر الصليبيون مدينة دمشق خمسة أيام ، لكن المدينة صمدت بفضل الإمدادات التي تدفقت عليها ، واستطاع أهل هذه المدينة صد هجماتهم على أسوار المدينة^(١) ، بينما انتشرت قوات في غرطة دمشق تهاجم الفرنجة المربطة بها^(٢) . وبلغ من شدة هجماتهم أن اضطر الفرنجة إلى نقل معسكرهم من الغرطة إلى شرق دمشق . غير أنهم لم يفيدوا من هذا المكان الذي عسكروا به لعدم وفرة مياهه ، فضلاً عن مناعة أسوار دمشق في هذه الجهة^(٣) . ولما علم الصليبيون أن قوات الموصل وحلب شرعت في الزحف لنجدة دمشق ، وأن الفرنجة في الشام اتفقوا مع معين الدين أنر على التخلي عنهم^(٤) ، استقر رأيهم على رفع الحصار عن دمشق ، وأبحر الإمبراطور الألماني كثراد الثالث من عكا عائداً إلى بلاده^(٥) . وهكذا لم تحقق هذه الحملة شيئاً سوى أنها فقدت كثيراً من جندها وعتادها^(٦) .

لم تقف جهود سيف الدين غازي - أتابك الموصل - في محاربة الصليبيين عند هذا الحد ، بل اشترك في انتزاع حصن العزيمة^(٧) من الفرنجة^(٨) ، ذلك أن برتراند - أمير تولوز - عول على الانتقام من ريموند الثاني - أمير طرابلس - لاتهامه بالتحريض على قتل أبيه^(٩) الكونت الفونسو^(١٠) ،

(١) ابن الأثير : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩

(٢) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 238

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٤) Setton : A History of the Crusades, Vol. 1. P. 509

(٥) ابن الأثير : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩

Stevenson : The Crusaders in the East. p. 160

(٦) Runciman : A History of the Crusades , Vol. 2 p. 234

(٧) Grousset : Histoire des Croisades , Vol 2 : p. 271

(٨) Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 511

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(١٠) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠

(١١) ابن واصل : تمهيد في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٤

فوحف أمير تولوز إلى حصن العزيمة ، واثنته من ريموند الثاني (١) . وكان ذلك مما حل هذا الأمر على الاستنجد بتيق الدين عازي ، وبعض أمراء المسلمين (٢) ، وطلب منهم أن يعاونوه في استرداد هذا الحصن . فأجابوا طلبه (٣) .

هاجمت القوات الإسلامية حصن العزيمة . وافتتح به بوتراند . ولما ضيقت عليه هذه القوات الحصار اضطر إلى التسليم (٤) . وبذلك تيسر للمسلمين الاستيلاء على هذا الحصن ، كما وقع في أيديهم كثير من الأسرى من بينهم بوتراند (٥) .

كذلك انضم أتابكة الموصل والجزيرة إلى نور الدين محمود في الحرب التي نشبت بينه وبين الفرنجة سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) (٦) ذلك أن الفرنجة قصدوا مصر في هذه السنة ، فعول نور الدين محمود على مهاجمة بلادهم وسار لنجدته قطب الدين مودود - أتابك الموصل - وقرا أرسلان بن داود ابن أرتق - صاحب حصن كيفا - وألب أرسلان بن تمرقاش - صاحب مارعين (٧) - ولما اجتمعت قواتهم هدد نور الدين محمود ، نازل حارم ، ونصب عليها المنجنيقات ، غير أن قوات الفرنجة ما لبثت أن دحفت إليها واضطرت القوات الإسلامية إلى الانسحاب قرب حلب . ومع ذلك فشلت قوات الفرنجة في تتبعها (٨) وطدت إلى حارم ، فتعقبهم المسلمون ،

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١١٤

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٠ .

(٣) ابن العديم ، زبدة الحقب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٤) Runciman: A History of the Crusades . Vol. 2 PP. 207-288 (٤)

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٦) ابن واصل ، معراج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٤

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٩ هـ

(٨) ابن واصل : معراج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢٥

Setton : A History of the Crusades Vol. 1 P. 551

(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٤٦

والحقوا بهم الهزيمة ووقع في أيديهم كثير من أسراهم كان من بينهم
بوهمند - صاحب أنطاكية^(١) - غير أنه لم يستمر طويلا في الأسر ، فقد
أطلق سراحه بعد أن أدى أموالا كثيرة^(٢) .

لم تقف جهود قطب الدين مودود في محاربة الفرنجة عند هذا الحد ،
بل انضم إلى نور الدين محمود للمرة الثانية في مهاجمة الفرنجة فتوغلت قوات
الموصل وحلب في أعمال أنطاكية^(٣) ، وحاصرت حصن الأكراد - على
مقربة من حصن - ونزلوا بعرقه ، كما حاصروا حلب ، واستولوا^(٤) عليها
ثم فتحت قوات الموصل وحلب ، العريمة^(٥) وصافيتا^(٦) سنة ٥٦٢ هـ
(١١٦٦ م) وقصدوا حصن هونين ، وألحقوا الهزيمة بالفرنجة ، وعاد
قطب الدين إلى الموصل بعد أن منحه نور الدين محمود الرقة مكافأة له على
حسن بلائه في مناهضة الفرنجة^(٧) .

مهدت الانتصارات التي أحرزها كل من نور الدين محمود وقطب الدين
مودود على الصليبيين في أنطاكية السبيل لبعض أمراء بني أرتق للتوسع في
بلاد الفرنجة فهاجم قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - الأجزاء الشمالية
من إمارة الرها ونجح في الاستيلاء على كركر^(٨) .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٢) ابن المديم : زبدة الخب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 225-226

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٥٣

(٥) العريمة : قال أبو عبيد الله السكوني وبين أجا وسلمى موضع يقال له العريمة وهو
ومل وبه ماء يعرف بالعربية .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٦ ص ١٦٤

(٧) صافيتا : قرب بلدة عرقة آخر عمل دمشق شرق طرابلس .

(٨) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك . ج ١ القسم الأول ص ١٠٠

Stevenson : The Crusaders in the East. p. 165 (٧)

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ

Setton : A History of the Crusades. Vol. I . P. 5512

كذلك أسهم أتابكة الموصل والجزيرة في الحروب التي قام بها صلاح الدين يوسف بن أيوب ضد الصليبيين ذلك أنه لما اردادت غارات رينجالد - أمير حصن الكرك^(١) - على المدن الإسلامية ، وكثر نعرضه لقوافل المسلمين المتجهة إلى مصر أو القادمة منها^(٢) ، عول السلطان صلاح الدين على مهاجمة هذا الحصن ، وانضم إليه قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا وآمد^(٣) - وعندما اشتد حصار المسلمين لحصن الكرك ، استنجد صاحبه بالفرنجة ، فخرج لنجدته ريموند الثالث - أمير أنطاكية - فاضطر المسلمون إلى رفع الحصار عن الحصن ، وسارت قواتهم إلى نابلس ، فأحرقوها ودمروها ، ثم علدوا إلى دمشق سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م)^(٤) .

ولما خرج صلاح الدين لحصار حصن الكرك سنة ٥٨٣ هـ - (١١٧٧ م) سار أتابكة الموصل والجزيرة وديار بكر لنجدته^(٥) كما عهد هذا السلطان لمظفر الدين كوكبورى - صاحب حرلان والرها - بالمسير إلى عكا لمهاجمتها^(٦) ، فزحف إليها ، واشتبك مع الفرنجة في معركة انتهت بانتصار قواته ، واستيلائها على كثير من الغنائم^(٧) .

واصل صلاح الدين الحرب ضد الصليبيين سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) فأرسل إلى أمراء الموصل والجزيرة وديار بكر يستنفرهم ، ويحثهم على سرعة القدوم إلى بلاد الشام ، فأجابوا طلبه ، ويذكر ابن شداد^(٨) أن السلطان صلاح الدين سر كثير ألقودوم هؤلاء الأمراء وأكرم وفادتهم ومنحهم

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٠ هـ

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٥٣

(٣) أبو شامة : الروستين في أخبار الدولتين ج ٣ ص ٥٥

(٤) ابن واصل - معراج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٢٩ - ١٤٩ .

(٥) أبو شامة : الروصد - في حار الدولتين ج ٢ ص ٤٨

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٣ هـ

(٧) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ١٢٦

الهدايا، وسارت^(١) القوات الإسلامية المتحالفة إلى حصن الأكراد واستولت عليه، ثم هاجمت أنطاكية واطردت عنها، واستولوا على جبله، ثم قصدوا اللاذقية وضموها إلى حوزتهم. كما فتحوا حصون صهيون وباكوس والشيفر وسرمينية^(٢) وبرزية واذنعت القوات الإسلامية إلى جانب ذلك درب ساك على نهر العاصي وبغراس، ولما عقد صلاح الدين هدنة مع بوهمند الثالث - أمير أنطاكية - أذن لعسكر الموصل والجزيرة بالعودة إلى بلادهم، وكافأ حلفاءه، وأجزل لهم العطاء^(٣).

واستطاع صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يعد العدة لحرب شاملة ضد الصليبيين، وسانده في ذلك أتباعه الموصل والجزيرة، ذلك أن أرناط - أمير أنطاكية - بعد أن وقع أسيراً في أيدي المسلمين سنين عدداً، تزوج من إتيمنت دي ميللي Etienne de Milly وريثة صاحب الأردن، وأطلقت يده في حكم الأردن وحصن الكرك والشوبك^(٤).

وتعرض أرناط للقوافل الإسلامية السائرة بين دمشق واقاهرة مارة بخصنه، كما جرد حملة سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ على الجزيرة العربية. لكن قوات صلاح الدين أخبطت هذه المحاولة، وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل أرناط يهاجم المسلمين، وأرسل أسطولاً إلى شواطئ الحجاز، إلا أن العادل - نائب صلاح الدين في حكم مصر - أرسل قوات شتت شمل الصليبيين شمال ينبع، وأسرت الكثير منهم، وفر الباقون وعلى رأسهم أرناط^(٥).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٤ هـ.

(٢) العماد السكاتب الفرج القسي في الفتح القدسي ص ٣٤٠ وما بعدها.

(٣) نفس المصدر ص ٣٦٢.

(٤) Setton: A History of the Crusades. I. p. 581

(٥) Stevenson: the Crusaders in the East p. 226

لذلك طلب أرناط من صلاح الدين عقد هدنة بينهما ، فوافق السلطان الأيوبي ، وعادت القوافل الإسلامية إلى المرور بين مصر والشام عبر صحراء الأردن في أمن وطمانينة ، ولكن أرناط لم يلبث أن نقض الهدنة ، وعاد مرة أخرى إلى أعمال السلب والنهب ، فهاجم قافلة إسلامية متجهة من القاهرة إلى دمشق ومحلة بالنعم الجليلية سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٦ م ، واستولى على كل ما فيها من نقاش ، ونهب أفراد القافلة ، وزجهم في حصن الكرك (١) .

حاول صلاح الدين إنقاذ أسرى القافلة ، فطلب من أرناط إطلاق سراحهم ، وإرسال الأموال التي اغتصبها ، ولكنه رفض . فأرسل إلى جاي لوزجنان — ملك بيت المقدس — يطلب منه بذل مساعيهِ الجيدة لدى أرناط للإفراج عن الأسرى ، وإطلاقه الأموال وقشل ملك بيت المقدس في إقناع أرناط ، وفي هذا مايدل على أن صلاح الدين أراد حل المشكلة سلماً ، ولما أصر أرناط على العناد نذر دمه وأعطى الله عهداً إن ظفر به أن يستبيح مهجته (٢) .

شن صلاح الدين عدة حملات استطلاعية على المواقع الصليبية ، فأدرك قادة الصليبيين مدى الخطر الذي يهددهم من المسلمين ، فدخل ريموند الثالث — أمير ضرابلس — في طاعة الملك جاي لوزجنان واتفق معه على أن يعمل تحت قيادته في مواجهة أى هجوم إسلامي ، وعسكر الصليبيون في صفوريه — قرب عكا — ومعهم صليب الصلבות فعول صلاح الدين على استدراج الصليبيين إلى طبريه ، فهاجمها ، وكان يحكمها أسيفا — زوجة ريموند الثالث .

لذا رأى الصليبيون خطورة الموقف ، واتجهوا إلى طبريه ، وضمت

(١) القريزي : السلوك ج ١ ص ٩٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٨٥

الحملة ، أرناف ، وجاي لوز جنان — ملك بيت المقدس — وجيراردى ريد
فورت مقدم الداوية . وريموند — أمير طرابلس (١) .

اجتمع الصليبيون واحتشدوا للدفاع عن إماراتهم ، واجتمعت كلتهم
بعد فرقتهم ، ولم اتفق عنهم من الله شيئا ، وجعوا فارسهم ورجالهم ، ثم
ساروا من عكا إلى صفورية ، وصار صلاح الدين وجنده وعسكر في موضع
بجوار لطبرية ، وصعد للمسلمون جبلها وتقدموا حتى اقتربوا من الصليبيين
فلم ير منهم أحدا ، ولا فارقوا خيامهم ، وأمر صلاح الدين فرقة من جنده
يمنع الصليبيين من القتال ، بينما هاجم طبرية ، وشدد هجماته عليها ، حتى
استولى على المدينة عنوة ، ولجأ من بها إلى القلعة ، واعتصموا بها ، وأطلق
صلاح الدين لجنده العنان في نهب البلدة وإحراقها ، عندئذ تقدم الصليبيون
نحو معسكر المسلمين حتى اقتربوا منهم ، وكان المسلمون قد نزلوا على الماء
والزمان قيظ شديد الحر ، ولم يتمكن الصليبيون من الوصول إلى ذلك الماء
من المسلمين ، وكانوا قد أفنوا ما هناك من ماء الصهاريج ، ولم يتمكنوا من
الرجوع خوفا من المسلمين ، فبقوا على حالهم إلى الغد ، وقد أخذ منهم
العطش كل مأخذ ، وقد أدرك المسلمون ذلك ، وتأكدوا أنهم في وضع
أحسن بكثير من وضع العدو ، فباتوا يحرض بعضهم بعضا ، وقد
وجدوا ريح النصر والظفر ، وكلما رأوا حال العدو السيئ ، وخذلانهم
زاد طمعهم وجرأتهم ، فأكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم (٢)

وأصبح صباح يوم السبت من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ ، ١١٨٧ م
تجمع المسلمون ، وتقدموا بقيادة القائد صلاح الدين ، واقتربوا من
الصليبيين ، وكان حالهم قد ازداد سوءا بعد أن اشتد بهم العطش ، ودارت

Stevenson : The Crusaders in the East P. 245.

(١)

(٢) ابن الأثير : السكاكيل حوادث سنة ٥٨٣ هـ

رحى معركة بين الفريقين ، وحى وطيس القتال ، وحاول بعض جند العدو الاقتراب من طبرية حيث الماء ، فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدم عن مرادهم ، وأمر جنده بالحيلولة بين العدو وبين الماء ، وطاف صلاح الدين بنفسه على المسلمين يحرضهم على مواصلة القتال ، والجهاد في سبيل الله فأتمر المسلمون بأمره ، ووقفوا عند نهيه ، فهاجم المسلمون — بعد أن استثار القائد حماسهم — أعداءهم ، وحملوا عليهم حملة متسكرة . أنهكوا قوى العدو ، وقتلوا منهم كثيرين . ولما رأى الصليبيون أنهم لا طاقة لهم بالمسلمين ، حاول بعضهم فتح طريق يخرجون منه ، وكان بعض المتطوعة قد أشعل في تلك الأرض نارا ، وكانت الأعشاب والحشائش كثيرة ، فاحترقت ، وكانت الريح ، فحملت حر النار والدخان إليهم ، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال . وأسقط في يد الصليبيين بعد الهزيمة ، وكادوا يستسلمون ، لذلك رأوا أنهم لا يستطيعون النجاة إلا إذا شنوا حملات انتحارية على المسلمين . وفعلا هاجموا المسلمين بضرارة وعنف ، إلا أن المسلمين — الذبر عقدوا العزم على مواصلة النضال مهما كانت التضحيات — تصدوا لهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وتخاذلوا . وأدركوا أن الهزيمة لاحقة بهم لا محالة وأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقضرها ، فصعد من استطاع من الصليبيين إلى تل بناحية حطين ، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ، ويحموا نفوسهم به . فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ، واستولى المسلمون على صليبيهم الأعظم المسمى صليب الصليوت (١) ، وأعمل المسلمون فيهم السيف حتى أفنوهم ، وبني ملك بيت المقدس

(١) يعتقد المسيحيون أن بهذا الصليب قطعة من الخشب صاب عليها المسيح عليه السلام ، وكان استيلاء المسلمين عليه من أعظم المصائب عند المسيحيين وأيقن الصليبيون بعده بالفشل والفناء والهلاك .

الصليبي على التل مع مائة وخمسين فارساً من الفرسان المشهورين الشجعان وأسر المسلمون الملك الصليبي وفرسانه عن يكرة أيهم ، ومن بين الأسرى أرناط — أمير الكرك — ولم يكن من بين الصليبيين أشد عداواً للمسلمين من هذا الرجل ، وأسر المسلمون جماعة من الداوية والإسبتارية وكثر القتل والأسر فيهم ، فكان من يرى القتل لا يظن أنهم أسروا واحداً ، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً .^(١)

نزل صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد هذا النصر المبين في خيمته ، وأحضر ملك بيت المقدس عنده ، وأمراء الصليبيين ومن بينهم أرناط ، وأجلس صلاح الدين ، الملك الصليبي إلى جانبه ، وقد أهلكه العطش ، وأضناه القتال ، فسقاه ماء فشرب ، وأكرمه وقال : إن الملوك لا تتعرض للملوك بسوء ، ولكن صلاح الدين رفض أن يسقى أرناط ، ثم ذكره بذنوبه وآثامه وأخطائه الجسيمة حيال المسلمين ، وقام إليه بنفسه ، وقتله وقال : كنت نذرت دفعتين أن أقتله إن ظفرت به ، إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة ، والثانية لما تعرض للقافلة الإسلامية بالسلب والنهب .

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الصليبيين أقام بموضعة باقي يومه وفي يوم الأحد عاد إلى طبرية ونازلها ، فأرسلت صاحبها أشفيا تطلب الأمان لها ولأولادها وأصحابها ومالها فأجابها إلى ذلك .

وغادرت البلدة مع جماعتها في أمن وطمأنينة ، ثم أمر صلاح الدين بارسال الملك الصليبي والأمراء والفرسان الصليبيين إلى دمشق ، وأمر بقتل الأسرى من الداوية والإسبتارية ، لأنهم أشد شوكة من جميع الصليبيين ، فأراح المسلمين من شرهم المستطير ، وأمر فانيه في دمشق بقتل من دخل البلدة منهم .

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ م

بعد أن استولى صلاح الدين على طبرية ، اتجه إلى عكا ، وحاول أهلها الدفاع عنها ، وتمازأوا قوات المسلمين فزعوا وجزعوا ، وخرج كثير من أهل عكا يضرعون ويطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وآثروا الخروج عن البلدة خوفا من المسلمين بما خف جملة ، وغلا ثمنه من الأمتعة والعتاد ، ودخل صلاح الدين عكا ، وغنم المسلمون من البلدة مغانم كثيرة لأنها كانت مقصد التجار للصليبيين والروم وغيرهم^(١) .

بعد أن استولى صلاح الدين على طبرية وعكا ، تفرق جنده في البلاد التي كانت في أيدي الصليبيين مثل الناصرة وقيساريه وحيفا وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فلكوها . وامتلك العادل — نائب صلاح الدين في مصر — مدينة يافا عنوه . بينما سار صلاح الدين إلى صيدا ، فلما سمع صاحبها بمسير القائد المختصر إلى البلدة ، أسقط في يده ، وغادر البلدة ، وتركها من غير مدافع . فلما بلغها صلاح الدين تسلمها ثم سار إلى بيروت ، لكنه رأى أهلها قد صعدوا على سورها وتأهبوا للدفاع عنها ، وقتلوا المسلمين قتلا شديدا^(٢) ، إلا أن المسلمين لم يخشوا من حملاتهم ، بل شددوا هجماتهم عليهم ، حتى وهنوا وضعفوا وأرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون الأمان على أنفسهم وأموالهم ، فاستجاب لهم ، واستولى على المدينة بعد حصار دام ثمانية أيام ، وأما جيل فإن صاحبها كان في جملة الأسرى الذين سيقوا إلى دمشق ، وأطلقه صلاح الدين بعد أن تنازل عن جيل للصليبيين^(٣) .

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١١٥

(٢) عماد الدين الكاتب : الفتح القسى ص ٣٥

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٣٨

وبذلك استولى صلاح الدين على معظم المدن والقلاع والمراكز الساحلية في جنوب بلاد الشام ، إلا أنه ترك من فيها من الصليبيين أحرارا وأذن لهم بالمقام في البلاد التي استولى عليها ، أو مغادرتها فقصدهم معظمهم إلى صور حيث احتشدت الجماعات المتخلفة من مملكة بيت المقدس الصليبية وقد أدى ذلك إلى صعوبة التغلب عليها ، الأمر الذي لم يغيب عن ذهن السلطان صلاح الدين ، فازمع تأجيل مهاجمتها ، والاتجاه إلى غيرها (١) .

ولما استولى صلاح الدين على بيروت وجبيل وغيرها ، عول على المسير إلى عسقلان والقدس ، وعسقلان لها أهمية استراتيجية لصلاح الدين لأنها على طريق مصر ، وأيضا ييسر له الزحف إلى القدس ، وكان صلاح الدين يفضل أن تتصل الولايات له ليسهل خروج الجند منها ، ودخولهم إليها ، فسار عن بيروت نحو عسقلان ، واجتمع بأخيه العادل ومن معه من جند مصر ، وهاجموها ، وكان صلاح الدين قد أحضر أسيريه الملك الصليبي ، ومقدم الداوية من دمشق ، وطلب منهما أن ييسرا له استلام البلدة مقابل أن يفرج عنهما ، فأرسل الأسيران إلى الصليبيين المحاصرين في عسقلان يطلبان منهم التسليم فلم يستجيبا لطلبهما ، وردوا عليهما أقبح رد ، فلما رأى السلطان صلاح الدين ذلك شدد هجماته على عسقلان ، ونصب المنجنيقات عليها ، وضرب المدينة بعنف وضراوة حتى أيقن أهلها إبعدهم استطاعتهم الضمود أمام ضربات المسلمين القوية ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون منه التسليم مقابل شروط اشتراطوها ، فأجابهم صلاح الدين إليها وسلموا المدينة للمسلمين بعد حصار دام أربعة عشر يوما ، وسيرهم صلاح الدين ونساءهم وأموالهم وأولادهم إلى بيت المقدس ، ووفى لهم بالأمان ، وأعقب الاستيلاء على طبرية ، فتح البلاد المجاورة لها مثل الرملة وغزة

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج. ٢ ص ٨١٧

ومشهد ابراهيم الخليل وبيت لحم وغيرها (١).

كان لابد لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهو القائد الذي بذل كل جهده لتحرير الأرض الإسلامية المغتصبة أن يتوج انتصاراته الرائعة على الصليبيين بالعمل على استرداد بيت المقدس الذي اشرعه الصليبيون من المسلمين في الحملة الصليبية المعروفة بالأولى ، وفعلا أعد صلاح الدين العدة لاسترداد بيت المقدس بعد أن استولى على عسقلان وما يحاورها ، فأمر قائد أسطوله في مصر بالاقلاع إلى سواحل الشام لمنع وصول الامدادات إلى الصليبيين في الشام عبر البحر المتوسط . وهاجم صلاح الدين المدينة المقدسة ، واحتشد الصليبيون للدفاع عنها . واجتمعوا من كل مكان للدفاع عن البلدة بجهدهم وطاقاتهم مظهرين العزم على النضال . ونصبوا المنجنيقات للحيلولة بين أعدائهم وبين البلدة ودارت مناوشات بسيطة ، ثم هاجم صلاح الدين البلدة من ناحية الشمال ونصب المنجنيقات ، ورمى بها . ودار قتال شديد ، ولما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين ، وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك . وتمكن المسلمين من إحداث ثغرات في سور البلدة . وأنهم أشفروا على الهلاك ، اتفق كبارهم على طلب الأمان . وتسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين . فأرسلوا جماعة من كبارهم وأعيانهم في طلب الأمان ، فأظهر صلاح الدين امتناعا ، ولكن باليان قال للسلطان : اعلم أننا في هذه المدينة في قلق كثير ، ولما يفترقون عن القتال رجاء الأمان . فلما منهم أنك تجهيم إليه ، وهم يكرهون الموت ، ويرغبون في الحياة . فإذا رأينا الموت لابد منه فلا بد أن نقتل أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة . وإذا فرغنا من ذلك أخرجنا الصخرة والمسجد

(١) ان الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

الأقصى وغيرهما من المواضع ثم يقتل من جندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك لنا دابة ولا حيوان إلا قتلناه ، ثم خرجنا إليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه . وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله ، وموت أعزاه (١)

رأى صلاح الدين استلام المدينة صلحا بعد أن أنهكت الحرب جنده وبعد أن أيقن باعتزام الصليبيين الحرب إذا لم يوافق على الصلح ، فبذل للصليبيين الأمان ، وكان الرجل منهم يفتدى نفسه بعشرة دنانير يستوى فيها الغنى والفقير ، والمرأة خمسة دنانير ، والطفل دينارين وأمهاتهم أربعين يوما . يغادرون خلالها البلدة بعد أن يؤدوا المبلغ الذى قرره عليهم ، وغادروا البلدة بامتعتهم ، ونسلمها المسلمون فى السابع والعشرين من رجب ، وكان يوما مشهودا ، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسوار القدس . وترك الصليبيون ما لم يستطيعون حمله من معداتهم وذخائرهم وأمتعتهم وأموالهم وباعوا ذلك بأرخص الأسعار ، وترك صلاح الدين النصارى من أهل القدس الأصليين يعيشون فى كنف الحكم الإسلامى فى أمن وسلام (٢) ، كما كان الحال منذ فتح القدس فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وتم هذا الفتح سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .

لما استرد صلاح الدين القدس عمر البلدة التى خربتها ودمرتها قوى البغى والعدوان ، ولقد ذكرنا أن صلاح الدين استرد القدس فى ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، ويذكر ابن شداد أن هذا الفتح العظيم شاهده من أهل العلم خلق عظيم ، ومن أرباب الحرف والفرق ، وذلك أن الناس لما بلغهم أنباء هذا النصر ، قصد العلماء من مصر ومن الشام القدس

(١) ابن واصل : فرج الكروب ج ٢ ص ٢١٢

(٢) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٥٨٣ هـ

وارتفعت الأصوات بالدعاء والفتيح والتهليل والتكبير . وحطب في المسجد الأقصى ، وصلى فيه الناس يوم فتحه ، وأمر القائد بحط الصليب الذي كان على قبة الصخرة ، وجمع صلاح الدين الأموال من الصليبيين الذين غادروا البلدة ، وفرقها على الأمراء والعلماء (١) .

وبذلك استرد المسلمون القدس ، وكان صلاح الدين — كما رأينا — متساحراً كريماً مع الصليبيين ، فلم يعمل فيهم السيف ، كما فعل الصليبيون في الحملة الأولى عند استيلائهم على القدس .

لما توسدت أقدام المسلمين في القدس والمدن الساحلية ، اعترم صلاح الدين قصد صور ، لأن فتحها كان أمراً لا بد منه لأن الصليبيين الفارين من انغزو الإسلامى ، احتشدوا بها ، فضلاً عن الإمدادات التي كانت تصلها من أوروبا . وهاجم صلاح الدين البلدة ، وضايقها وقَاتلها قتالاً عظيماً . واستدعى أسطول مصر ، وكان يحاصرها من البحر ، والعسكر من البر . ولكن الأسطول الصليبي هاجم الأسطول الإسلامى ، ودمره . وقتل في هذه الواقعة الكثير من المسلمين ، ورأى السلطان صلاح الدين أنه لا يستطيع البقاء طويلاً في المعركة بعد أن هجم الشتاء ، وتراكت الأمطار ، فقرر الانسحاب من البلدة ، ليأخذ جنده قديراً من الراحة ، ويستعدوا لهذا الأمر استعداداً جديداً ، ففرق العساكر ، وسار كل قوم إلى بلادهم ، وكان عدداً كبيراً من قواته من بلاد الجزيرة ، انسحبت إلى ديارها ومد أن أدت واجبها خير أداء . أما السلطان فقد عاد إلى عكا مع جماعة من خواصه حتى دخلت سنة ٥٨٤ هـ ، وعادت الحروب الصليبية من جديد .

ذلك أن الانتصارات التي أحرزها صلاح الدين على الصليبيين أحدثت

دويها. هاتلا في أوروبا ، فارتفعت الصيحات مطالبة باسترداد بيت المقدس ، وخرجت من أوروبا إلى الشرق الحملة الصليبية الثالثة لهذا الغرض ، وتزعمها ثلاثة من كبار ملوك أوروبا ، هم فردريك باربروسا — إمبراطور ألمانيا — وفيليب أغسطس — ملك فرنسا — ورتشارد قلب الأسد — ملك إنجلترا — غير أن إمبراطور ألمانيا مات غرقا ، وهو في طريقه إلى الشام . لذلك تشتت شمل جنده ، ولم يصل منهم إلى عكا سوى عدد قليل . أما رتشارد وخليفه فيليب فقد نجحوا في الاستيلاء على عكا . في سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م رغم استقبسال المسلمين في الدفاع عنها . ولم يلبث أن عاد فيليب إلى فرنسا ، وبقي ملك إنجلترا في الشام يحارب المسلمين ، فاستولى على أرسوف ويافا وحصنها من جديد . واعتزم استرداد بيت المقدس . وعلى الرغم من سيطرته على المدن الساحلية ، فإنه تفاوض مع صلاح الدين في الصلح . وأدت هذه المفاوضات إلى صلح الرملة .

كانت الحالة في إنجلترا تستدعي عودة رتشارد قلب الأسد إليها ، ودب التنافس بينه وبين الأمراء الصليبيين في الشام ، كما أنه أدرك أنه يتعذر عليه الاستمرار في انتصاراته على المسلمين لحرصهم على مواصلة النضال لتحرير بلادهم ، لذلك عقد ملك إنجلترا صلح الرملة مع صلاح الدين ويتضمن الشروط الآتية :-

- ١ — تخريب عسقلان لأنها مفتاح بيت المقدس .
 - ٢ — يحكم الصليبيون الساحل من صور إلى يافا . ويكون جنوبي ذلك الساحل لصلاح الدين ، وتقع في حدوده بيت المقدس .
 - ٣ — يسمح للمسيحيين بالحج إلى بيت المقدس في أمن وسلام^(١) .
- وعلى أثر هذا الصلح عاد رتشارد قلب الأسد إلى بلاده . ولم يلبث

أن توفى صلاح الدين في العام التالي . بعد أن بذل جهوداً مضنية في توحيد القوى الإسلامية ، والحد من قوة الصليبيين . ولم يعد للصليبيين سوى بعض البلدان على الساحل .

حاول الصليبيون بعد ذلك شن حملات على مصر ، لأنها مركز المقاومة ضدهم ، وأدركوا أهميتها الاستراتيجية ، فهي تمكنهم من النفاذ إلى البحر الأحمر ، والاستفادة من طريق تجارة الشرق ، فضلاً عن تطلعهم إلى الاستفادة من موارد مصر الاقتصادية .

ومن أهم الحملات الصليبية على مصر حملة جان دي برين التي هاجمت دمياط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، وكان يحكم مصر في ذلك الوقت السلطان العادل بن أيوب ، لكنه لم يلبث أن توفي ، وخلفه ابنه الملك الكامل الذي حاول إنقاذ دمياط ، ومنع الصليبيين من عبور النيل . وقد تجلّت شجاعة المصريين في الدفاع عنها ، وعرض الملك الكامل على الصليبيين النزول عن بيت المقدس في مقابل رفع الحصار عن دمياط ، لكنهم رفضوا . وهذا يدل على أن الصليبيين في حملاتهم لم يعد يهمهم بيت المقدس بقدر ما يهمهم المصالح الاستراتيجية والاقتصادية . ثم اعتزم الصليبيون المسير إلى القاهرة . واخترقوا الدلتا وسط منطقة مائية تجرى فيها عدة قنوات ، وكان ذلك وقت فيضان النيل .

أما المصريون فاستعدوا للمقاومة في المنصورة ، وحطموا السدود ، وتركوا المياه تغطي المنطقة . وبذلك أحيط الصليبيون بالمياه ، وحاولوا الهرب ، فلم يتمكنوا ، وطلبوا الأمان ، فقبل الملك الكامل ، وسمح لهم بالرحيل من مصر في أمان ، وجلوا عن دمياط .

ولم تكد تهدأ الأحوال في مصر حتى جاءت الحملة الصليبية السادسة ثم تلتها الحملة الصليبية السابعة ، وقادها لويس التاسع - ملك فرنسا - وقاد جيشاً قوياً . وأسطولا ضخماً . وسار قاصداً مصر . وعلى الرغم مما

تموضعت له جيوشه من حصون بات بين قبرص ومطمر ومقاومة الصليبيين
الجيشه فور نزوله مصر ، إلا أنه استولى على دمياط ، ثم سار إلى القاهرة
واستخدم نفس الطريق الذى استخدمه أسلافه من قبل ، وواصل بلوين
إلى المنصورة ، وكانت محصنة تحصينا قويا من الداخل والخارج فحاصرها ،
ورغم دفاع المسلمين الجيد وقدرتهم جيشه بالرمح والسهم والنيران
الإغريقية ، فإن بلوين انتصر عليهم بعد أن فقد نصف فرسانه فى
المركة (١) . فى هذه الأثناء مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأرسلت
شجرة الدر تستدعى توران شاه — ابنه — فقدم إلى المنصورة وولى
السلطنة بعد أبيه ، وقاد الجيش الأيوبي بمهارة فائقة ، واستطاع أن يحاصر
الصليبيين ، كما منع المؤمن والإمدادات عنهم حتى أشرفوا هم وخيولهم
على القضاء ، وطلب لويس التاسع الصلح ، وعرض نزوله عن دمياط مقابل
أخذه بيت المقدس ، ولكن توران شاه رفض مطلبه لأنه شعر بقوته ،
وطارد لويس الذى تقهقر إلى دمياط ، والتقى به توران شاه فى فارسكور ،
فأوقع به الهزيمة ، وفى موقعة فارسكور نكل المسلمون بقوات إملك فرنسا ،
وأغرقوا سفنهم فى النيل ، وغنموا منهم مغانم كثيرة ، وأسروا منهم عدداً
كبيراً من بينهم الملك الفرنسى نفسه ، وبعض الأمراء والنبلاء ، وظل
لويس التاسع أسيراً فى سجن ابن لقمان بالمنصورة ، حتى افتدى نفسه
بمبلغ كبير من المال ، وانسحب الصليبيون نهائياً من مصر (٢) . وبذلك
فشلت الحملة الصليبية السابعة فشلاً ذريعاً

كانت حملة لويس على تونس آخر الحملات الصليبية على الشرق ، ولم
يبق أمام المسلمين سوى تصفية البقية الباقية من الصليبيين فى بلاد الشام .

(١) المقرئى : الملوك ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٥

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦٦

وقام المماليك فعلا بهذا الدور ، فاستولى السلطان بيبرس على حصن الكرك سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م . وعلى قيصبريه وأرسوف وصفد سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م ، ثم سقطت يافا في يده بعد عامين ، واستطاع أخيرا أن يستولى على أنطاكية ، واختتم أعماله الحربية بالاستيلاء على حصن الأكراد .

وفي سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٨٥ م حاصر السلطان قلاوون اللاذقية ، واستولى عليها ، ثم حاصر طرابلس بعد ثلاث سنوات ، فسقطت في يده بعد شهر من حصارها . وفي سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م هاجم السلطان خليل بن قلاوون عكا ، وحاصرها وتمكن من دخولها . بعد أن ظلت في أيدي الصليبيين مائة عام ، ثم استولى على صور وحيفا وبيروت ، وكان عام ٦٩٢ هـ / سنة ١٢٩١ م نهاية أمر الصليبيين في الشرق ، إذ تم طردهم نهائيا من آخر معاقلهم في بلاد الشام . وبذلك تخلص الصليبيون من الخطر الصليبي الذي استمر في الشرق قرابة قرنين من الزمان .

وهكذا لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهدا في دفع الخطر الصليبي عن البلاد الإسلامية ، ففي بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عن بلاد الشام والعراق ، ولما علا شأن الأتابكة ، وقوى بأسهم وكثر جندهم تحول موقفهم من الدفاع إلى الهجوم ، فأغاروا على الإمارات الصليبية ، بل انتزعوا بعض مدن الفرنجة ، كما حدث في عهد ايلغازي ابن أرتق — أمير ماردين — وعماد الدين زكي — أتابك الموصل .

وصفوة القول أن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية للجهود التي بذلها الأيوبيون ثم المماليك من بعدهم في سبيل إجلاء الصليبيين نهائيا عن البلاد الإسلامية .

٣ - المغول

نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي ، وهذا الإقليم موارده الاقتصادية قليلة ، وتحيط الجبال بالهضبة ، لذا عاش سكان هذا الإقليم على الرعى ، وعاشت القبائل في هذا الإقليم حياة ترحال وتجوال ، وكثير التنازع والتخاصم فيما بينها ، ولقد كثرت إغارات هذه القبائل على المناطق الخصبة المجاورة ، لذا شيد الصينيون سور الصين العظيم لحماية بلادهم من خطر القبائل المستطير .

ظلت هذه القبائل على هذا الحال من الفرقة والتمزق حتى استطاع شاب في ريعان شبابه الغض ، في السابعة عشرة من عمره ، أن يوحد صفوف هذه القبائل تحت لوائه ، وهذا الشاب هو تيموجين الذى هز بفتوحاته أركان الدول فيما بين الصين شرقا والبحر الأدرياتي غربا في النصف الأول من القرن السابع الهجرى .

كان أبوه رئيساً لأحدى القبائل المغولية ، ولما توفي كان تيموجين غرا في الثالثة عشرة من عمره ، فأنصرف عنه الكثير من رجال أبيه وأقاربه . واستصغروه واستضعفوه ، وعاش هذا الفتى مع عائلته عيشة حرمان وشقاء وعرف عن تيموجين القدرة الفائقة على احتمال الشدائد والصعاب ، وقاسى الكثير من النكبات في حياته الأولى ، وهذه المحن التى تعرض لها أصقلته . وأخرجت منه رجلا صلبا قويا شجاعا .

لما بلغ تيموجين السابعة عشرة سيطر على أفراد قبيلته ، ولم يلبث أن بسط نفوذه على سائر القبائل المجاورة ، وفي سنة ٦٠٠ هـ ظهرت دولة تيموجين — جنكيز خان .

بعد أن وحد جنكيز خان القبائل المغولية في مملكة واحدة ، تطلع إلى بسط نفوذه ، وتوسيع دولته ، وكان المجال الحيوى له ، بلاد الصين التى

تقع جنوب مملكته - حيث الخصب والرخاء والازدهار ، فشن عدة حملات على امبراطورية كين ، واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين ، وسيطر على بكين في سنة ٦١٢ هـ / سنة ١٢١٥ م ، واستفاد المغول من حضارة الصين المادية والأدبية .

وقبل أن نتحدث عن زحف المغول على ديار الإسلام يجدر بنا أن نتكلم عن قيام الدولة الخوارزمية ، على اعتبار أنها منعت زحف المغول فترة من الوقت على العالم الإسلامي ، وتلقت أول ضربة من جحافل المغول . أسس الدولة الخوارزمية توشتكين - أحد الأتراك في بلاط ملكشاه - وكان يشغل وظيفة الساقى ، وما زال يترقى في سلك الوظائف ، وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف ، وقد أدب ابنه محمد ، وأحسن تأديبه ، لذا وقع اختيار أحد قادة بركياروق عليه ليكون حاكماً على إقليم خوارزم ولقبه خوارزمشاه سنة ٤٩٠ هـ وكان حاكماً عادلاً ، قصر أوقاته على معدلة ينشرها ، ومكرمة يفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حسناً ومحله علواً ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقي خراسان ، أقر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها ، فظهرت شجاعته وكفايته ، فعظم سنجر محله وقدره (١) .

لما توفي محمد بن توشتكين ولى ابنه أئسنز ، فد ظلال الأمن وأفاض العدل . وقربه السلطان سنجر ، وعظم ابنه واستصحبه معه في أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدماً وعلواً .

عول أئسنز على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية ، وانهز فرصة تهديد الخطا للسلجوقية ، لكن سنجر أحبط محاولته ، وهزمه ، لكن أئسنز استجمع قوته . وانهز فرصة سيطرة الخطا

(١) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٤٩٠ هـ

على بلاد ما وراء النهر ، واستولى على خراسان ، وجلس على عرش سنجر ، واستولى على أمواله وجواهره سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م وقطع الخطبة للسلطان سنجر ، لكن سنجر استطاع أن يسترد إقليم خراسان من أئمن سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وتعهد أئمن بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية .

على أن الدولة الخوارزمية أخذت تزداد قوة ، بينما أخذت الدولة السلجوقية في الضعف والانحلال بعد وفاة سنجر ، ومدت الدولة الخوارزمية نفوذها على البلاد التابعة للسلاجقة ، واستطاع السلطان الخوارزمي تكش أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة ، ويستولى على ملك السلاجقة في العراق ، واستولى على أصفهان والرى .

ولما توفي تكش سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه ، فسار على سياسة أبيه الرامية إلى توسيع حدود دولته ، فاستولى على معظم إقليم خراسان ، واستطاع أن يهزم الخطا سنة ٦٠٦ هـ / ١١٠٩ م ، ويبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر . واستولى على إقليم كرمان ومكران ، والأقاليم الواقعة غرب نهر السند وعلى ممتلكات الغور في أفغانستان . وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، إذ امتدت من حدود العراق العربي عرباً إلى حدود الهند شرقاً ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوباً (١) .

على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول — التي أشرنا إليها — ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين ، وقد حدث ذلك فعلاً حينما وفد جماعة من التجار من رعايا جنكيزخان على مدينة أترار

على نهر سيحون التي تعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها ، وخشى
حاكم أترار الخوارزمي بأس هؤلاء التجار ، واعتقد أن مهمتهم الحقيقية
التجسس وليس التجارة ، وأرسل إلى السلطان بخبرهم ، لذا أمر خوارزمشاه
بمراقبتهم ثم قتلهم .

وبذلك ساءت وتوترت العلاقات بين الدولتين المغولية والخوارزمية
وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع بينهما ، وقد اشتد غضب جنكيزخان
فهجره النوم ، وأطال التفكير فيما يجب أن يفعل ، وصعد إلى قمة تل عال ،
وقضى ثلاثة أيام يفكر ويدبر (١) ، وفي النهاية أرسل لإنذارا إلى علاء الدين
خوارزمشاه يتوعده إذا لم يسلم إليه حاكم أترار ، ولكن علاء الدين رفض
الإنذار ، فاستعد كل من الرجلين للحرب والقتال . وبذلك جرت
مذبحة أترار على المسلمين المويلات ، إذ تعرض دار الإسلام على أثر ذلك
لكارثة مروعة ، سالت فيها دماء المسلمين أنهاراً ، ودمرت المدن والقرى ،
وعفت الآثار ، وخربت الديار .

زحفت جيوش المغول إلى بخارى ، واستولت عليها ، ثم دخل المغول
سمرقند ، وأوقعوا بأهلها الهزيمة ، ولم تقف غارات المغول عند هذا
الحد ، بل واصلوا غاراتهم حتى استولوا على نيسابور ومازندران والري
وهمدان .

ولما توفي علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة ٦١٧ هـ خلفه ابنه جلال
الدين منكبرتي في حكم الدولة الخوارزمية ، فواصل سياسة أبيه في محاربة
جنكيزخان ، فأوقع بجيوشه الهزيمة ، ثم التقى به عند نهر السند حيث دارت
بينهما معركة ، أظهر فيها جلال الدين شجاعة أوقعت الرعب في قلوب
المغول ، غير أن انسحاب فريق من جيشه بسبب النزاع الذي قام بين

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ .

قواده ، اضطره إلى المسير إلى الهند لكنه سرعان ما غادرها على أثر عودة جنكيزخان إلى بلاده ، وأخذ يعمل على جمع شتات الدولة الخوارزمية ، وعلى الرغم من أنه وفق في ذلك إلى حد كبير إلا أن المغول بزعامة اجتاي تمكنوا من التغلب عليه سنة ٦٢٨ م .

بينما استطاع أتابكة الموصل والجزيرة التصدي للصليبيين إلا أنهم لم يتمكنوا من الدفاع عن بلادهم ضد الغزو المغولي ، ففي سنة ٦٢٨ هـ (١٣٠ م) أنفذ أجتاي Ogtai ابن جنكيزخان وخليفته جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل بقيادة شيرماجون Churmagon وبيدشو Baidshu إلى إيران^(١) ، وبعد أن تمكنت قوات المغول من الاستيلاء على الري وهمدان^(٢) ، واصلت زحفها إلى أذربيجان^(٣) ، فاستنجد سلطانها جلال الدين منكبرتي بأتابكة ديار بكر^(٤) والجزيرة ، وأرسل إليهم يقول : « إن جيشاً جراراً من عساكر التتار ، كأنه النمل والشعابين من حيث الكثرة والقوة ، قد تحرك نحونا ، فإذا ترك وشأنه ، فسوف لا تصمد أمامه القلاع والأمصار ... فليسارع كل منكم إلى إمدادنا بفوج من الجنود ، حتى إذا ما وصلهم نبأ اتفاقنا واتحادنا فترت قوتهم وفت في عضدهم ، فيتشجع جنودنا ، وتقوى^(٥) قلوبهم .

على أن أمراء ديار بكر والجزيرة لم يعملوا على نجدة جلال الدين منكبرتي ، فأخذ يتنقل من بلد إلى آخر ، ولم تزل قوات المغول تتبعه .

(١) Howorth : History of the Mongols. Vol. 1 p. 130

(٢) حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٩٣

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

ابن خلدون : العبر وهيوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٥

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٥

(٥) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٨٣

حتى بلغ مدينة آمد^(١)، فاشتبك معهم في معركة على أبواب هذه المدينة^(٢) وأخذت قوات المغول تعيث فسادا فيها . كما أغاروا على مدينتي أرزن وميفارقيسن^(٣) ، وقصدوا مدينة أسعور^(٤) ، فقاتلهم أهلها قتالا شديدا ثم منجهم المغول الأمان^(٥) ، فأوقفوا القتال . غير أن المغول لم يفروا يبعدهم وملكوا بسكان البلدة ، ولم ينج منهم إلا القليل . ثم واصلوا زحفهم حتى بلغوا ماردين ، وأعملوا فيها النهب والتخريب ، واضطر صاحب ماردين إلى الاحتماء بالقلعة . غير أن المغول انصرفوا عن ماردين واتجهوا إلى نصيبين ، فنهبوها ، وقتلوا كل من ظفروا به من أهلها^(٦)

لم يكتف المغول بما أحدثوه في بلاد ديار بكر والجزيرة من تخريب وتدمير ، بل أغاروا كذلك على سنجار وأعمالها^(٧) ، وهاجروا الحابور والموصل وأعمالها ، وامتدت غاراتهم إلى الفرات وعادوا إلى آمد ثم بدليس^(٨) فتحصن أهلها بالقلعة والجبال ، لكن المغول مالبنوا أن تغلبوا عليهم^(٩) . كذلك تعرضت أتابكية أربل لهجمات المغول سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٨ هـ

(٢) قتل في هذه المعركة وأسر كثير من الخوارزمية ، وفرق الباقون ، وولى السلطان جلال الدين هاربا في فلة من فرسانه ، ولجأ إلى جبال كردستان ، حيث قتله أحد الأكراد

(محمد بن أحمد الذموى - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص ١٠٨)

(٣) Howarth : History of the Mongols, Vol. 1 P. 130

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٥

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٥

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٨) بدليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط

(٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٠

(٩) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٥

Howarth : History of the Mongols, Vol. 1 P. 132

فشتوا غارات على أعمالها ، وتغلبوا على جند التركمان والأكراد الذين اعترضوا طريقهم^(١) ، كما أنهم بعد أن دخلوا إربل عاثوا فيها وفي أعمالها نهباً مما اضطر أميرها مظفر الدين كوكبورى إلى الاستعجاذ بأتاك الموصلى ، فأرسل إليه جيشاً عاونته في صد المغول عن بلاده^(٢) .

على أن المغول ما لبثوا أن عاودوا غاراتهم على إربل سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٤) ، فتحصن أهلها بالقلعة واضطروا إلى فداء أنفسهم بالمال بعد أن شدد المغول حصارهم^(٣) .

كذلك امتدت غارات المغول إلى ماردین ، فسير هولاکو جيشاً إليها سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) غير أن أميرها الملك السعيد تحصن في القاعة وأرسل القائد المغولى إليه يحذره من التهادى في المقاومة^(٤) ، لكن الملك السعيد ، رفض الاستسلام ، لما عرفه من غدر المغول^(٥) الذين ظلوا يشددون الحصار على قلعة ماردین ، حتى اجتاحتها الغلاء والوباء والقحط ، فثار مظفر الدين على أبيه الملك السعيد ، واقتزع منه القلعة وأرسل إلى القائد المغولى يطلب منه الكف عن القتال في مقابل نزوله عن القلعة ، فاستجاب له ، وأقره هولاکو على حكم ماردین^(٦) .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٧٥

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٤ — ١٥٥

Howarth : History of the Mongols. vol. 4 p. 161

(٥) حذره القائد المغولى قائلاً : امهبط من القلعة ، وقدم الطاعة والولاء لملك العالم ، ليقبلك رأسك ومالك وساؤك وأتاؤك ، مهما تكن قلعتك عكمة مرتفعة ، فلا تغتر بأبراجها وارتفاعها ، ولو بلغت رأسك السماء ، فانها ستصير تراباً تحت أقدام جيش المغول فان كان الاقبال والسعادة حليفين لك ، فعليك أن تسمع لتسمع . . .

(رشيد الدين فضل الله ، تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥)

(٦) لما قصد الملك المظفر هولاکو وجهه إليه اليوم لأنه قتل أباه ، فقال له الملك المظفر =

كان هولاء كوا يحرم على أن يظل أمير ماردين تابعا له ، فلما خرج عليه ، أبناء بدر الدين لؤلؤ — حكام الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر — واستنجدوا بالظاهر بيبرس — سلطان المماليك في مصر — خشي أن يحذو الملك المظفر — أمير ماردين — حذوهم ، فلما قدم عليه أكرم وفادته ، وقال له ، بلغني أن أولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد إلى مصر ، وأنا أعلم أن أصحابهم كاذوا السبب في خروجهم ، فترك أصحابك الذين وصلوا معك عندي ، فإن لا آمن منهم أن يحرقوك عني ، ويرقبوك في النزوح عن بلادك إلى مصر (١) . فأجاب صاحب ماردين طلبه ، وعهد إليه هولاء كوا بحكم نصيبين بالإضافة إلى ماردين (٢) .

ظل الملك المظفر على ولائه لهولاء كوا ، فانضم إلى قوات المغول في حصار الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) . ولما توفي سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٣ م) استمر خلفاؤه على ولائهم للمغول ، وبلغ من إخلاص نجم الدين غازي الثاني المنصور بن قرا أرسلان — الذي ولي ماردين سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٣ م) — للمغول أن منحه هولاء كوا التاج والمظلة الملكية ، وجعله من خوارصه ، وفوض إليه الملك في كل من ديار بكر وديار ربيعة .

== إنما فعلت ذلك لأنني كلما تضرعت إليه ، وبكيت أمامه لسكيلا يقرأ في القلعة وفي دماء الناس ، لم يستجب لي ، فأقدمت على هذا العمل الخاص من أجل المصلحة العامة . لأنني عرفت أن القلعة ستفتح باقبال الملك ، وأنه سوف يقتل عدة آلاف من الأبرياء ، فالحقيقة أن التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف ، خصوصا أنه كان ظالما معتديا ، وقد قتل ابنته ، والناس غير راضين عنه ، وأنا العبد معترف بذنبي ، فلو منجني الملك مقام أبي ، فإن له ما يشاء .

فمما عنه هولاء كوا ، وسلمه ماردين .

(رشيد الدين فضل الله : تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥ — ٣٢٦)

(١) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨

(٢) نفس المصدر : ج ١ ص ٤٩٢

عهد منكوقآن — خاقان المغول العظيم في قراقورم لأخيه هولاكو بالتوجه إلى غرب آسيا لفتح غرب إيران والشام ومصر وبلاد الروم والأرمن ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيز خان وقوانينه في الكليات والجزريات ، واحترام رأى زوجته دوقوز خاتون ومشاورتها في مهام الأمور .

واستطاع هولاكو أن يكون دولة قوية للمغول في فارس ، وقدم زعماء فارس والأتابكة والحكام المحليون فروض الولاء والطاعة لهولاكو ، ولم يعد يعكر صفوه هذه الدولة إلا الاسماعيلية الذين اعتصموا في الجبال المنيفة ، وظل خلفاء الحسن الصباح يجمعون الاتاوة من الأمراء المحليين ، ويلحقون ويلاتهم بكل من يمتنع عن أداؤها لهم (١) .

لذا بدأ هولاكو عملياته الخيرية بالقضاء على طائفة الاسماعيلية وكان لاندحار تلك الفئة الباغية رنة فرح وسرور عمت العالم الإسلامي على الرغم مما كان يعانيه المسلمون من ويلات المغول ، لأن هذه الفئة استطاعت أن ترهب وتفزع قادة المسلمين وكثيراً ما عملوا القتل في أعدائهم من المسلمين ، وتحالفوا مع أعداء الإسلام ..

هولاكو والخلافة العباسية

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأول وهو القضاء على طائفة الاسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية في بغداد وجدير بالذكر أن الخلافة العباسية أخذت في الضعف والانحلال ولم يعد يتجاوز نفوذها العراق وخوزستان ، وفي ذلك الوقت كان الخليفة المستعصم بالله

(١) رشيد الدين المهندي : جامع الدواوين ج ٢ ص ٢٣٦ — ٢٣٧

آخر الخلفاء العباسيين سنة ٢٤٠ — ٢٥٦ رجلا لين الجانب ضعيف الوطأة سهل العريكة قليل الخبرة ، وكانت الأخبار تصل الخليفة تباعا بزحف جيوش المغول ومع ذلك لم يتخذ الأبهة لمواجهة قبل أن يستفحل خطرهم ويستطير شرهم .

جاء المغول في عهد المستعصم إلى العراق عدة مرات حيث حدثت مناوشات بينهم وبين جيش الخليفة لكنهم لم يوفقوا في الاستيلاء على بغداد حتى سنة ٦٥٦ وعند ما اعتزم هولاكو مهاجمة الاسماعيليه أرسل الخليفة يطلب إليه أن يمدّه بجيش ليعاونه في القضاء على تلك الطائفة . فلما شاور الخليفة أتباعه حذّروه أن يقدم على هذا العمل وأدخلوا في روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تغلّو بغداد من الجيش حتى يتيسر له الاستيلاء عليها .

ولما فرغ هولاكو من محاربة الاسماعيليه ودحرهم قصد همدان وفي شهر رمضان سنة ٦٥٥ أرسل رسولا يحمل رسالة إلى الخليفة مصاغة في قالب التهديد والوعيد لامتناعه عن إرسال المدد ، ولم يكن هذا الاحتجاج في الواقع إلا ذريعة للبطالية بالسلطة الزمنية التي سبق أن منحت في بغداد لأمرأه البويهيين ثم السلاجقة . يقول هولاكو في هذه الرسالة (لا بد أنه قد وصل إلى شخصك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنسكن خان وعلبت أية مذلة لحقت بأمر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم والأتابكة وغيرهم عن كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط في وجه أي طائفة من تلك الطوائف التي تولت السيادة . واعلم أنني إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لا تنجو مني ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت في باطن الأرض .) (١) رفض الخليفة إنذار المغول وأرسل إلى هولاكو يتوعده

(١) وشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٢٢٤ .

أن هو حاول غزو بلاده على الرغم من أنه كان لا يملك القوة اللازمة لمواجهة هولاء ، وكان المسلمون في حالة شديدة من الضعف والانقسام ، لذلك كان طبيعيا عدم جدوى تهديدات الخليفة ، بل كان لها على العكس أسوأ الأثر في نفس هولاء ، فاعتزم قبل كل شيء فتح بغداد .

وصل رسل الخليفة إلى هولاء ، فلما اطلع على رسالة الخليفة وعلم بما لحق رسله من أذى العامة في بغداد غضب غضبا شديدا وأعاد رسل المستعصم وحملهم رسالة أخرى تضمنها إنذارا نهائيا له صيغ في لهجة شديدة عنيفة جاء فيها (لقد فتتك حب المال والعجب والغرور بالدولة الفانية بحيث لم يعد يؤثر فيك نصيح الناصحين . . فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد) ،

رأى وزير الخليفة مؤيد الدين العلقمي بذل الأموال والتحف والهدايا وإرسالها إلى هولاء كرمح تقديم الاعتذار له وكان يرى ذكر اسم هولاء في الخطبة ونقشه على السكة حتى يبعد هولاء عن غزو بغداد ، ولكن الخليفة رفض العمل بمشورة الوزير وأصر على إعداد العدة للدفاع عن بغداد .

وقبل أن يقدم هولاء على غزو بغداد استشار المنجمين فيما يتعلق بأحكام النجوم وطوال السعد والنحس وقد أشار عليه فلسكي مسلم يعطف على الخليفة بعدم غزو بغداد فقال له : الحقيقة ان كل ملك تجاسر حتى هذه اللحظة على قصد الخلافة والزحف إلى بغداد لم يبق له عرش ولا جاء وإذا أبى الملك أن يستمع لنصائحي وتمسك بمشروعه فسوف تحدث هذه الحملة خلافا في نظام الكون ، فضلا عن أنها ستكون وبالا على الخان نفسه إذ سيهلك ، ويهلك الزرع والحيوان ولن تطلع الشمس ولن ينزل المطر ، لكن منجمين آخرين أكدوا له هولاء كون نجاح مشروعه . ومهما يكن من أمر فقد أمر هولاء بتحرك جيشه من أطراف بلاد الروم والاتجاه إلى بغداد وأقام هولاء معسكره خارج بغداد من الشرق ، ولم يستطع جيش الخليفة منع

المغول من الإقامة في الجهة الشرقية ، وفي أوائل سنة ٦٥٦ هـ حاصر المغول بغداد وأحكموا حصارها وأطلقوا يد التخريب في المدينة وفتحوا أقساما منها ، ولما رأى الخليفة حرج موقفه أراد أن يثني المغول عن عزيمتهم على إتمام الفتح فأرسل إليهم الهدايا القيمة ولكن هولاكو لم يستجب لمحاولة الخليفة . هزم هولاكو جيشاً أنقذه الخليفة لمحاربته وأباده عن آخره ، عندئذ خرج الوزير ابن العلقمي إلى هولاكو وتوثق منه لنفسه وعاد إلى المستعصم وأخبره أن هولاكو يبقيه في الخلافة ، وحسن له الخروج إلى هولاكو فخرج من بغداد ومعه أبنائه فلما وصلوا إلى هولاكو أحسن استقبالهم وطلب إلى الخليفة أن ينادي في الناس بإلقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لإخضاعهم فلما ألقى الناس أسلحتهم وخرجوا قتلوا جميعاً . أما الخليفة وأولاده وكل ما يتعلق بهم فقد وضعهم هولاكو في معتقل (١) .

بعد ذلك أمر هولاكو بدم الخنادق وهدم أسوار المدينة كما شيد جسرا على نهر دجلة ، ثم أعلن الهجوم العام على المدينة في صفر من السنة نفسها ٦٥٦ هـ فدخاها المغول ودمروها وخربوا المساجد ودمروا القصور ، بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة وأباحوا القتل والنهب وسفك الدماء أربعين يوما ، واندلعت فيها السنة النيران في كل جانب من المدينة وأنت على الأخضر واليابس ودمرت أكثر المدينة وجامع الخليفة ، وعند ما دخل هولاكو مدينة بغداد قصد قصر الخليفة واستولى على ما فيه من نفائس وتحف نادرة ، وأخيرا بعد أن سفك هولاكو من الدماء ما سفك وخرب ما خرب أصدر أمراً بالكف عن القتل ، وإن ينصرف كل إلى عمله ويقول المؤرخون أنه لما نودى ببغداد الأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقبني والمقابر كأنهم موتى إذ ابتعثوا من قبورهم وفد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه فأخذهم الوباء الشديد فقتلوا وتلاحقوا بمن

(١) أبو الفدا : المختصر حوادث سنة ٦٥٦ هـ

سبقهم من القتلى وقتل هولاءكو الخليفة الباس (١)

وبسقوط بغداد في أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ سنة ١٢٥٨ م زالت الدولة العباسية بعد حكم استمر أكثر من خمسة قرون .

ودخل بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — في طاعة المغول (٢) بل صاحب هولاءكو في فتح بغداد ، فأنفذ جيشا إلى هذه المدينة سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) بقيادة ابنه الملك الصالح ، انضم إلى قوات المغول (٣) ولما سقطت بغداد في أيدي المغول ، سارع بعض حكام البلاد الإسلامية إلى هولاءكو ، يقدمون له فروض الولاء والطاعة والتهنئة ، وفي مقدمتهم بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل (٤) — الذي شمله هولاءكو بالإعزاز والتكريم وأعاده إلى بلاده محملا بالهدايا (٥) .

كما وقف بدر الدين لؤلؤ إلى جانب المغول في فتح ميافا رقين سنة ٦٥٧ هـ (٦) .

واصل المغول سياستهم التوسعية ، فزحفت بعض قواتهم على الجزيرة في طريقها إلى الشام واستطاع هولاءكو أن يستولى على آمد ونصيبين وحران والرها وسروج والبيرة (٧) ، وحرص على الاستعانة ببعض أمراء المسلمين في غزوه بلاد الشام ، فأرسل إلى بدر الدين لؤلؤ — صاحب

(١) رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ ج ٢ م ١ ص ٣٩٣

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

يذكر رشيد الدين فضل الله أن هولاءكو أرسل إلى بدر الدين لؤلؤ رهوس وزراء الخليفة العباسي ، فعلقها على أسوار الموصل .

(٤) تاريخ المغول المجلد الثاني ج ١ ص ٣١٠ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

(٦) رشيد الدين فضل الله : جامع النوارخ — تاريخ المغول المجلد الثاني ج ١ ص ٢٩٩ .

(٧) أبو الحسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٤٧ .

(٨) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ — تاريخ المغول ج ١ ص ٣٠٥ .

الموصل — يقول : « إن سنك قد جاوزت التسعين ، ولذلك أعفيناك من السير معنا ، ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية ، لفتح ديار الشام ومصر » . فلم يتردد بدر الدين في انقاد جيش إلى هولاءكو بقيادة ابنه^(١) .

لما توفي بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٧ هـ قسم هولاءكو إمارته بين أبنائه الثلاثة ، فولى الملك الصالح حكم الموصل ، على حين فوض حكم سنجان لعلاء الدين وجزيرة ابن عمر للجهاذ إسحاق^(٢) . غير أن أبناء بدر الدين لؤلؤ ما لبثوا أن خرجوا على المغول ، وغادروا بلادهم ، ولجأوا إلى سلطان المماليك في مصر ، فأرسل هولاءكو جيشاً استولى على بلادهم سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)^(٣) .

كذلك أظهر صاحب تاج الدين بن صلاحية — حاكم أربل — ولاءه للمغول ففي أثناء حصار هولاءكو بغداد قصد القائد المغولي أرقيونو يار — مدينة أربل ، وطلب من حاكمها تمكينه من الاستيلاء على القلعة ، فحاول تاج الدين إقناع حاميتها بالتسليم^(٤) ، ولما استعصت أربل على المغول ، استنجدوا بدر الدين لؤلؤ — صاحب الموصل — فأمدتهم بفريق من الجنود ، غير أنه لم يكن لهذه الإمدادات أى تأثير في سقوط القلعة^(٥) في أيدي المغول . فاستدعى القائد المغولي بدر الدين لؤلؤ ، فسار إلى أربل ، وحاصر قلعتها ، وهدم أسوارها وسلمها للمغول^(٦) .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥ .

(٢) Howorth : History of the Mongols, Vol. 4 p. 131

(٣) رشيد الدين فصل الله : جامع التواريخ : تاريخ المغول المجلد الأول ج ١ ص ٣٢٧ .

(٤) لم يقل القائد المغولي اعتذار صاحب أربل عن تمكين المغول من فتح البلدة ، وقال له : « إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة وأرسله إلى هولاءكو فأمر بقتله .

(قطب الدين البعلبكي : ديل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١) .

(٥) قطب الدين البعلبكي . ديل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١ .

(٦) Howorth : History of the Mongols, Vol. 4 pp. 133 — 135

وهكذا لم يتمكن أتابكة الموصل والجزيرة من صد الخطر المغولي الذي تعرضت له بلادهم ، بل خشوا بأسهم ، واضطروا إلى الدخول في طاعتهم . غير أن هذه السياسة التي اتبعها هؤلاء الأتابكة لم تجد نفعاً ، فتعرضت بلادهم لغارات المغول التي اقتربت بالتخريب والتدمير .

نطلع المغول إلى الزحف على مصر ليتموا بذلك السيطرة على بلاد الشرق الإسلامي . وليقضوا على آخر قوة إسلامية في الشرق في استطاعتها التصدي لهم .

أرسل هؤلاء إلى سلطان المماليك في مصر الملك المظفر قطز خطاباً يهدده فيه ، ويتوعده إن امتنع عن التسليم والإذعان له . ويذكره بأن المغول فتحوا كافة البلاد ، ولم تستطع قوة الموقوف في وجههم ، وبما جاء في خطابه « لكم في جميع البلاد معتبر . وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم . قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ، فنحن لا نرحم من بكى ، ولا ترق لمن شكا وأى أرض تؤويكم ، وأى طريق تنجيكم ؟ نفيلنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددننا كالرمال . . . وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . » (١) .

لكن السلطان قطز لم يابه بتهديد المغول ، بل عقد العزم على ضرورة مقاومتهم مهما كانت التضحيات ، فأمر بقتل رسل سلطان المغول وعلقت رؤسهم على باب زويلة ، وخرج السلطان قطز إلى بلاد الشام للقاء المغول الذين اجتازوا الشام ودخلوا فلسطين ، واقتربوا من حدود مصر ، واحتلوا غزة .

(١) المفريزي : السلوك ج ١ ص ٤٢٨ .

اشتبك المسلمون من مصر والشام وبلاد الجزيرة في رمضان ١٢٦٠ م مع المغول في عين جالوت بالقرب من نابلس في معركة حامية الوطيس انتصر فيها المسلمون على أعدائهم ، بعد أن اشتدت هجمات المغول حتى أن كتبغا - قائد المغول - تحول أثناء المعركة إلى قطعة من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وقد أظهر المسلمون شجاعة منقطعة النظير أثناء المعركة ، ولما رأى السلطان قطز قوة بأس المغول ألقى بخوذته عن رأسه إلى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته : والإسلاماء . عندئذ ثارت حماسة جنده ، وحمل وطيس القتال ، وانتصر المسلمون انتصاراً رائعاً ومزقوا شمل المغول بكل ممزق ، وخر كتبغا - قائد المغول - صريعاً في المعركة ، ولم ينج من المغول إلا من لاذ بالفرار ، وفروا لا يلوون على دار ولا يركنون إلى قرار^(١) .

وبما لا شك فيه أن موقعه عين جالوت من الوقائع الحاسمة في التاريخ ، لأنها أضعفتهم ، وأوقفت تقدمهم في بلاد الإسلام .

ترتب على موقعه عين جالوت نتائج بالغة الأهمية ، فلو انتصر المغول في تلك الموقعة لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق والشام ، ولقاسى العالم الإسلامى من ويلات المغول الشيء الكثير ، ولنغير مجرى التاريخ في المنطقة كلها . ولكن هزيمة المغول في واقعة عين جالوت لم ينقذ مصر فحسب من وحشية المغول وهمجيتهم ، بل أنقذ الشام أيضاً ، لأن المغول بعد هزيمتهم في عين جالوت ، لم يعد لهم مقام في بلاد الشام^(٢) .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٩ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢٠ ص ١١٢٧ .



صورة عامة لاحدى معارك المغول فى كتاب 'جامع التواريخ'

الباب الرابع

بعض مظاهر الحضارة في دول أتابكة الموصل والجزيرة

أولا : التنظيمات الإدارية والمالية في بلاد الجزيرة

١ - التنظيم الإداري

(أ) التقسيم الإداري

(ب) الوظائف والدواوين الإدارية في دول أتابكة

الموصل والجزيرة

٢ - الإدارة المالية

(أ) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها

(ب) المعاملات المالية

أولا : التنظيمات الادارية والمالية في بلاد الجزيرة

١ - التنظيم الادارى

(١) التقسيم الادارى :

قامت دول الآتابكة في شمال العراق ، في البلاد الواقعة بين أعلى نهرى دجلة والفرات . وكان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة ^(١) وبجدها من الجنوب الخط الواصل بين تكريت على نهر دجلة، وهيت على نهر الفرات ^(٢)

وينقسم إقليم الجزيرة إلى ثلاثة أقسام ، هى ديار ربيعة وديار مضر ، وديار بكر . وقد عرفت بذلك نسبة إلى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الإقليم قبل الإسلام ^(٣) .

١ - ديار ربيعة : تقع في شرق ديار مضر . وتتألف من الأراضى التى في شرق نهر الخابور الكبير المنحدر من رأس العين ، ومن الأراضى التى تقع في شرق الهرماش ، وكذلك عما على ضفتى نهر دجلة من أراض تمتد بانحدار النهر من تل فافاز الى تكريت ^(٤) ، ومن أهم مدنها :

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢١٨

ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٦ - ٩٧

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٥

(١) الموصل : قاعدة ديار ربيعة ، على الضفة دجلة الغربية حيث تتصل فروع النهر ، فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ويقال ان اسم الموصل جاء من هذا الاتصال^(١) ، وقد ارتفع شأن الموصل بعد أن اتخذها عماد الدين زنكي بن آقسنقر حاضرة لدولته . وأقام زنكي وخلفاؤه بها المساجد والمدارس والمؤسسات^(٢) ، وظلت الموصل على هذا الحال من الازدهار والعمران حتى دمرها المغول سنة ٦٦١ هـ (١٢٦١ م) .

(ب) اربل : تقع على بعد مئسار تقريبا بين نهر الزاب الكبير والزاب الصغير^(٣) .

وقد ازدهرت هذه المدينة في عهد أتابكها مظفر الدين كوكبورى ، وزادت اتساعا بعد أن ضم إليها الجزء الأسفل منها الواقع في سفح الجبل وأقام عليه قلعة حصينة^(٤) .

(ج) العمادية : وهى بالقرب من منابع الزاب الأعلى شمال الموصل وتنسب إلى مؤسسها عماد الدين زنكي^(٥) بن آقسنقر — أتابك الموصل — وكانت قبل ذلك حصنا الأكراد يسمى آشب^(٦) .

(د) الحديثة : وتسمى حديثة الموصل ، تميز لها عن حديثة الفرات وتقع عند مصب الزاب الأعلى على الضفة الشرقية لنهر دجلة^(٧) ، وتبعد

(١) نفس المصدر ص ١١٥

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الحولة الأتابكية ص ٧٧ - ٧٨

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٩

Ency. of Islam : Art Irbil

(٤)

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٦٤

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٤

(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٩

تسعة فراسخ عن الموصل (١) : وقد بنيت هذه المدينة على شكل دائرة وكانت عاصمة إقليم الجزيرة قبل الموصل (٢) .

(هـ) نصيبين : وهى من أجمل بقاع الجزيرة وأحسنها (٣) وأكثرها عمرا . وتقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام (٤) .

(و) جزيرة ابن عمر : فى شمال نيسابور ، وتنسب إلى مؤسسها الحسن ابن عمر التغلبى (٥) ، وقد وصفها ابن حوقل (٦) بأنها ثغر الجزيرة ، لوقوعها غربى دجلة ، وشرقى الفرات ، وقد اتخذها معز الدين سنجر شاه عاصمة لأتابكيته سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) وظلت على هذه الحال حتى استولى عليها المغول سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) .

(ز) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، مشرفة على دنيسرودارا ونصيبين (٧) . وقد اتخذها ايلغازى بن أرئق وأبناؤه من بعده حاضرة لدولتهم وكان لها قلعة شماء تسمى الشهباء (٨) .

(ح) سنجار : تقع فى وسط برية ديار ربيعة فى خف جبل سنجار العالى (٩) . ريدها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وتبعد عن نصيبين ثلاثة أيام أيضا (١٠) — وقد اتخذها عماد الدين زنكى الثانى بن مودود سنة ٦٦٦ هـ

(١) الفرسخ ثلاثة أميال على رجة التقريب .

(س هـ أ م ح ص) : الادارة العربية ص ١٢٠ .

(٢) ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٢٣٤

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٨٨

(٤) لسترج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٤

(٥) لسترج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٤

(٦) المسالك والممالك ص ١٥٠

(٧) لسترج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥

(٨) رحلة ابن جببر ص ٢٧٧

(٩) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٢

(١٠) رحلة ابن جببر ص ٢٢٧

(١١٧٠ م) حاضرة لآتابكية جديدة انفصلت عن آتابكية الموصل وظلت
سنيجار على هذه الحال حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠ م).

٢ - ديار مضر :

تحف بضفاف الفرات من سميساط إلى عانة التي يسقيها نهر البلخ - أحد
روافد نهر الفرات - الآتي من حران^(١) . ومن أشهر مدنها :

(١) الرقة : تقع على نهر الفرات ، فوق مصب نهر البلخ المنحدر من
الشمال إلى الفرات^(٢) وهي قصبة ديار مضر^(٣) .

(ب) الرها : تقع عند منابع أحد روافد البلخ ، ويدين أغلب أهلها
بالنصرانية ، ولذا كثر بها بناء الكنائس والأديرة^(٤) وقد أسس الصليبيون
فيها إمارة صليبية ، وظلوا يحكمونها حتى استولى عليها عماد الدين زنكي بن
آقسنقر سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤ م)^(٥) .

٣ - ديار بكر :

تقع على نهر دجلة الأعلى^(٦) ، ومن أشهر مدنها :

(١) آمد : قصبة إقليم ديار بكر ، ويطل عليها جبل مرتفع وهي حصينة
ومنيعة^(٧) ، شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم ، وعرضها كذلك .

(١) لسترنيج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٣ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) لسترنيج : بلدان الخلافة الشرقية ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤ .

(٥) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ .

(٦) لسترنيج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٩ .

ويحيط بها نهر دجلة (١) ، استولى عليها سبيلح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩ هـ (١١٧٣ م) من ولد إينال التركماني (٢) ، وسلمها للأمير الأرتقي نور الدين محمد بن قرا أرسلان - أمير حصن كيفا - الذي أحكم هو وخلفاؤه (٣) تحصينها .

(ب) ميافارقين . بلد حصين ، يحيط به سور مبني بالحجارة ، حوله خندق (٤) . وقد حكمها بنو أرتق منذ سنة ٥١٥ هـ (١١٣١ م) حتى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) (٥) .

(ج) حصن كيفا : يقع على ضفة الفرات الجنوبية ، وبه قلعة حصينة (٦) ، وقد حكمها بنو أرتق بعد أن زال عنها حكم بني مروان ، وظل الأرتقة يحكمونها حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) (٧) . انقسمت دول أتابكة الموصل والجزيرة إلى عدد من البلدان ، على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتاً طوال حكم الأتابكة ، بل تعرض للتغيير من وقت إلى آخر ، ذلك لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم ، ويظهر ذلك جلياً في أتابكية حصن كيفا ، فقد نقصت رقعتها في سنة ٥٢٤ هـ (٦١٢٩ م) حين اتزع عماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل - داراً وسرجه منها (٨) . على أن هـ نه

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦١ .

Essey. of Islam : Art Amid

(٢)

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨ ، ٧ .

لستراج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٣ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٦) لستراج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٤ .

(٧) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ .

الأتابكية لم تستمر على هذا الوضع ، بل انضمت إليها آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م)^(١).

ولما توفي نور الدين محمد بن قرا أرسلان — أتابك حصن كيفا — وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان الثاني ، حاول عمه عماد الدين الاستحواذ على حكم هذه الأتابكية ، لكنه فشل^(٢) ، ففقد خرتبرت ، وانزعها من أتابكية كيفا سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)^(٣) وهكذا فقدت هذه الأتابكية إحدى ولاياتها الهامة .

أما عن أتابكية ماردين فقد اتسع نطاقها في عهد أميرها ايلغازي بن أرتق بانضمام حلب إليها سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) فضلا عن بعض الحصون والقلاع في بلاد الشام^(٤) ، كما اتسعت رقعة هذه الأتابكية سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) حين أقطع السلطان السلجوقي محمود ميافارقين لإيلغازي بن أرتق — أمير ماردين^(٥) — ولم تستمر هذه الأتابكية على هذه الحال من الاتساع ، بل فقدت في عهد أميرها — حسام الدين تمرناش — بعض ممتلكاتها في بلاد الشام ، ومن بينها حلب ، سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) حين عجز هذا الأمير عن حمايتها من غارات الصليبيين ، فأعلن أهلها الانضمام إلى الموصل بدلا من التبعية لماردين^(٦) .

كذلك فقدت هذه الأتابكية بعض ولاياتها ، إذ انزع عماد الدين

(١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البصر ج ٢ ص ٢١٢ .

Camb Med History. Vol. 4 p. 317

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البصر ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ .

Runciman : A History of the Crusades vol. 2 pp.

(٥) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٦ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

كذلك فقدت هذه الأتابكية بعض ولاياتها ، إذ انتزع عماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل - منها نصيبين سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ^(١) ، كما استولى على بعض البلاد والقلاع في ديار بكر سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) . على أن هذه الأتابكية اتسعت رقعتها بانضمام البيرة إليها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ^(٢) ، ولما دخل أتابكة ماردين في طاعة المغول زادت ولاياتها فضم هو لاكو إليها نصيبين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) ^(٣) وفي سنة ٦٩١ هـ - (١٢٩٢ م) ضم المغول إلى هذه الأتابكية ديار ربيعة وديار بكر ^(٤) .

أما عن أتابكية الموصل ، فقد زادت ولاياتها في عهد أتابكها عماد الدين زنكي بن آقسنقر حتى أصبحت تشتمل على أراض واسعة في الجزيرة وبلاد الشام ^(٥) .

على أن هذه الأتابكية انكمشت بعد وفاة عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، فاسترد مجير الدين آبق بن طغتكين - أتابك دمشق - مدينة بعلبك . أما نور الدين محمود بن زنكي فقد انتزع من هذه الأتابكية حلب وحمه وحمص ^(٦) ، كما أخذ منها الرقة والرحبة والرها ^(٧) .

(١) ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حواشي سنة ٥٣٩ هـ .

Runciman , A History of the Crusades. vol. 2 P. 238

(٤) قطب الدين البعلبي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٦ .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦ .

ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٤ .

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٣٥ .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٨ .

كذلك انفصلت عن أتابكية الموصل بعض بلاد الجزيرة ، ومنها
ستجار سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م)^(١) ،
وكونت أتابكية مستقلة تشتمل على نصيبين والخابور^(٢) . كما انفصلت
جزيرة ابن عمر عن الموصل سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، وكونت أتابكية
مستقلة^(٣) .

(ب) الوظائف والدواوين الادارية في دول أتابكية الموصل والجزيرة :

١ - النائب :

كان الأتابكة ينيون موظفين عنهم في إدارة شؤون أتابكياتهم
يعرفون بالنواب ومن مهام النائب الإشراف على عمارة البلاد وجباية
الأموال ، وإذا ما تعرضت الأتابكية لغزو خارجي أو ساد الاضطراب
فيها كان النائب يتأهب لإخماده ، ولم تقتصر مهمة النائب عند هذا الحد ،
بل كان يولى الأتابكة ويعزلهم ، فكان نصير الدين جقر - نائب عماد
الدين زنكي بن آقسنقر في الموصل - يحكم أتابكية الموصل نيابة عن
أتابكها ، كما استعان به عماد الدين زنكي في بعض الحروب التي قام بها
في الجزيرة^(٤) .

ومن أشهر الذين شغلوا وظيفة النائب في الموصل زين الدين علي كجك
ابن بكتكين ، وقد استنابه أكثر من أتابك ، فكان نائباً لعماد الدين زنكي

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ .

(٤) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٨١ .

ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٩ .

ابن آقسنقر ، وابنيه سيف الدين غازي^(١) وقطب الدين مودود^(٢) . وكان لهذا النائب دور كبير في تولية سيف الدين غازي بن زنكي أتابكية الموصل^(٣) ، كما عمل على توطيد سلطان قطب الدين مودود بن زنكي^(٤) ، وقد كافأه الأتابكة الذين اتخذوه نائباً لهم بأن منحوه بعض الإقطاعات من بينها اربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م)^(٥) .

ازداد نفوذ بعض النواب ، وعلت سلطتهم على سلطة الأتابكة فأسند النائب غر الدين ، إلى سيف الدين غازي بن مودود ولاية الموصل بدلا من أخيه عماد الدين — الذي كان مرشحاً للولاية بعد وفاة أبيه^(٦) . وقد استنجد عماد الدين وبعض أمراء الموصل بتور الدين محمود ، ليخلصهم من استبداد هذا النائب^(٧) ، فسار نور الدين إلى الموصل ، وعزله عنها^(٨) .

وكان يسند إلى النائب أحيانا النيابة في عدة أتابكيات ، فتولى بجاهد الدين قياز النيابة في أتابكيات الموصل واربيل وجزيرة ابن عمر^(٩) . وبلغ من ثقة سيف الدين غازي الثاني بن مودود — أتابك الموصل — به أن ود إليه أزمة الأمور في الحل والعقد ، والرفع والخفض^(١٠) ، ولما حاول

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ .

(٢) كثرت العمارة في الموصل خلال حكم زين الدين لها ، فبنى المدارس والأربطة ، كما نشر العدل في الرعية .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ .

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٩٢ .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٣ - ١٥٢ .

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٥ هـ .

(١٠) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين .

(١١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٧ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان .

مظفر الدين كوكبوري — أتابك اربل — استعادة نفوذه في أتابكيتته عزله مجاهد الدين قنار^(١)، وولى مكانه أخاه زين الدين^(٢). كما ساعد عز الدين مسعود بن مودود على تولي أتابكية الموصل سنة ٥٧٦ هـ — (١١٨٠ م)^(٣) وأزال العقبات التي اعترضت تولية نور الدين أرسلان شاه بن مسعود أتابكية الموصل سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م)^(٤). وقد عمن مجاهد الدين قنار على إدخال كثير من الإصلاحات في الأتابكيات التي ولى فيها وظيفة النائب فبنى المدارس والأربطة والمساجد والمارستانات^(٥). وضبط الأمور في هذه الأتابكيات حتى أن عز الدين مسعود — أتابك الموصل — عجز عن إدارة أتابكيتته عندما قبض على مجاهد الدين قنار سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) فعمد إلى إطلاق سراحه، وإعادته إلى عمله^(٦).

ومن بين من ولى وظيفة النائب : بدر الدين لؤلؤ . فقد أسند إليه أمير الموصل نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود الإشراف على جميع شؤون أتابكية الموصل المدنية والعسكرية^(٧) كما عهد إليه بتربية ابنه وولى عهده عز الدين مسعود الثاني . ولما توفي نور الدين أرسلان شاه الأول أقام بدر الدين مسعود الثاني أميراً على الموصل ، كما ولى بعد وفاة هذا الأمير سنة ٦١٥ هـ (١٢١٩ م) ، نور الدين أرسلان شاه الثاني حكم هذه الإمارة^(٨) . وبلغ من علو منزلة بدر الدين لؤلؤ أن الخليفة العباسي

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٥ .

زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٤

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٣

(٣) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ

(٤) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٩ - ١٩٠

(٥) أبو شامة . الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١١١

(٦) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٤

(٧) أبو الفدا . المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠

(٨) ابن الأثير . السكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٥

الناصر لدين الله عهد إليه بأن يتولى أمور الموصل نيابة عن أميرها نور الدين أرسلان شاه الثاني^(١) . ولما توفي هذا الأمير سنة ٦١٦ هـ (١٢٢٠ م) ولى بدر الدين لؤلؤ ناصر الدين محمود الموصل^(٢) . ثم انفرد بدر الدين بحكم الموصل بعد وفاة ناصر الدين سنة ٦٢١ هـ (١٢٣٣ م)^(٣) . وهكذا استطاع هذا النائب أن يصبح أتابكا على الموصل . كذلك ولى وظيفة النائب في أتابكية سنجار ، مجاهد الدين یرنقش وكان دينياً خيراً ، غير أنه كان شديد التعصب ضد المذهب الشافعي ، فأقام مدرسة للحنفية بسنجار . وشرط أن يكون النظر في أوقافها إلى الحنفيين من أولاده دون الشافعيين^(٤) .

٢ - الوزير :

لم تكن وظيفة الوزير ذات صبغة سياسية كما هو الحال في الدولة العباسية ، إنما اقتصر عمل الوزير على الإشراف على دواوين الأتابكية ، فضلاً عن معاونته النائب في إدارة شؤونها وتدعيم سلطة الأتابكية في داخل حدود إماراتهم ومن أبرز وزراء الموصل ، جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني الذي ولى الوزارة لعهاد الدين زنكي بن آقسنقر وسيف الدين غازي بن زنكي ، وقطب الدين مودود بن زنكي وعرف باهتمامه بإنشاء المدارس والمساجد والمارستانات^(٥) في الموصل ، غير أنه اتهم في أواخر أيامه باستيلائه على أموال الأتابكية ، فأقصى عن منصبه^(٦) .

(١) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٩

(٢) ابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٣) رشيد الدين فضل الله . تاريخ الخوارج ج ١ ص ٢١٧

(٤) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩١

(٥) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٢٩

(٦) ابن خلدون ، وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٢

ومن أشهر وزراء أتابكية أربل شرف الدين أبو اسحاق إبراهيم ،
ولى الوزارة سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) وما يجدر ذكره أنه إذا ما حضر إلى
الديوان أنشده أحد الحراس بقوله :
فرحنا وقلنا تولى الوزير وأفلح ديواننا بالوزارة (١) .

وكان ابن نيسان - وزير صاحب آمد - مستبداً بالسلطة في هذا
البلد ، وليس لأتابكها معه سوى الاسم فقط ، ولما اتجه صلاح الدين
الأيوبى إلى آمد سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يقاوم أهلها القوات الأيوبية
لأنهم نفروا من وزيرهم ابن نيسان الذى أساء السيرة فيهم ، بل يسروا
لقوات بنى أيوب أمر الاستيلاء على آمد (٢) .

كذلك زاد نفوذ نظام الدين البقش - وزير ماردين - على نفوذ
أتابكها بولق أرسلان بن ايلغازى الثانى . ولما توفى هذا الأتابك سنة
٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) أقام البقش أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان
أميراً على ماردين (٣) ، ولم يكن لهذا الأمير من الأمر شيء ، إنما الحكم
ظل لوزيره نظام الدين البقش . غير أن أتابك ماردين لم يبقه سلوب
السلطة ، بل عول على استعادة نفوذه ، فاتهز فرصة مرض وزيره
سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٤ م) وتخلص منه . وبذلك آل إليه أمر أتابكية
ماردين (٤) .

٣ - الشحنة :

استحدثت السلاجقة هذه الوظيفة ، ومن مهام صاحبها حفظ الأمن
والنظام في البلدة أو المدينة التى يلى فيها هذه الوظيفة ، فهو يحافظ المدينة

- (١) قطب الدين البطليني في ذيل سيرة الزمان ١ ص ١١٢
- (٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
- (٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، القسم الثانى ج ١ ص ١٨٨
- (٤) أبو الفدا ، المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣

أو الأمير المشرف على حراستها^(١). ويذكر ابن خلدون^(٢) أن سبب إنشاء هذه الوظيفة هو كثرة الفتن في المدن العراقية . ولم يستطع السلاجقة القضاء عليها ، فاتخذوا الشحنة لحسم ما خف من العلل . كما اكتفى الشحنة بالدفاع عن المدن التي يتولون العمل فيها من الأخطار الخارجية ، فلما اتجه نور الدين محمود إلى سنجار لا نزاعها من أخيه قطب الدين مودود سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) وبلغ ما كسب من خرج شحنتها للدفاع عنها^(٣) .

كان الأتابكة يستعينون أحياناً بالشحنة في فتح بعض البلاد القريبة التي لا تحتاج إلى جهد كبير^(٤) . وقد يلي الشحنة حكم بعض الولايات إذا تجملت كفاءته ، فكان ابلغازي بن أرتق شحنة بغداد قبل أن يلي حكم ماردين^(٥) ، كما أن الشحنة يلي أحياناً بعض الولايات بالإضافة إلى عمله فقد عين السلطان السلجوقي محمود ، عماد الدين زنكي بن آقسنقر شحنة بغداد والياً على الموصل^(٦) - ثم ولاه شحنة العراق كله بالإضافة إلى حكم بعض الولايات^(٧) . وكان الأتابكة يحرصون على تولية رجال عرفوا بالعدل والإنصاف في هذه الوظيفة ، ولا يسمحون لهم بإلحاق الضرر والأذى

(١) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٥ - ٣٦

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ٤٧٧

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ

(٤) استعان عماد الدين زنكي بن آقسنقر سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) بالشحن في فتح الحابور . كذلك استرد سيف الدين غازي الثاني بن مودود بمعاونة الشحنة سنة ٥٦٩ هـ

(٥) (١١٧٣ م) الحابور .

ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٣٧

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٠

ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٤٧٠

Ency. of Islam : Art Ortokids

(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٢٢

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣١

بالأهلين ، فلما توجه ايلغازى بن أرتق — أمير ماردين وحلب — إلى حلب سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) للقضاء على ثورة ابنه سليمان ، شكك الناس إليه من إيداء الشحنة لهم ، فعزله^(١) .

٤ — الوالى :

كانت دول أتابكة الموصل والجزيرة تتألف من ولايات يلى كل منها وال . ويختص الوالى بالإشراف على شؤون الولاية . وكان الوالى إذا ما أظهر مقدرة وكفاية يتدرج فى الترقى حتى يصل إلى أرفع وظائف الأتابكية ، فوالى الرها زين الدين على كجك لما أحسن السيرة فيها ولاة عماد الدين زنكى بن آقسنقر نائباً له فى دولته كلها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)^(٢) كما أن جمال الدين محمد بن على الأصفهاني — والى نصيبين — لما ظهرت كفاءته ، أضاف عماد الدين زنكى بن آقسنقر إليه ولاية الرحبة ، ثم اتخذه وزيراً له^(٣) . وكان مجاهد الدين قيمان والياً على أربل قبل أن يلى وظيفة النائب فى أتابكية الموصل سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م)^(٤) . ولم تقتصر مهمة الوالى على إدارة شؤون ولايته ، بل كان عليه أن يدرأ عنها الأخطار الخارجية ، ولذلك حرص الولاة على تحصين قلاع ولاياتهم وحشدوا بالجنود .

انحصرت الأعمال الإدارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة فى الدواوين الآتية :

-
- (١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣١
 - ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٢
 - (٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
 - (٣) ابن خلصان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٧٧
 - (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٧

(١) ديوان الرسائل :

ويسمى أيضاً بديوان الإنشاء ، ويعرف رئيسه بكتاب الرسائل أو كاتب الإنشاء^(١) ، وكان لأتابك كاتب ، ولنائبه كاتب ، ويشترط في كاتب الرسائل أن يكون قد تفرس في الكتابة^(٢) ، ويختص كاتب الرسائل بإذاعة المراسم ، وتحرير الرسائل وختمها^(٣) .

ومن أشهر كتاب الرسائل في الموصل في العصر الأتابكي مجد الدين أبو السعادات — أخو المؤرخ عز الدين بن الأثير^(٤) — كان مجد الدين كاتب الإنشاء لمجاهد الدين قياز — نائب عز الدين مسعود — أتابك الموصل — ولما ظهرت كفاءته ولاه الأتابك عز الدين مسعود ديوان رسائله ، كما قام بهذا العمل لنور الدين أرسلان شاه بن مسعود — أتابك الموصل^(٥) — وولى ضياء الدين بن الأثير ديوان الرسائل لناصر الدين محمود بن مسعود — أتابك الموصل — سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وظل يلى هذا الديوان في عهد بدر الدين لؤلؤ^(٦) .

ومن بين من ولى ديوان الإنشاء في أتابكية أربل مجد الدين الشيداني في عهد مظفر الدين كوكبورى ، وبلغ من علو منزلته أن لقب بالريس . غير أن مظفر الدين نقم عليه واعتقله سنة ٦٢٩ هـ^(٧) (١٢٣١ م) ، ومن أشهر من ولى ديوان الإنشاء في أتابكية ماردين ، الشاعر على بن يوسف بن عامر ،

(١) ابن السامى : الجامع المختصر (مقدمة الدكتور مصطفى جواد)

(٢) الحسن بن عبد الله : آثار الأول في تزيين الدول ص ٧٨ - ٧٩

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٤٦

الطغشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج ١ ص ٤٣ - ٤٤

(٤) ابن خلصان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥٧

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩

(٦) ابن خلصان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٨

(٧) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١١٣

وذلك في عهد أميرها ناصر الدين بن أرتق^(١) . وقد لقي ديوان الانشاء من وزير الموصل جمال الدين الأصفهاني عناية كبيرة وفي ذلك يقول ابن الأثير^(٢) : « وضع للناس في كتابة الانشاء وضعاً لم يعرفوه ، وشرع لهم شرعاً استحسونه وبذل بذلاً استعظوه » .

(ب) ديوان الجيش :

وله مجلسان ، أحدهما يتولى أمر استحقاقات الجند ، وتقدير أرزاقهم ويختص الثاني بالنظر في السجلات التي تدون فيها أسماء الجند ، وحفظها في أماكن خاصة بها^(٣) ، وبما يجدر ذكره أن جند عماد الدين زنكي بن آقسنقر كانوا يتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش كل ثلاثة شهور بانتظام ، وبلغ من حرصه على عدم تأخر رواتب جنده عن مواعدها ، أن الديوان لما أخرج رواتب الجند وشكوا إليه ، ذهب إلى الديوان وحذر موظفيه من هذا العمل بقوله : « إذا كنتم تهملون أمر جندي الذين تحت ركابي ، ومن هو ملازمي في سفرى وإقامتي وبهم من الحاجة إلى النفقات في أسفارهم ما تعلمونه ، فكيف يكون حال من بعد عنى » فانتظم ديوان الجيش بعد ذلك في صرف رواتب الجند في مواعدها المحدد^(٤) .

(ج) ديوان البريد :

كانت مهمة صاحب ديوان البريد موافاة الأتابك بكافة الأخبار والحوادث التي تصل إليه من أعوانه المنتشرين في أنحاء الأتابكية .

(١) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٢٧

(٢) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٧

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

اعتمد الأتابكة على البريد في إدارة شؤون أتابكياتهم ، فكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر شديد العناية بأخبار الأطراف ، وما يجري لأصحابها وأخبار السلطان السلجوقي ، وينفق على ذلك أموالا كثيرة ، وكان يطالع ويكتب إليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وذلك عن طريق عيونه الذين كانوا يصلون إليه كل يوم^(١) .
لم يأل الأتابكة جهدا في سبيل تحسين أحوال البريد ، فاستخدموا الحمام الزاجل في نقل البريد وقد عنوا عناية كبيرة بتربية هذا الطائر وتدريبه . ويقول القلقشندي^(٢) : أن البلاد الشامية والمصرية أخذوا الحمام الزاجل من الموصل وأن أول ما نقله من الموصل من الملوك ، نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) . وكانت تصل الأتابكية عن طريق الحمام الزاجل أخبار البلاد البعيدة فيقفون على ما يجري في مملكتهم الواسعة ، كما استعانوا به في نقل رسائلهم أثناء حروبهم . وكانت أبراج الحمام الزاجل منتشرة في جميع أنحاء البلاد الجزيرية^(٣) ، وترجع أهمية الحمام الزاجل إلى سرعته فكان يطير لمدة ثلاث عشرة ساعة بدون انقطاع بسرعة كيلو متر في الدقيقة ، وينقل الرسائل ، ويعود إلى وطنه مهما بعدت المسافة^(٤) .

حرص الأتابكة على إدارة دواوينهم على خير وجه حتى أن الدواوين الإدارية في عهد عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، كانت تضاهي دواوين سلاطين السلاجقة لكثرة أعمالها وسيرها بسرعة ودقة^(٥) ، فضلا عن

(١) المصدر السابق ص ٧٧

(٢) صبح الأعشى في صناعة الانشا ج ١٤ ص ٣٦٧

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ج ١٤ ص ٣٨٩

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٢٥

Encyc. of Islam : Art Hamam.

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

تنظيمها الإداري ، فكانت الشكاوى ترفع أولاً إلى الديوان المختص ، فإذا لم يحقق الديوان الشكوى ، يرجع صاحبها إلى أمير حاجب ، فإذا لم ينظر فيها ، يرجع صاحب الشكوى^(١) إليه ، ولضمان سير الدواوين الإدارية سيراً حسناً ، أحسن عماد الدين زنكي اختيار موظفيها وكان لا يرفع أحداً منهم فوق القدر الذي يستحقه ، ولا يضعه دونه^(٢) ، ويوسع عليهم في أرزاقهم ولا يتغير على أحد منهم إلا بذنوب عظيم يوجب التغيير^(٣) .

كذلك سار قطب الدين مودود بن زنكي - أتابك الموصل - على سياسة أبيه في اختيار موظفيه من بين ذوي الكفاية ، الأمر الذي جعل إدارة أتابكيتته تسير سيراً حسناً . وكان ينهى عماله عن أخذ أموال من الرعية بغير وجه حق ، ويقول : إن أحداً أخذ من أموال رعيتي ديناراً واحداً صلبته^(٤) .

٢ - الإدارة المالية

(١) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها :

من أهم الموارد المالية الثابتة لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، الجزية والخراج والمكوس .

١ - الجزية :

كانت للجزية دواوين في دول أتابكة الموصل والجزيرة ويصرف

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

(٢) ابن واصل . مفرج المكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٠٦ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٩

ديوان الجزية في هذه الدول بديوان الجوالي^(١) . ويقوم صاحبه بالنظر في أمور الجباية من أهل الذمة وكان يرد إلى هذا الديوان ، أموال وافرة بسبب كثرة أهل الذمة في بلاد الأتابكة مثل الرها^(٢) ، وحر تبرت وقرى الموصل^(٣) .

لم يلتزم بعض الأتابكة بأخذ الجزية من أهل الذمة وفقا للقواعد التي قررها الفقهاء^(٤) ، إنما رفعوا من قدرها ، فأتابك الموصل عماد الدين زنكي بن آقسنقر وخليفته في حكم الموصل ، سيف الدين غازي الأول ، وقطب الدين مودود كانوا يأخذون من أهل الذمة جزية تزيد على القدر الذي حدده الشرع ، ولما فتح نور الدين محمود بلاد الجزيرة سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) أمر بإعادة الجزية إلى القدر الذي أجازها الفقهاء^(٥) . على أن سيف الدين غازي الثاني بن مودود - أتابك الموصل - رفع الجزية عن أهل الذمة بعد وفاة نور الدين محمود^(٦) .

الخراج :

تعددت طرق جباية الخراج في دول أتابكة الموصل والجزيرة ومن أهمها :

- (١) ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص ١٤٥ - ١٤٦
- (٢) ابن قاضي شعبة الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢
- (٣) رحلة ابن جبير ص ٣٢٥
- (٤) نحر الفقهاء أن تكون الجزية على قدر الطاقة ، ولذلك قسم أهل الذمة إلى ثلاث طبقات ، تدفع الطبقة العليا منهم أربعة دنانير ، والطبقة الوسطى دينارين ، والطبقة الدنيا ديناراً .
- (٥) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٠٩
- (٥) سبط ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٣٧٠
- (٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ١ ص ٤

(أ) جباية الخراج ويتم بواسطة حامل الخراج ، فكان الأتابك يعينه ويخضع لسلطانه المباشر ويختص بجباية الخراج ، والاتفاق على عمارة الولاية ، ومنح رواتب الموظفين ، وإرسال ما تبقى إلى الخزانة الرئيسية في حاضرة الأتابكية . ومن بين من ولى هذه الوظيفة في أتابكية الموصل ابن الأثير^(١) — والد المؤرخ عز الدين — وكان عامل خراج جزيرة ابن عمر — وبما يجدر ذكره أنه شكى إلى الأتابك قطب الدين مودود من تدخل الوالى فى عمله فاستجاب لشكواه ، ونهى والى جزيرة ابن عمر عن التدخل فى أمر جباية الخراج .

كان الخراج يجبي أحيانا على وحدة المساحة فى الأرض الزراعية سواء أستخدمها أصحابها للزراعة أو لم يستخدموها وأحيانا يجبي على وحدة المساحة فى الأرض التى تزرع فعلا وأحيانا يؤخذ بنسب معينة من المحصول .

كان جباة الخراج فى بلاد الموصل والجزيرة يلجأون إلى وسائل العنف فى جبايته^(٢) ، مما حمل الفلاحين على رفع شكاياتهم إلى الأتابك . فإذا كان الخراج يؤخذ على الأرض الزراعية يضطر الزارع إلى دفع ضريبة على ما يملكه من أراض على الرغم من أن جزءا من هذه الأراضى قد يكون غير مزروع ، ويذكر عز الدين بن الأثير أن فخر الدين — نائب الموصل فى عهد قطب الدين مودود — أمر والده — حامل الخراج فى جزيرة ابن عمر بأخذ الخراج فى قرية العقيمة على جميع أراضها الزراعية سواء التى تزرع فعلا أو التى لا تزرع ، ولما شرع ابن الأثير فى

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٨

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٨

(٣) المصدر السابق

تنفيذ ما أمر به ، رفع أهل العقيمة شكواهم إلى أتابك الموصل ، فأمر ابن الأثير بأن يأخذ الخراج من الأرض المزروعة فقط^(١) .

أما عن مقدار جباية الخراج ، فكان يختلف من أتابكية إلى أخرى ففي أتابكية ماردين كان الفلاحون يؤدون العشر عما تنتجه الأرض ، وفي أتابكية الموصل كانت ضريبة الخراج تزيد عن العشر ، لذلك هرب بعض الفلاحين من الموصل إلى ماردين^(٢) .

(ب) الجباية بطريق الضمان :

شاع نظام الضمان في جباية الخراج في دول أتابكة الموصل والجزيرة . فكان على الضامن للبلدية أو الولاية أن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال ، سبق أن اتفق مع الحكومة عليه ، وإذا ما أخل الضامن بالتزاماته كان يعجز عن دفع المال المتفق عليه ، فإن الحكومة كانت تفرض عليه عقوبات ، فمزل عماد الدين زنكي بن آقسنقر أحد عماله سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) بسبب ما انكسر عليه من جملة ضمانه ، وعجز عن تسديده^(٣) . وقد ألحق الضمان ضرراً كبيراً بأهل الخراج من المزارعين وبالأرض ، لأن الضامن كان يلجأ في بعض الأحيان إلى استخدام العنف للحصول على المال المحدد بالضمان ، ليسلمه إلى الحكومة فضلاً عن الربح الذي يجنيه لنفسه . وقد لاحظ نور الدين محمود بن زنكي ذلك ، حين فتح الموصل سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) فأزال عن أهلها الظلم الذي لحق بهم من الضامنين^(٤) . ويذكر الفارقي^(٥) أن عميد الدولة بن نضر الدولة بن جهير ضمن لنظام الملك

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) نفس المصدر ص ٧٩

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٤

(٤) المصدر السابق .

(٥) تاريخ الفارقي ص ٢٢٤ .

ديار بكر ثلاث سنين بألف ألف دينار ، ولم يكن عميد الدولة يكتفى بجميع الضرائب المقررة على ديار بكر ، بل كان يفرض ضرائب أخرى على البساتين المحيطة بها ، وعلى ما تنتجها المزارع من الخضبر والبقول والفاكهة . مما حمل أهالي ديار بكر على رفع شكواهم إلى السلطان السلجوقي ، فأسقط عنهم هذه الضرائب وظل الضامنون في ديار بكر في عهد بني أرتق لا يفرضون على الأهلين ضرائب إضافية^(١) .

(ح) الجباية عن طريق الإقطاع :

كان الإقطاع المدني والإقطاع العسكري يسودان دول الأتابكة ، ففي هذه الدول كان يمنح الموظفون أقطاعات مدنية بدلا من الرواتب^(٢) . كما كان يمنح فواد الأتابكة وجندهم أقطاعات عسكرية ، وقد انتقل هذا النظام إلى أتابكة الموصل والجزيرة من السلاجقة^(٣) ، فقد اتخذت الدولة السلجوقية من نظام الإقطاع ركناً أساسياً من أركان سياستها المالية والعسكرية حين أمر الوزير نظام الملك بتوزيع الأراضي على شكل أقطاعات على الجند ، لأنه رأى أن تسليم الأراضي إلى المقطعين يضمن عمارتها لعنايه مقطعيها بأمرها^(٤) .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٥

(٢) منح أتابكة الموصل زين الدين على كجك - النائب في الموصل - أقطاعات تتكون من سجنار وهران وقلاع العسكرية جميعها وتكريت وأربل ، ومنح عماد الدين زلكي بن آقسنقر ، صلاح الدين الياغيساني أمير حاجب مدينة حماة على سبيل الإقطاع .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٥ ، ٨٥ .

(٤) أبو الحسن د النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٧٩

(٥) يمل العماد الأصفهانى أسباب اتحاد نظام الملك لهذا القرار بقوله أن الملك قد أخذت نظامه ، والدين قد تبدلت أحكامه في أواخر دولة الديلم وأوائل دولة السلاجقة ، وقد خربت الممالك بين أقال هذه وأدبار تلك ، ولم يكن لأحد من قبل إقطاع ، فرأى نظام الملك أن الأموال لا تعمل في البلاد ، لاختلالها ، ولا يصح منها للقطاع ، ففرق على الأجناد

على أن الاقطاعيين اعتبروا الاقطاعات التي منحت لهم ملكاً وراثياً^(١)، فترتب على ذلك انتشار الظلم والفساد . وكان المقطع يتعهد بأن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال ، وأن يحارب هو وجنده تحت لواء الأتابك كما كان مسؤولاً عن تموين جنده بالمؤن والمعدات^(٢) .

كان الاقطاع في هذه الفترة نوعين : اقطاع تملك ، أى من حق المقطع توريث اقطاعه لورثته والاستمرار في اقطاعه ، مادام المقطع راضياً عنه . وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — أقوى الاقطاعيين في عصره ، إذ شملت دولته البلاد الواقعة بين حلب والموصل^(٣) .

والنوع الثاني من الاقطاع ، اقطاع استغلال لا تملك ، وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ، ويقول : « مهما البلاد لنا ، فأى حاجة بكم إلى الأملاك ، فإن الاقطاعات تغني عنها ، وإن خرجت البلاد عن أيديكم ، فإن الأملاك تذهب معها ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم وأغضبوهم^(٤) .

== اقطاع ، وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً ، فتوافرت دواعيهم على عمارتها ، وعادت في أقصر مدة إلى أحسن حال من حالتها » أخبار دولة سلجوق ص ٥٥ .

(١) حنين أمين : تاريخ الدولة السلجوقية ص ٢٠٧ .

(٢) كان عماد الدين زنكى يقطع كبار قواده أثناء حروبه ، ويستعين بكل قوة تخدم فرضه ، فلما وفد عليه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه أقطعهما ، فأخذ نجم الدين شهر زور ، وأخذ أسد الدين الموصل . كذلك أقطع عدداً من المدن أرباب الدين على كرجك .

(أبو شامة : الروشتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١١٢)

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٥٤

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٠ .

٣ — المكوس

ومن الضرائب التي فرضها أتابكة الموصل والجزيرة على التجار المكوس ، وقد أنشئت لها دور في أماكن مختلفة من بلاد الجزيرة وخاصة على ضفاف الأنهار ، وكانت السفن تمنع من المرور ما لم تدفع الضريبة المقررة إلى العشار . ومن مهام العشار تنظيم التجارة الداخلية ، ومكافحة التهريب . وقد اشتط بعض العشارين في جمع ضريبة المكوس ، فكانوا يأخذون من التجار أكثر من الضريبة المقررة ، ومن بين هؤلاء العشارين ، ابن الطاروني وقد شكاه التجار إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر — أتابك الموصل — فعزل^(١) . ولما فتح نور الدين محمود بن زنكي الموصل وغيرها من البلاد الجزرية سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) خفف عن أهلها عبء إضريبه المكوس^(٢) ، ولكن سيف الدين غازي الثاني بن مودود ، أعاد المكوس إلى ما كانت عليه بعد أن ولي الموصل^(٣) كذلك أمر نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود جبابة الضرائب ألا يأخذوا من التجار أكثر من الضرائب المستحقة ، وكان أحد التجار قد شكاه إليه من أن ضامن المكوس ، يرض عندهم أكثر من الضرائب المقررة^(٤) .

هناك ضرائب أخرى فرضت في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي نذكر من بينها « غلة دار الضرب » وهي ما كان يخصص لبيت المال في دار

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٧٠

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٤

(٣) نفس المصدر القسم الأول ج ٨ ص ٢٢٥

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٧ هـ

مضرب النقود ، ونسبتها واحد في المائة مما يضرب من هذه النقود ، (١)
 وكانت هذه النسبة تختلف من بلد إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر (٢) .

كما فرضت ضرائب المؤن في ذلك العصر ، وقد فسرها ابن الفوطي (٣)
 بأنها ضريبة إضافية يأخذها مستوفو الضرائب من التجار من
 سائر الأجناس والأماكن ، وقد ألغيت هذه الضريبة من مياقارين
 سنة ٥٠٢ هـ (٤) .

كذلك فرضت ضريبة على المنسوجات التي راجت صناعتها في الموصل
 في العصر الآتابكي (٥) ، كما فرضت على الدور والحوانيت في آتابكيات
 الموصل والجزيرة تسمى « العقار » (٦) ، أما المعادن التي كانت تستخرج من
 بعض بلاد الجزيرة فكان عليها ضريبة تقدر بالخمس (٧) .

على أن نور الدين محمود بن زنكي خفف عبء الضرائب عن أهل
 الجزيرة ، فلما فتح هذه البلاد سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) ألغى الضرائب
 الإضافية ولم يبق إلا على الجزيرة والخراج والمكوس (٨) وكتب منشورا

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٦١ — ٦٢

(٢) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ هبشق ص ١٧٥

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٢

(٤) تاريخ الفارق ص ٢٢٥

(٥) جعفر حضاك : العراق في العصر المغولي ص ١٠٩

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٥ ص ٨٥

(٧) اشتهرت بعض مدن بلاد الجزيرة بكثرة ما يستخرج منها من النحاس
 والحديد .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الآتابكية ص ٦٦

(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الاول ج ٨ ص ٣١٢

بذلك جاء فيه « وقد علمتم معاشر الرعايا ما كان مرتباً من المظالم المحجفة بأحوالكم ، والمكوس المستولية على شطر أموالكم ، والرسوم المضيق عليكم في أرزاقكم ، والمؤن التي تساهمكم في منافع أملاككم ... وقد بقي من رسوم الظلم ومعالم الجور في سائر الأعمال بولايتنا ما أمرنا بإزالته الآن ، وأضغنا ذلك إلى ما كنا أسقطناه أولاً ... (١) » .

تعد المصادر في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي موزعة ماليا لكثرة المصادر ، فصادر عماد الدين زنكي بن آقسنقر أموال نانية نصير الدين جعفر بعد وفاته سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، وصادر أموال وذخائر أهله وأقاربه وعماله (٢) ، كما صادر عماد الدين زنكي أموال وزيره أبي المحاسن علي بن أبي طالب بعد عزله (٣) .

كانت الأموال التي تأتي من الموارد السابق ذكرها تنفق على مصالح دول الأتابكة في الوجوه الآتية :

١ — رواتب موظفي الأتابكيات على إختلاف مراتبهم وبما يجدر ذكره أن بعض كبار رجال دول الأتابكة كانوا يتقاضون مرتبات كبيرة فقد رفع عماد الدين زنكي بن آقسنقر رواتب موظفيه ، حتى صار لوزيره جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني عشر دخل أتابكية الموصل ، كما أن قطب الدين مودود بن زنكي — أتابك الموصل — سار على سياسة أبيه في تحسين

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ٢٧٤ — ٢٧٥

(٢) ابن الأثير : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

رواتب موظفيه ، وكان يقول : إذا لم يظهر احسانى على من يخدمنى ، من الذى يحسن إليهم^(١) .

٢ — أعطيات الجند :

كان بعض الأتابكة يمنحون جندهم أحيانا اقطاعات عوضا عن المرتبات أما الجند الذين ليس لهم إقطاع ، فيتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش ، وكان عماد الدين زكى بن آقسنقر يمنح جنده رواتبهم كل ثلاثة شهور^(٢) أما جند التركان فى ديار بكر ، فكانوا لا يتقاضون أجوراً ، إنما يذهبون إلى ميدان القتال مجهزين أنفسهم بالأسلحة والمؤونة اللازمة ، ويأخذون أجورهم من الغنائم التى يحصلون عليها من ميدان القتال^(٣) .

٣ — الاتفاق على مرافق البلاد ، وأقامة الجسور ، وإنشاء القناطر وقد أهتم بعض وزراء الأتابكة بهذه المرافق كالوزير جمال الدين الأصغرانى الذى أقام فى بلاد الموصل الكثير من الجسور والقناطر^(٤) ، وكذلك فعل مجاهد الدين قيمانز — النائب فى اتابكية الموصل^(٥)

٤ — نفقات الحروب :

كان الأتابكة يتفقون الكثير من الأموال فى إعداد جيوشهم وتجهيزها بالأسلحة وغيرها من العتاد الحربى ، وكذلك فى بناء الحصون والقلاع . كان مظفر الدين كوكبورى — أتابك اربل — يقسم موارد بلاده ثلاثة أقسام ، قسم فى أبواب البر ، وقسم ينفقه على أعطيات الجند ،

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ١٠٠٠

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ٨٣

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٤ هـ

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ١٢٩

(٥) نفس المصدر من ١٠٩٤

وتجهيزهم بالمؤن والأسلحة ، وقسم يدخره لعدو يقصده (١) .

كان بكل دولة من دول أتابكة الموصل والجزيرة بيت للمال يعرف بالمخزن ، وله فرع في سائر ولايات الأتابكية ، وينقسم المخزن إلى قسمين ، يشرف أحدهما على النفقات ، ويرسل ما تبقى إلى المخزن الرئيسي في حاضرة الأتابكية ، ويشرف الثاني على الموارد .

وما يجدر ذكره أن عماد الدين زنكي بن آقسنقر كانت أمواله في عدد من مخازن الموصل وسنجار وحلب وغيرها حتى يضمن وجود احتياطي من المال تحت تصرفه ، إذا ما تعرضت بلاده للغزو (٢) . وكان قطب الدين مودود بن زنكي يدخل إلى المخزن في بعض الأوقات ليتابع سير إدارته ، ولا يخرج منه إلا وقد أَرْضى العاملين فيه بالصلوات والمنح (٣) .

وقد زادت أموال أتابكية الموصل بعد أن قصدها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) وعقد صلحاً مع أخيه قطب الدين مودود ، نزل له بمقتضاه عن أموال المخزن بسنجار ، فتقلها نور الدين على ستائة جمل ، وستة وتسعين بغلاً محملة ذهباً (٤) .

على أن موارد المخزن في الموصل والجزيرة تعرضت للنقصان في بعض السنوات ، كما حدث في عامي ٥٧٤ هـ ، ٥٧٥ هـ حين انتشر الوباء والقحط في بلاد الموصل والجزيرة وديار بكر (٥) ، وحل الخراب والدمار ببلاد الجزيرة سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) نتيجة للفتن والحروب التي قامت بين الأكراد والتركمان (٦) .

(١) سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان في تاريخ الأيمان القسم الثاني ج ٨ ص ٢٦٨-٢٦٣

(٢) أبو شامة . الروضتين في أخبار الدولتين .

(٣) ابن الأثير التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٩

(٤) المصدر السابق ص ٩٨

(٥) المصدر السابق ١٧٨

(٦) ابن الأثير . الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(ب) المعاملات المالية :

استخدم أتابكة الموصل والجزيرة الدنانير والدرهم والفلس في معاملاتهم ، ففي أتابكيات الموصل وسنجار واربل والجزيرة كانت دنانيرهم ذات شكل دائري غير أنها لم تكن ثابتة في وزنها وقطرها ولم تظهر صور على هذه الدنانير ، بل نقش عليها عبارات من جهتها في إحداها (لله الأمر من قبل ومن بعد وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعبارة (باسم الله ضرب هذا الدينار ب... ستة... هـ)^(١) كما نقش على هذا الوجه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ثم اسم الخليفة المعاصر وألقابه ، وأحياناً اسم الأتابك وألقابه . أما الوجه الآخر فنقش عليه (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وعبارة (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم اسم الأتابك المعاصر وألقابه^(٢) واسم السلطان السلجوقي . ولما دخلت الموصل وسنجار في دائرة نفوذ نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) نقش اسمه على دنانير هاتين الأتابكيتين . وظل الأمر جارياً على ذلك حتى خضعت أتابكيات الموصل والجزيرة للأيوبيين فنقشوا أسماء سلاطينهم على الدنانير^(٣) .

أما بدر الدين لؤلؤ فنقش على الدنانير التي سكها في الموصل اسم الخليفة العباسي ، وظل الأمر على هذا الحال حتى دخل في طاعة المغول سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) فنذف اسم الخليفة المستعصم من الدينار ، ونقش اسم مانجوخان - إمبراطور المغول - ، غير أنه أبقى على أسماء سلاطين الأيوبيين على دنانير الموصل ، فنقش اسم الملك الكامل بن العادل بن أيوب

(١) محمد باقر كاظم : الدينار الأتابكي ص ٢٧ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ ج ١ حنة ١٩٥٤ من ٢٣٣ - ٢٤٤

(٣) نفس المصدر ص ٢٣٧

— صاحب مصر — وأخيه الملك الأشرف موسى بن العادل — صاحب الشام والبلاد الجزرية سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٣ م) وظهر اسم الملك الناصر يوسف الأيوبي — صاحب حلب — على دنانير الموصل واستمر الأمر على ذلك حتى سنة ٦٥٦ هـ^(١) (١٢٥٨ م).

كما نقش على الدنانير التي سككت في عهد إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ اسم مانجوخان، ولما خرج هذا الأتابك على المغول، حذف اسم سلطانهم من السكة، ونقش اسم السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) كما نقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي أقامه الظاهر بيبرس^(٢).

أما أتابكة ماردين وحصن كيفا، فظهر على بعض دنانيرهم صور لأباطرة بيزنطيين، ونقوش بيزنطية، مما ينهض دليلاً على أن الأراتقة ضربوا بعض دنانيرهم في بلاد الدولة البيزنطية^(٣). ولم تظهر أسماء السلاطين السلاجقة على العملات الأرتقية، إنما ظهر أسماء سلاطين الأيوبيين بعد أن دخل الأمراء الأراتقة في طاعة بني أيوب ونقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسي مقرونا باسم الأمير الأرتقي^(٤)، فالخليفة العباسي المستنجد بالله نقش اسمه على الدينار الأرتقي مع نجم الدين ألبى — أمير ماردين — والمستضىء بأمر الله أقترن اسمه في حصن كيفا باسم الأمير نور الدين محمود، كما نقش اسم الخليفة الناصر لدين الله على السكة مع اسم ولي عهده، عدة الدنيا والدين محمد مقرونا باسم غازي وبولق اللذين تعاقبا على حكم كيفا^(٥).

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ من ٢٣٩

(٢) محمد باقر كاظم: الدينار الأتابكي من ٥٣ - ٥٦

(٣) Lane Poole : Coins of the Urtuki Turkumans, p. 14

(٤) أنستاس الكرملي: النُود العربية وعلم النيات من ١٣٨

(٥) نفس المصدر من ١٣٨

نماذج من دنانير آتابكة الموصل والجزيرة

<p>(١)</p> <p>الوجه الآخر</p> <p>سنجر</p> <p>محمد رسول الله</p> <p>صلى الله عليه</p> <p>معز الدنيا</p> <p>والدين غياث</p> <p>الدنيا والدين</p> <p>مسعود</p> <p>محمد رسول الله أرسله بالهدى</p> <p>ودين الحق ليظهره على الدين</p> <p>كله ولو كره المشركون .</p> <p>(١)</p>	<p>(١)</p> <p>أحد الوجهين</p> <p>العادل</p> <p>لا إله إلا الله</p> <p>وحده لا شريك له</p> <p>المتقى لأمر الله</p> <p>أمير المؤمنين بسم الله</p> <p>ضرب هذا الدينار</p> <p>بالموصل سنة أربعين</p> <p>وخمسمائة</p> <p>لله الأمر من قبل ومن بعد</p> <p>(ويومئذ يفرح المؤمنون)</p> <p>بنصر الله)</p>
<p>سنجار</p> <p>محمد رسول الله</p> <p>السلطان المعظم منصور</p>	<p>(٢)</p> <p>الله</p> <p>لا إله إلا هو . المسترشد بالله</p> <p>السلطان الأعظم سنجر</p>

يتضح من هذين الدينارين أن أحدهما ضرب بالموصل والآخر بسنجر في عهد عماد الدين زنكي بن آقسنقر (المنصور) وظهر في الدينار الأول اسم أبي بكر الديبسي — أحد الأمراء المقربين إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر واسم الخليفة المتقي لأمر الله والآخر المسترشد بالله ، ونقش

اسم السلطان سنجر على الدينارين كما نقش اسم السلطان ألب أرسلان
الذي كان زنكي أتابكا له ، ونقش على الدينار الثاني اسم السلطان السلجوقي
محمد شاه .

(٣)

الوجه الآخر	أحد الوجهين
العادل	غازي بن
محمد	لا إله إلا الله
رسول الله	وحده لا شريك له
صلى الله عليه	المستضى . بأمر
بن زنكي	الله أمير
	المؤمنين
أرسله بالهدى ودين الحق	لله الأمر من قبل ومن بعد
ليظهره على الدين كله ولو كره	ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
المشركون	بسم الله ضرب هذا
	الدينار بالموصل . . وستين
	وخمسائة .

يتبين من هذا الدينار أن اسم سلاطين السلاجقة حذف من دنانير
الموصل واستبدل باسم نور الدين محمود الذي دخلت الموصل في طاعته .

(٤)

<p>بن مردود محمد رسول الله صلى الله عليه نور الدنيا والدين أتاك أرسلان شاه محمد رسول الله أرسله بألهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون</p>	<p>الأمام لا إله إلا الله وحده لا شريك له الناصر لدين الله أمير المؤمنين الله</p>
--	---

الملك العادل ملك مصر والشام (٥٩٦ - ٦١٥ م) وسبب ورود اسمه
هو أن الدولة الأتابكية بالموصل دخلت في التبعية لبني أيوب منذ سنة ٥٨٩ هـ.

(٥)

<p>العادل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الأمراء كوكبر ي</p>	<p>بن علي لا إله إلا الله وحده لا شريك له الناصر لدين الله أمير المؤمنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله بسم الله ضرب هذا الدينار بأربل سنة تسع وثمانئة</p>
---	--

(يتضح من هذا الدينار أن مظفر الدين كوكبوري - أتابك أربل
كان في طاعه بني أيوب)

<p>(٦)</p> <p>على اسم الله ضرب بالحصن سنة ثمان وسبعين وخمسمائة</p> <p>(١)</p>	<p>ملك الامرا محي العدل نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن ارتق نصير الإمام الناصر لدين الله</p>
---	---

لم تظهر الدراهم الفضية في بلاد الجزيرة إلا في عهد بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — لنقص معدن الفضة في تلك البلاد ، ومن ثم ضربت فيها دراهم نحاسية : وهناك دراهم نقش عليها صور في الوجه . أما النوع الثاني فنقال من الصور كما هو الحال في هذا الدرهم .

<p>(٧)</p> <p>بن زنكي الملك العادل العالم عماد الدنا والدين زنكي بن مودود^(٢)</p>	<p>الامام الناصر لدين أمير المؤمنين ضرب هذا الدرهم في نصيبين</p>
---	--

وكان هناك بدول الأتابكة إلى جانب الدنانير والدراهم فلولس نحاسية ، بدأ استعمالها منذ أن ولي قطب الدين مودود الموصل ، ويتجلى فيها تنوع وزيادة الألقاب ، ذلك أن الأتابك كان يضرب هذه العملة دون الرجوع إلى الخليفة العباسي . وهذا النوع من العملة يساعد على مرونة العمليات التجارية ، وشراء الحاجيات البسيطة^(٣) .

Lane Poole : The Coins of the Urtuki Turkumans. (١)

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ س ٣٤١ (٣) كاظم : الدينار الأتابكي ص ٦٢

ثانيا : الحياة الثقافية في بلاد الجزيرة

في أواخر العصر العباسي

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً في تشجيع الحركة الثقافية ، فأنشأوا المدارس وشجعوا أساتذتها وطلابها على تأدية مهامهم ومن أبرز الأدلة على ذلك المدرسة التي أسسها الأتابك سيف الدين غازي في الموصل - وهي من أحسن المدارس - ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية ، وبني رباطاً للصوفية باموصل ، (١) وكان عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار يقدر أهل العلم والدين .

كذلك شيد مجاهد الدين قنار - وزير قطب الدين مودود - المدارس باموصل ، وكان خيراً فاضلاً عالماً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ويحفظ من الأشعار والحكايات والنوادر شيئاً كثيراً (٢)

وقد نبغ شيوخ في بلاد الجزيرة قاموا بالتدريس ، وتخرج على أيديهم الكثير من العلماء الأفاضل ، نخص بالذكر منهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان وكان عالماً في مجالات شتى مثل الفقه والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك . (٣)

ومن شيوخ هذه البلاد أبو القاسم يعيش بن صدقه بن علي الفرائي ، كان إماماً في الفقه مدرساً صالحاً كبير الصلاح ، (٤) أما الشيخ مكي بن ريان

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٤٤ هـ

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٩٣ هـ

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٥ هـ

(٤) المصدر السابق - ١ ص ٥٩٦ .

فكان عالماً بالنحو واللغة والقراءات ، ولم يكن في زمانه مثله ، وكان يعرف سوى هذه العلوم ، إذ عرف بسعة إطلاعه وتعدد اهتماماته وتردد عليه الطلاب من كل مكان . وكانت حلقات درسه تعقد من الصباح المبكر حتى الليل (١) .

ومن أبرز علماء بلاد الجزيرة في العصر الأتابكي الإخوة مجد الدين وعز الدين وضياء الدين ، وهم أبناء محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيداني ، وكان سمواً عند أتابكة الموصل منذ حكم عماد الدين زنكي ، وولى ديوان جزيرة ابن عمر من قبل قطب الدين مودود ابن زنكي - أتابك الموصل - ثم انتقل إلى الموصل ، وكان من أهل الثراء (٢) .

أما مجد الدين أبو السعادات المبارك فقد اتصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قباذ ، وكتب بين يديه حتى وفاته سنة ٥٩٥ هـ ثم اتصل بخدمة عز الدين مسعود .

ولما آل ملك الموصل إلى نور الدين أرسلان شاه أرسل إليه مملوكه لؤلؤ يرجوه قبول الوزارة فأبى ، وقال : قد كبرت سني واشتهرت بطلب العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من العسف والظلم ، ولا يليق بذلك فأعفاه . ثم اتصل بنور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود فحظي عنده ، وتوفرت حريته لديه ، وكتب له مده حتى أقعده المرض ، فاعتزل في داره ، وظل منزله مقصد العلماء والأدباء ، وصنف كتبه كلها في مدة اعتزاله العمل ، وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار والكتابة ، وقد صنف الشيخ في سائر العلوم كتباً مفيدة منها وجامع الأصول في أحاديث

(١) المصدر السابق حوادث سنة ٦٠٣

(٢) ابن خلدكان : وفيات الأعيان ج ٣ - ص ٢٨٩

الرسول ، جمع فيه الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والفسان والزحشرى
وله كتاب النهاية في غريب الحديث في خمس مجلدات ، وكتاب
الأنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف ، في أربع مجلدات ، وله
كتاب المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار ، وكتاب البديع وله ديوان
الرسائل ، وكتاب الشافي في شرح مسند الإمام الشافعى وبالجمله كان عالماً
في عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة وتصانيف
مشهورة في التفسير والحديث (١) .

أما ضياء الدين فإنه ولي الوزارة للملك الأفضل بن صلاح الدين
صاحب دمشق — فأساء أسيرة ، وثار عليه الناس ، وكادوا يقتلونه
ولما خرجت دمشق من يد الأفضل ، التحق بخدمة الظاهر غازى صاحب
حلب — ولكنه غضب عليه ، وتنحى عن عمله ، وعاد إلى الموصل غير
أنه لم يستمر في الإقامة بها ، فرحل منها إلى إربل ثم سنجار ثم عاد إلى
الموصل واستقر به المقام هناك ، وشغل وظيفة كاتب الإنشاء لناصر
الدين محمود بن الملك القاهر .

وترجع شهرة ضياء الدين على الأخص إلى أنه كان من أصحاب
الاساليب ، ومن أهم كتبه ، كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،
وهو مجلد قيم في فن الكتابة ، ولما فرغ من تصنيفه وصلت نسخة منه إلى
بغداد ، وتصدى لمؤاخذته الفقيه الأديب ابن أبي الحديد المدائنى ، وجمع
هذه المؤاخذات في كتاب ، الفلك الدائر على المثل السائر ، وله كتاب
الوشى المرقوم في حل المنظوم ، وهو كتاب موجز يفيد قارئه الأدب ،
وله كتاب ، المعانى المخترعة في صناعة الإنشاء ، وله مجموعة شعرية ،
تضمنت أشعار أبي تمام والمتممى في مجلد واحد ، وله أيضاً ديوان ترسل

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٤

في عدة مجلدات ، والمختار منه في مجلد واحد ، وله عدة رسائل ، منها رسالة يصف فيها الديار المصرية ، وهي طويلة ، ومن جملتها فصل في صفة فيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع وغريب (١) .

وكان لتكوين ضياء الدين انشقا في أكبر الاثر فيما بلغه من سعة في العلم ، فقد حفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، ودرس النحو واللغة والبيان ، وشيئاً كثيراً من الأشعار ، حتى قال في أول كتابه الذي سماه « الوشي المرقوم » : وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، حفظت دواوينهم ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الأدمان لي خلقاً وطبعاً . . . والمنشئ . ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حل المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعة (٢) .

وتوفي ضياء الدين في بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

أما عز الدين أبو الحسن علي بن محمد فهو الأخ الثاني لمجد الدين وضياء الدين ، ولد عام ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م في جزيرة ابن عمر ، وتوفي في الموصل سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٤ م ، وهو صاحب الكتب التاريخية التي من أشهرها « الكامل في التاريخ » ، وصنف كذلك تاريخاً لدولة أتابكة الموصل والجزيرة ، يسمى « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » ، كما صنف معجماً مرتباً على حروف الهجاء عن الصحابة عنوانه « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، وخص كتاب الأنساب للسمعاني بعنوان اللباب ، على أن كتابه الكامل في التاريخ

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٨ - ٣٢

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥

(٣) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٠٨

أهم مؤلفاته جميعاً بل من أبرز المراجع التاريخية قاطبة ، وينتهي بحوادث سنة ٦٢٨ هـ .

تلقى عز الدين العلم في الموصل وفي بغداد ، كما رحل إلى بلاد الشام ، ووقف بقية حياته على العلم الذي انقطع له ، وقد استفاد ابن الأثير من شيوخ عصره بالجزيرة والعراق والشام ، فسمع بالموصل من خطيبها عبد الله بن أحمد الطوسي ، وسمع ببغداد من أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي ، وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي ، وسمع بدمشق من بعض العلماء ، وعاش ابن الأثير منقطعاً إلى العلم تحصيلاً وتدريباً وتصنيفاً ، وقد قام بمهمة السفارة لبعض حكام الموصل لدى المسؤولين في بغداد .

وقد روى عن ابن الأثير غير واحد من جلة العلماء ، فقد ذكر ابن خلكان أنه لقيه في حلب ، وتلمذ عليه بها ، وروى عنه أيضاً . (١)

قلنا إن كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير أشهر مصنفاته ، ويقع في اثني عشر جزءاً . وكان جل اعتماده في الأجزاء السبعة منه على أبي جعفر الطبري ، وقد اختصر الطبري ، فحفظ الأسانيد ، وترك الاسهاب . واكتفى بالرواية الواحدة ، وهذا أمر ييسر للقارئ مهمته ، خصوصاً أن صاحبنا لا يذكر إلا الرواية المرجحة ، ولم يعتمد ابن الأثير على كتاب تاريخ الأمم والملوك ، للطبري فقط بل اعتمد كذلك على كتب التاريخ الأخرى مثل فتوح البلدان ، للبلاذري ، ومروج الذهب للسعدي وذلك حرصاً منه على ذكر صورة كاملة متكاملة لتاريخه . واعتمد ابن الأثير بعد الجزء السابع من كتابه الكامل - على المراجع التاريخية الأخرى .

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٨ .

والواقع أن ابن الأثير كان حريصاً على ذكر الرواية الصحيحة ، وأحياناً ينقد الكتب التي تتناول موضوعات لا يرى دقتها .

وقد أوضح ابن الأثير في مقدمة كتابه المراجع التي اعتمد عليها ، والأسباب التي دعت به إلى تصنيف هذا الكتاب ، فيقول شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب ... فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعته وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه ... على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ، ممن أعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه . (١)

ويقول عن علم التاريخ : « هو الحافظ للعلوم ينقلها من الماضي إلى الحاضر والآتي ، الكافل بتبيان صورة تدوينها مع التنويه بأسماء المؤسسين والناشرين والمحققين ، وهو الناقل لنا صور الماضي وما فيه من حوادث وقصص وغيرها لتكون خير مرشد للتأخرين ، وهو نعم الداعي إلى الفضيلة بإذاعة مناقب أرباب الكمال وأولي النهى والمزايا العظيمة ، وأحسن زاجر للطغاة عن طغيانهم بما يسود صفحاته من أعمالهم ... وهو السلسلة التي تربطنا بمن قبلنا ، وتعرفنا بهم ، وبما كانوا عليه ، وما صدر عنهم وفيهم من الأحوال والشؤون . » (٢)

وقد تحامل ابن الأثير على الذين يقللون من أهمية علم التاريخ فقال : ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها فلما منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص

(١) مقدمة كتاب الكامل في التاريخ .

(٢) مقدمة الكتاب الكامل في التاريخ .

والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والإسمار ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره .. ومن رزقه طبعاً سليماً وهداه صراطاً مستقيماً علم أن فوائدها كثيرة ...

فإنها أن الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء ... فيأبى أن يشعرى أى فرق بين مارآه أمس أو سمعة ، وبين ماقرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؛ فإذا طالعها فكأنه طاصرهم ، وإذا علمها فكأنه حاصرهم (١) .

ومن علماء الموصل المشهورين بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بإبن شداد ، ولد بالموصل . وتوفى أبوه وهو لا يزال غرا صغيراً ، فنشأ عند أخواله بنى شداد ، فنسب إليهم ، وكان شداد جده لأمه . ودرس الدين واللغة والتاريخ والأدب ، وتعمق فى دراسة هذه العلوم ، وقد أهله ذلك لوظائف القضاء والتدريس ، فقد درس فى الموصل ، كما رحل إلى بغداد ، ودرس فى المدرسة النظامية على شيوخ هذه المدرسة ، وقد نبغ فى دراسته حتى أن شيوخه عينوه معيداً فى هذه المدرسة ، وعمل بها ثلاث سنوات ، وعاد إلى الموصل وصار مدرسا بالمدرسة التى أنشأها القاضى كمال الدين الشهر زورى ، واتفع بعلمه كثير من الصلاب ، وذاع صيته .

ولما لمس فيه أتاك الموصل رجاحة العقل ، وسداد الرأى ، عمد إليه بالسفارة فى أمور سياسية بالغة الخطورة والأهمية إلى صلاح الدين يوسف ابن أيوب بعد الخلافات الشديدة بينه وبين صلاح الدين عقب وفاة الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م .

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٦ .

وشرع صلاح الدين في مهاجمة الموصل بعد أن اتضح له أن أتابكها يحرص أعداءه عليه فتوجه ابن شداد برسولا من أتابك الموصل . عز الدين مسعود إلى الخليفة العباسي يطلب منه تسوية الخلافات بينه وبين صلاح الدين ، فأنفذ الخليفة شيخ الشيوخ في بغداد إلى صلاح الدين لبذل مساعيه الحميده لانتهاء الخلافات بين الزعيمين :

وفي العام التالي توجه ابن شداد إلى صلاح الدين ضمن وفد لتسوية الخلافات بين أتابك الموصل وصلاح الدين ، وعلى الرغم من فشل هذه السفاره ، فإنها أدت إلى تعرف صلاح الدين على ابن شداد ، وقد قدره ، وعرض عليه أن يقوم بالتدريس في مصر ، ولكنه اعتذر ، وظل أمير الموصل يعهد إلى ابن شداد بمثل هذه المهمات السياسية (١)

ولما استرد صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة القدس ، زارها ابن شداد ، ثم قدم إلى دمشق ، واستدعاه صلاح الدين ، وأكرم وفادته ، وسأله عن مشايخ العلم ، وطلب منه أن يقرأ له جزءه اجمع فيه أحاديث البخاري ، وقدم إليه ابن شداد كتابا ألفه في أثناء إقامته في دمشق عن « الجهاد أحكامه وآدابه » فأعجب السلطان صلاح الدين ، وكان يلزم مطامته ، وعاد صلاح الدين يعرض على ابن شداد الدخول في خدمته ، فوافق ابن شداد بعد تردد ، ومن ذلك الوقت سنة ٥٨٤ / ١١٨٨ لم يفارق ابن شداد ، صلاح الدين ساعة من ليل أو نهار حتى حضر وفاته وتولى لصلاح الدين وظائف القضاء والحكم بالقضاء . (١) شريف

وبعد وفاة السلطان صلاح الدين ، توجه ابن شداد إلى حلب ، وبدل جهوداً مضنية لجمع كلمة أولاد صلاح الدين ، ولم يلبث أن تولى القضاء في حلب ، وظل يواصل محاولاته ، لوقف الخلافات بين أمراء بني أيوب

في الشام ومصر ، وقام بعدة رحلات بين مصر والشام لهذا الغرض ، وازداد نفوذه زمن السلطان الظاهر وابنه العزيز ، فلم يكن لأحد في الدولة معه كلام ، ولما بلغ العزيز أشده ، استبد بالحكم ، واستند في إدارة دولته إلى جماعة لم يرض عنها ابن شداد ، فاعتزل السياسة ، ولزم داره ، ودأب على أن يسمع الحديث لمن يقدم عليه من المريدين بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء من كل يوم ، ونشطت في زمنه حركة الدراسة والعلم بفضل ما أنشأه من مدارس ، وتوفي في حلب سنة ٦٢٢ هـ .

ولما كان ابن شداد ثقة عالما بالدين ، فقد اشتهر اسمه ، وسار ذكره ، وكان ذا صلاح وعبادة .

ولابن شداد عدة مؤلفات منها ، تاريخ حلب ، ودلائل الأحكام في الفقه ، وملجأ الأحكام عند التباس الأحكام ، على أن أهم كتبه ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، قسمه قسمين الأول في نشأة صلاح الدين وأخلاقه ، والثاني في بعض وقائعه وغزواته (١)

ويختلط اسم القاضي ابن شداد باسم مؤرخ عربي يحمل نفس الاسم ، وهو عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم توفي سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ، وقد صنف كتاباً قيماً عنوانه ، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، (٢)

نشطت الحركة العلمية في إربل في أواخر العصر العباسي . وتجلى ذلك في المدارس العديدة التي أسسها حكام هذه الأتابكية ، وقد تخرج من هذه المدارس رجال شغلوا وظائف رئيسية في البلاد الإسلامية ، فكان منهم القاضي والمحاسب والفقيه والأديب والشاعر ، ومن بين هذه المدارس .

(١) ابن العماد الحنبل . جذرات الذهب ج ٥ ص ١٥٨ - ١٥٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٥ .

مدارس أنشأها مظفر الدين كوكبوري لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي ، وقام بالتدريس فيها شيوخ أجلاء ، قصص بالذكر منهم ، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت سنة ٦١٠ هـ) وهو والد المؤرخ المشهور قاضي القضاة ابن خلكان ، صاحب كتاب وفيات الأعيان ، ومن أساتذة مدارس إربل أحمد بن موسى بن منعة الذي قام بالتدريس للشيخ الجليل ابن خلكان ، ويقول عنه : إنه كان فاضلاً عاقلاً حسن السمات جميل المنظر ، كثير المحفوظات غزير المادة ، حسن الإلقاء ، فصيح اللسان ، قوى البيان . ابن خلكان : (وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٠) وقام بمهمة التدريس فيها عمر بن إبراهيم (ت ٦٠٩) عم المؤرخ ابن خلكان .

ومن أساتذة مدارس إربل أبو العباس الحضرمي نصر الأربلي (ت ٦١٩) كان فاضلاً فقيهاً طارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف ، تتلمذ في بغداد على يد عدد من المشايخ ، ثم رجع إلى إربل ، وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك وله كتاب ذكر فيه ستا وعشرين خطبة للرسول ، وكلها مستندة ، وتعلمذ عليه خلق كثير ، وانتفعوا به ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً ، ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درياس الهذلي شارح المذهب ، وتخرج عليه ابن أخيه أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر (ت ٥٦٧ هـ) (١)

ولما توفي تولى ابن أخيه مكانه في المدرستين ، وسخط عليه مظفر الدين كوكبوري - أتابك إربل - وأخرجه منها ، وانتقل إلى الموصل ، وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري وقرر له صاحب

(١) ابن الساد الخليل : شوارات القدماء ج ١٤ ص ١٣٣

الموصل راتباً ، وتوفي بها سنة ٦١٩ هـ (١)

وإن اشتهر بالفتوى العالم الفقيه كمال الدين سلار بن الحسن بن عمر
ابن سعيد الأربلي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، وذاعت فتاواه في الشام ، وسارت
مسير الشمس في النهار (٢)

ونبغ في مدرسة إربل القاضي والمؤرخ ابن خلكان صاحب الكتاب
المشهور «وفيات الأعيان وأنباء الزمان» الذي تضمن ترجمة لرجال
الفكر والسياسة والحرب المسلمين الذي لعبوا دوراً بارزاً في الحياة
الإسلامية . وهذا الكتاب يعتمد عليه كل المهتمين بالدراسات الإسلامية .
وإن خلكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم ، درس في مدارس إربل ، وتلقى
الدراسات الدينية من والده ، ولما توفي والده ، انتقل إلى الموصل ، ودرس
على علمائها هناك ، ثم واصل رحلاته في طلب العلم والتزود بالمعرفة ،
فانتقل إلى حلب وأقام عند الشيخ بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن شداد ،
وتلقى منه علم الفقه ، ودرس النحو في حلب ، ثم رحل إلى دمشق واتصل
بابن الصلاح ، وتبلذ عليه ، ثم غادر دمشق إلى القاهرة ، وشغل وظيفة
القضاء في بعض مدن مصر ، ثم عاد إلى الشام حيث ولي قضاءه ، وتوفي
سنة ٦٨١ هـ (٣)

ولقد اعتمد ابن خلكان كثيراً في تراجمه التي أوردها في كتابه على
ابن المستوفى ، آخر وزراء إربل على عهد مظفر الدين — إذ صنف
ابن المستوفى تاريخاً في أربع مجلدات ، وكتاباه عبارة عن تراجم ، فقدت .
وكان ابن المستوفى أديباً كبيراً وشاعراً ومحدثاً ، يعقد الندوات الأدبية
التي تضم كبار الأدباء والشعراء والفقهاء ، وهو من بيت علم ، نبغ من

(١) المصدر السابق - ص ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق - ص ٦٦١ .

(٣) ابن كثر : البداية والنهاية . ج ١٢ ص ٢١١ .

أسرته علماء أجلاء ، وكان عمه صفى الدين أبو الحسن علي بن المبارك يتقن اللغتين العربية والفارسية ، فترجم كتاب « نصيحة الملوك » للإمام الغزالي من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ، ويذكر ابن خلكان أن ابن المستوفى « كثير التواضع ، واسع الكرم » ، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب ، فقد كانت سوقهم لديه نافقة ، وكان جم الفضائل ، عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، وكان إماماً فيه ، ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وغلم البيان .

وإذا تتبعنا حياة ابن خلكان العلوية نراه قد استفاد فائدة كبيرة من النشاط الثقافي في بلاد الجزيرة ، فسمع صحيح البخاري بمدينة إربل على الشيخ الصالح أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفي ، وتفقه في الموصل على كمال الدين بن يوسف ؛ وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين بن شداد ، وقرأ النحو على أبي الققاء يعيش بن علي النحوي ، وتدرج في وظائف القضاء — كما ذكرنا — حتى ولى منصب قاضي قضاة الشام ، وأقيم معه القضاة الثلاثة على مذاهب مالك وأبي حنيفة وابن حنبل ومذهبه مذهب الشافعي .

ولقد نسج ابن خلكان على منوال والده في التفنن بالعلوم وتخرج عليه كثير من الطلاب . فلا غرو إذن أن ينشأ ابن خلكان على حب العلم حتى برع ، وصار بصيراً بالعربية أدبياً شاعراً عالماً بأيام الناس ، كثير الاطلاع (١)

(١) وفيات الأعيان - ٢ - ص ٢٩٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ٦ - ص ٣

قلنا إن كتاب وفيات الأعيان من أهم الكتب الإسلامية ، وهو مختصر في علم التاريخ . ويقول : دعاني إلى جمعه أني كنت مولعاً بالإطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم في كل عصر ، فوقع لي منه شيء حملني على الاستزادة فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من أقوال الأئمة المتقنين له ما لم أجده في كتاب ، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي على مسودات كثيرة في سنين عديدة وغلق على خاطري بعضه ، فصرت إذا احتجت إلى معاودة شيء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في استخراجه لكونه غير مرتب فاضطرت إلى ترتيبه فرأيت على حروف المجمع أيسر منه على السنين فعدلت إليه ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة ولا من التابعين إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء ، وذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ، ونقلت عنهم أو كانوا في زمني ، ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدهم ، ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الوزراء أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس .

وجدير بالذكر أن ابن خلكان استقى معلوماته في هذا الكتاب من ثلاثة مصادر ، أولها ما قرأه في الكتب المصنفة قبله ، وكان مولعاً بمراجعتها والإفادة منها ، والمصدر الثاني الدروس التي تلقاها من مشايخه الثقات ، والمصدر الثالث اعتمده فيه على مشاهداته الخاصة ، ولهذا سمي كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبتته العيان . وقد لاحظ الأستاذ المرحوم محي الدين عبد الحميد الذي بذل جهداً مشكوراً في تحقيق الكتاب — أن ابن خلكان حين ينقل من الكتب المصنفة لا يقف عند النقل ، ويلقى عهدته على صاحبه شأن كثير من المصنفين ، ولكنه يزن الكلام ويفحصه .

وقد نبغ أدباء في إربل مثل مجد الدين أسعد بن إبراهيم بن حسن بن علي الشيباني النشائي الأربلي ، وكان يخاطب ابن المستوفي بالشعر .

تعددت المجالس الدينية في إربل بسبب تشجيع أمرائها ووزرائها . ولقد حرص مظفر الدين كوكبوري على إقامة الندوات الدينية ، إذ كان شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة لا يجتمع عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ، ووجد على إربل في أيام العلماء والأدباء وقد حظوا منه بكل تشجيع وتأييد . وقد حرص مظفر الدين على إقامة حفلات كبيرة في كل سنة بمناسبة مولد الرسول الكريم ، ولم يكن هذا الاحتفال مجرد استماع لأغاني وأناشيد دينية بل كانت تعقد فيه ندوات يقوم فيها الوعاظ والعلماء بالتحدث عن سيرة الرسول وإلقاء الأحاديث الدينية ، وكان الناس من البلدان المجاورة يقدون على إربل على اختلاف طبقاتهم خصوصاً الفقهاء والمحدثون والأدباء والشعراء . وهؤلاء العلماء يبرزون معارفهم في ندوات المولد الشريف وينالون من الأمير الأربلي كل عطف وتعظيم .

ولم يهتم مظفر الدين كوكبوري بالحركة الثقافية في إربل فحسب بل تجاوز اهتمامه دائرة حكمه ، فبنى في مدينة الموصل داراً للحديث . ليستفيد منها الراغبين في دراسته ، وسميت بدار الحديث المظفريه .

ومن علماء إربل المشهورين الحسين بن إبراهيم الهذلي وهو من علماء اللغة والحديث ، وقد تناول مع بعض العلماء مسند ابن حنبل بالترتيب على أبواب الفقه وتوفي سنه ٦٥٦ هـ . ولا ننسى ما قام به شمس الدين ابن الحياز من جهود في علم النحو .

وقد نبغ في إربل ابن سراقّة الشاطبي ، وهو من الأندلس ، ورحل إلى الشرق ، وتنقل بين عدة مدن حتى انتهى به المطاف في بغداد ودرس الحديث بها ، ثم انتقل إلى إربل ، وقرأ الحديث بها على المحدث أبي الخير بدل التبريزي .

ومن أشهر أدباء إربل ، أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد المعروف بابن المستوفي — آخر وزراء إربل على عهد مظفر الدين كوكبوري وقد نبغ في مجالات الأدب والشعر والحديث والنحو واللغة ، وكان يعقد المجالس العلمية التي تضم الأدباء والشعراء والفقهاء ، ويقول عنه ابن خلكان : كان رئيساً جليل القدر ، كثير النواضع ، واسع الكرم لم يصل أحد إلى إربل من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب فقد كانت سؤقهم لديه نافقة . وكان جم الفضائل ، عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، وكان إماماً فيه ، وكان ماهراً في فنون الأدب من النحر واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعاً في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم .

ومن أهم مصنفات ابن المستوفي كتاب تاريخ إربل ، ويقع في أربع مجلدات ، ويتضمن تراجم لأعيان هذه البلاد ، وأفاد ابن خلكان في تصنيف كتابه « وفيات الأعيان » وهذا الكتاب فقد .

وقد ساهم ابن المستوفي في نشاط الحركة الأدبية في إربل من جراء الندوات الأدبية التي كان يعقدها في منزله ، وكان يشجع الشعراء بصفة خاصة ، ويجب أن يخاطبهم ، ويخاطبوه بالشعر^(٢)

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق

والخلاصة أن الحياة الثقافية في بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي اشتملت على العلوم الدينية والأدبية واللغوية فقط ، ولم تتضمن العلوم العقلية كالفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات ، وتجهل النشاط الثقافي في المدارس العديدة التي أنشأها الأتابكة ، ونلاحظ أن علماء ذلك العصر لم يجدوا ولم يبتكروا في تصانيفهم ، وإنما اقتصر اهتمامهم على تلخيص أو النقل من كتب السابقين .

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم في الشرق

أولاً : أتابكة الموصل والجزيرة

ثانياً : الخلفاء العباسيون

ثالثاً : السلاجقة

رابعاً : أتابكة الشرق

خامساً : السلاطين والأمراء الأيوبيون

سادساً : الأمراء الصليبيون في بلاد الشام

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام

المعاصرين لهم في الشرق

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

(أ) أتابكة الموصل

عماد الدين زنكي بن آقسنقر ٥٢١ هـ - ٥٤١ هـ (١١٢٧ - ١١٤٦ م)
سيف الدين غازي الأول بن زنكي ٥٤١ هـ - ٥٤٤ هـ (١١٤٦ - ١١٤٩ م)
قطب الدين مودود بن زنكي ٥٤٤ هـ - ٥٦٤ هـ (١١٤٩ - ١١٧٠ م)
سيف الدين غازي الثاني بن مودود ٥٦٤ هـ - ٥٧٢ هـ (١١٨٠ - ١١٧٦ م)
عز الدين مسعود الأول بن مودود ٥٧٢ هـ - ٥٨٩ هـ (١١٧٦ - ١١٩٣ م)
نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود ٥٨٩ هـ - ٦٠٧ هـ (١١٩٣ - ١٢١٠ م)

عز الدين مسعود الثاني بن أرسلان شاه ٦٠٧ هـ - ٦١٦ هـ (١٢١٠ - ١٢١٨ م)

نور الدين أرسلان شاه الثاني بن مسعود الثاني ٦١٦ هـ - ٦١٦ هـ (١٢١٨ - ١٢١٩ م)

ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثاني ٦١٦ هـ - ٦٣١ هـ (١٢١٩ - ١٢٣٣ م)

بدر الدين لؤلؤ ٦٣١ هـ - ٦٥٧ هـ (١٢٣٣ - ١٢٥٦ م)
ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ ٦٥٧ هـ - ٦٦٠ هـ (١٢٥٦ - ١٢٥٩ م)

(ب) أتابكة سنجار

عماد الدين أبو الفتح زنكي الثاني بن مودود ٥٦٦ هـ - ٥٩٤ هـ (١١٧٠ - ١١٩٧ م)

قطب الدين محمد بن زنگي الثاني ٥٩٤ — ٦١٦ هـ (١١٩٧ — ١٢١٩ م)
 عماد الدين شاهنشاه بن محمد ٦١٦ هـ (١٢١٩ م)
 جلال الدين محمود بن محمد ٦١٦ — ٦١٧ هـ (١٢١٩ — ١٢٢٠ م)

(ج) أتابكة الجزيرة :

معز الدين سنجر شاه بن غازي الثاني ٥٧٦ — ٦٠٥ هـ
 (١١٨٠ — ١٢٠٨ م)

معز الدين محمود بن سنجر ٦٠٥ — ٦٣٩ هـ (١٢٠٨ — ١٢٤١ م)
 مسعود بن محمود ٦٣٩ — ٦٤٨ هـ (١٢٤١ — ١٢٥٠ م)

(د) أتابكة اربيل :

زين الدين علي كجك بن بكتكين بن محمد ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م)
 زين الدين أيو المظفر يوسف علي ٥٦٣ — ٥٨٦ هـ (١١٦٧ — ١١٩٠ م)
 مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي ٥٨٦ — ٦٣٠ هـ (١١٩٠ —
 ١٢٣٣ م)

(هـ) أتابكة حصن كيفا ثم آمد :

معين الدين سقمان الأول بن أرتق ٤٩٥ — ٤٩٨ هـ (١١٠١ — ١١٠٤ م)
 ابراهيم بن سقمان ٤٩٨ — ٥٠٢ هـ (١١٠٤ — ١١٠٨ م)
 ركن الدولة داود بن سقمان ٥٠٢ — ٥٣٩ هـ (١١٠٨ — ١١٤٤ م)
 نضر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود ٥٣٩ — ٥٦٢ هـ
 (١١٤٤ — ١١٦٦ م)

تشلم آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م)

قطب الدين سقمان الثاني بن محمد، الملك المسعود ٥٨١ — ٥٩٧ هـ

(١١٨٥ — ١٢٠٠ م)

ناصر الدين محمود بن محمد، الملك الصالح ٦٩٧ هـ (١٢٠٠ — ١٢٢٢ م)

رکن الدین مودود بن محمود ٦١٩ — ٦٢٩ هـ (١٢٢٢ — ١٢٣١ م)
الملك المسعود ، عزله الملك الكامل الثاني بن غازي صاحب ميافارقين
سنة ٦٢٩ هـ .

(و) أتابكة ماردين :

نجم الدين أيلغازي الأول بن أرتق ٥٠٠ — ٥١٦ هـ (١١٠٦ — ١١٢٢)
حسام الدين تيمرتاش بن أيلغازي ٥١٦ — ٥٤٧ هـ (١١٢٢ — ١١٥٢ م)
نجم الدين ألي بن تيمرتاش ٥٤٧ — ٥٧٥ هـ (١١٥٢ — ١١٧٩ م)
قطب الدين أيلغازي الثاني بن ألي ٥٧٥ — ٥٨٠ هـ (١١٧٩ — ١١٨٤ م)
حسام الدين بولاق أرسلان بن أيلغازي الثاني ٥٨٠ — ٥٩٧ هـ
(١١٨٤ — ١٢٠٠ م)
ناصر الدين أرتق أرسلان بن أيلغازي الثاني ٥٩٧ — ٦٣٧ هـ
(١٢٠٠ — ١٢٣٩ م)
نجم الدين غازي الأول بن أرتق أرسلان ٦٣٧ — ٦٥٨ هـ
(١٢٣٩ — ١٢٥٩ م)
قرأ أرسلان بن غازي الأول ٦٥٨ — ٦٩١ هـ (١٢٥٩ — ١٢٩١ م)
شمس الدين داود بن قرأ أرسلان — ١٢٩١ — ١٢٩٣ م

(ز) أتابكة خرتبرت :

عماد الدين أبو بكر بن قرأ أرسلان ٥٨١ — ٦٠٠ هـ (١١٨٥ — ١٢٠٣ م)
نظام الدين إبراهيم بن أبي بكر ٦٠٠ — ٦٣١ هـ (١٢٠٣ — ١٢٣٣ م)
الخضر بن إبراهيم ٦٣١ — ٦٦٠ هـ (١٢٣٣ — ١٢٦١ م)
نور الدين أرتق شاه ، الملك البعز بن الخضر ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)

ثانياً : الخلفاء العباسيون :

أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدى ٤٨٧ — ٥١٢ هـ
(١٠٩٤ — ١١١٧ م)

أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر ٥١٢ — ٥٢٩ هـ
(١١١٨ — ١١٣٤ م)

أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد ٥٢٩ — ٥٣٠ هـ (١١٣٤ —
١١٣٥ م)

أبو عبد الله محمد المتقى لأمر الله بن المستظهر ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ
(١١٣٥ — ١١٦٠ م)

أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المتقى ٥٥٥ — ٥٦٦ هـ
(١١٦٠ — ١١٧٠ م)

أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد ٥٦٦ — ٥٧٥ هـ
(١١٧٠ — ١١٧٩ م)

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء ٥٧٥ — ٦٢٢ هـ
(١١٧٩ — ١٢٢٥ هـ)

أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر ٦٢٢ — ٦٢٣ هـ (١٢٢٥ — ١٢٢٦ م)
أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر ٦٢٣ — ٦٤٠ هـ

(١٢٢٦ — ١٢٤٢ م)

أبو أحمد عبد الله المستعصم بن المستنصر ٦٤٠ — ٦٥٦ هـ (١٢٤٢ — ١٢٥٨ م)

ثالثاً : السلاجقة :

(١) السلاجقة العظام :

ركن الدين طغرل بك أبو طالب محمد بن ميكايل بن ساجوق ٤٢٩ —

٤٥٥ هـ (١٠٣٧ — ١٠٦٣ م)

ألب أرسلان بن دواد ٤٥٥ — ٤٦٥ هـ (١٠٦٣ — ١٠٧٢ م)
ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥ — ٤٨٥ هـ (١٠٧٢ — ١٠٩٢ م)
محمود بن ملكشاه ٤٨٥ — ٤٨٧ هـ (١٠٩٢ — ١٠٩٤ م)
بركيا روق بن ملكشاه ٤٨٧ — ٤٩٨ هـ (١٠٩٤ — ١١٠٤ م)
محمد بن ملكشاه ٤٩٨ — ٥١١ هـ (١١٠٤ — ١١١٨ م)
أحمد سنجر بن ملكشاه ٥١١ — ٥٥٢ هـ (١١١٨ — ١١٥٧ م)

(ب) سلاجقة العراق :

محمود بن محمد بن ملكشاه ٥١١ — ٥٢٥ هـ (١١١٧ — ١١٣١ م)
داود بن محمود ٥٢٥ — ٥٢٦ هـ (١١٣١ — ١١٣٢ م)
ظفر الأول بن محمد ٥٢٦ — ٥٢٧ هـ (١١٣٢ — ١١٣٣ م)
مسعود بن محمد ٥٢٧ — ٥٤٧ هـ (١١٣٣ — ١١٥٢ م)
ملكشاه بن محمود ٥٤٧ — ٥٤٨ هـ (١١٥٢ م)
محمد بن محمود ٥٤٨ — ٥٥٥ هـ (١١٥٣ — ١١٥٩ م)
سليمان شاه بن محمود ٥٥٥ — ٥٥٦ هـ (١١٥٩ — ١١٦١ م)
أرسلان شاه بن ظفر ٥٥٦ — ٥٧٣ هـ (١١٦١ — ١١٧٧ م)
ظفر الثاني بن أرسلان شاه ٥٧٣ — ٥٩٠ هـ (١١٧٧ — ١١٩٤ م)

(ج) سلاجقة الشام :

تنش بن ألب أرسلان ٤٧١ — ٤٨٨ هـ (١٠٧٩ — ١٠٩٥ م)
رضوان بن تنش (حلب) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
دقاق بن تنش (دمشق) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
ألب أرسلان بن رضوان (حلب) ٥٠٧ — ٥٠٨ هـ (١١١٣ — ١١١٤ م)
سلطان شاه بن رضوان (حلب) ٥٠٨ — ٥١١ هـ (١١١٤ — ١١١٧ م)

رابعاً : أتابكة الشام :

(أ) البوريون أتابكة دمشق :

- طفتكين — ٤٩٧ — ٥١١ (١١٠٣ — ١١١٧ م)
تاج الملوك بوري (١١٢٨ — ١١٣١ م) ٥٢٣
شمس الملوك إسماعيل ٥٢٦ — ٥٢٩ (١١٣١ — ١١٣٤ م)
شهاب الدين محمد ٥٣٣ — ٥٣٤ (١١٣٨ — ١١٣٩ م)
جمال الدين محمد ٥٣٣ — ٥٣٤ (١١٣٨ — ١١٣٩ م)
مجير الدين محمد ٥٣٤ — ٥٤٧ (١١٣٩ — ١١٥٢ م)

(ب) أتابكة حلب ودمشق من بني زنكي :

العادل نور الدين محمود بن زنكي

- في حلب ٥٤١ — ٥٧٠ (١١٤٦ — ١١٧٤ م)
في دمشق ٥٤٩ — ٥٧٠ (١١٥٤ — ١١٧٤ م)
الصالح نور الدين محمود بن إسماعيل
في حلب ٥٧٠ — ٥٧٧ (١١٧٤ — ١١٨١ م)
ضم حلب إلى أتابكية الموصل وسبجار ٥٧٧ — ٥٧٩ (١١٨١ —
١١٨٣ م)

خامساً : بنو أيوب :

(أ) في مصر :

- الناصر صلاح الدين يوسف ٥٦٤ — ٥٨٩ (١١٦٨ — ١١٩٣ م)
العزيز عثمان ٥٨٩ — ٥٩٥ (١١٩٣ — ١١٩٨ م)
المنصور محمد ٥٩٥ — ٥٩٦ (١١٩٨ — ١١٩٩ م)
العادل الأول أحمد ٥٩٦ — ٦١٥ (١١٩٩ — ١٢١٨ م)

الكامل الأول محمد ٦١٥ - ٦٣٥ هـ (١٢١٨ - ١٢٣٨ م)
 العادل الثاني أبو بكر ٦٣٥ - ٦٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٤٠ م)
 الصالح أيوب ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ (١٢٤٠ - ١٢٤٩ م)
 المعظم توران شاه الرابع ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ (١٢٤٩ - ١٢٥٠ م)
 الملك الأشرف الثاني موسى بن يوسف بن محمد ٦٤٨ - ٦٥٠ هـ
 (١٢٤٩ - ١٢٥٢ م)

(ب) الأيوبيون في دمشق :

الأفضل نور الدين أبو الحسن على ٥٨٢ - ٥٩٢ - ١١٨٦ - ١١٩٥ م)
 الملك العادل الأول - سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٩٢ - ٦١٥ هـ
 (١١٩٥ - ١٢١٨ م)
 المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥ - ٦٤٤ هـ (١٢١٨ - ١٢٢٧ م)
 الناصر صلاح الدين ٦٢٤ - ٦٢٦ هـ (١٢٢٧ - ١٢٢٩ م)
 الأشرف الأول مظفر الدين أبو الفتح موسى ٦٢٦ - ٦٣٤ هـ
 (١٢٢٩ - ١٢٣٧ م)
 الصالح عماد الدين اسماعيل (للمرة الأولى) ٦٣٤ - ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)
 الكامل الأول ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)
 العادل الثاني سيف الدين أبو بكر ٦٣٥ - ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م)
 الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٦ - ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م)
 الصالح اسماعيل (للمرة الثانية) ٦٣٧ - ٦٤٢ هـ (١٢٣٩ - ١٢٤٥ م)
 الصالح نجم الدين أيوب - صاحب مصر - ٦٤٣ - ٦٤٧ هـ
 (١٢٤٥ - ١٢٤٩ م)
 المعظم توران شاه الرابع ومعه مصر ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ (١٢٤٩ - ١٢٥٠ م)
 الناصر الثاني صلاح الدين يوسف صاحب حلب ٦٤٨ - ٦٥٨ هـ
 (١٢٥٠ - ١٢٥٩ م)

(ج) الأيوبيون في حلب :

- الملك العادل الأول سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٧٩ - ٥٨٢ هـ
(١١٨٣ - ١١٨٦ م)
الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي الأول ٥٨٢ - ٦١٣ هـ
(١١٨٦ - ١٢١٦ م)
العزیز غياث الدين أبو المظفر محمد ٦١٣ - ٦٣٤ هـ (١٢١٦ - ١٢٣٦ م)
الناصر الثاني صلاح الدين يوسف ٦٣٤ - ٦٥٨ هـ (١٢٣٦ - ١٢٦٠ م)

(د) الأيوبيون في حمص :

- القاهر محمد بن شيركوه ٥٧٤ - ٥٨١ هـ (١١٧٨ - ١١٧٦ م)
المجاهد شيركوه الثاني ٥٨١ - ٦٣٧ هـ (١١٨٦ - ١٢٤٠ م)
المنصور ابراهيم ٦٣٧ - ٦٤٤ هـ (١٢٤٠ - ١٢٤٦ م)
الأشرف موسى الثاني ٦٤٤ - ٦٦١ هـ (١٢٤٦ - ١٢٦٣ م)

(هـ) الأيوبيون في حماه :

- المظفر الأول عمر ٥٧٤ - ٥٨٧ هـ (١١٧٨ - ١١٩١ م)
المنصور الأول محمد ٥٨٧ - ٦١٧ هـ (١١٩١ - ١٢٣٠ م)
الناصر قلاج أرسلان ٦١٧ - ٦٢٦ هـ (١٢٣٠ - ١٢٣٩ م)
المظفر الثاني محمود ٦٢٦ - ٦٤٢ هـ (١٢٣٩ - ١٢٤٤ م)
المنصور الثاني محمد ٦٤٢ - ٦٨٣ هـ (١٢٤٤ - ١٢٨٤ م)

(ز) الأيوبيون في ميفارقين (وسنجار) :

- الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)
العادل سيف الدين أبو بكر ٥٩١ - ٥٩٦ هـ (١١٩٤ - ١١٩٩ م)
الأوحد نجم الدين أيوب ٥٩٦ - ٦٠٧ هـ (١١٩٩ - ١٢١٠ م)

الآشرف الأول موصى ٦٠٧ - ٦١٧ هـ (١٢١٠ - ١٢٢٠ م)
 المظفر شهاب الدين غازى ٦١٨ - ٦٤٢ هـ (١٢٢١ - ١٢٤٤ م)
 الكامل الثانى ناصر الدين محمد ٦٤٢ - ٦٥٩ هـ (١٢٤٤ - ١٢٦٠ م)

الامراء والملوك الصليبيون فى بلاد الشام

سادساً: (١) مملكة بيت المقدس

بلدوين الأول ٤٩٤ - ٥١٢ هـ (١١٠٠ - ١١١٨ م)
 بلدوين الثانى ٥١٢ - ٥٢٦ هـ (١١١٨ - ١١٣١ م)
 فولك الأنجوى ٥٢٦ - ٥٣٩ هـ (١١٣١ - ١١٤٤ م)
 بلدوين الثالث ٥٣٩ - ٥٥٨ هـ (١١٤٤ - ١١٦٢ م)
 عمورى الأول ٥٥٨ - ٥٦٩ هـ (١١٦٢ - ١١٧٣ م)
 بلدوين الرابع ٥٦٩ - ٥٨١ هـ (١١٧٣ - ١١٨٥ م)
 بلدوين الخامس ٥٨١ - ٥٨٢ هـ (١١٨٥ - ١١٨٦ م)
 جاي لوزجنان ٥٨٢ - ٥٨٨ هـ (١١٨٦ - ١١٩٢ م)
 كونراد دى مونتفرات ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م)
 هنرى دى شامبني ٥٨٨ - ٥٩٣ هـ (١١٩٢ - ١١٩٧ م)
 عمورى الثاني ٥٩٣ - ٦٠٢ هـ (١١٩٧ - ١٢٠٥ م)
 مارى (ابنة كونراد تحت الوصاية) ٦٠٢ - ٦٠٧ هـ
 (١٢٠٥ - ١٢١٠)
 خنادى دى برين ٦٠٧ - ٦٢٢ هـ ١٢١٠ - ١٢٢٥ م
 الإمبراطور فردريك الثاني ٦٢٢ - ٦٤٨ هـ (١٢٢٥ - ١٢٥٠ م)
 كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك اسمى) ٦٤٨ - ٦٥٢ هـ
 (١٢٥٠ - ١٢٥٤ م)

كونرادين (ملك اسعى) ٦٥٢ - ٦٦٧ هـ (١٢٥٤ - ١٢٦٨ م)
 هيو الثالث ملك قبرس (الثاني) ٦٦٨ - ٦٨٣ هـ (١٢٦٩ - ١٢٨٤ م)
 حنا الاول ملك بيت المقدس ٦٨٣ - ٦٨١ هـ (١٢٨٤ - ١٢٨٥ م)
 هنرى الثالث ملك قبرس (الثاني) ٦٨٥ - ٦٩٠ هـ (١٢٨٦ - ١٢٩١ م)

(ب) أمراء أنطاكية النورمان

بوهيموند الاول ٤٩٢ - ٤٩٨ هـ (١٠٩٨ - ١١٠٤ م)
 تنكرد ٤٩٨ - ٥٠٦ هـ (١١٠٤ - ١١١٢ م)
 روجردى ساليو ٥٠٦ - ٥١٣ هـ (١١١٢ - ١١١٨ م)
 بوهيموند الثانى ٥٢٠ - ٥٢٥ هـ (١١٢٦ - ١١٣٠ م)
 ريموند دى يواتيه ٥٣١ - ٥٤٤ هـ (١١٣٦ - ١١٤٩ م)
 رينجالد دى شاتيون (أرناط) ٥٤٨ - ٥٥٥ هـ (١١٥٣ - ١١٦٠ م)
 بوهيموند الثالث ٥٥٩ - ٥٩٨ هـ (١١٦٣ - ١٢٠١ م)
 بوهيموند الرابع ٥٩٨ - ٦١٣ هـ (١٢٠١ - ١٢١٦ م)
 ريموند روبان ٦١٣ - ٦١٦ هـ (١٢١٦ - ١٢١٩ م)
 بوهيموند الرابع (مرة ثانية) ٦١٦ - ٦٣١ هـ (١٢١٩ - ١٢٣٣ م)
 بوهيموند الخامس ٦٣١ - ٦٤٩ هـ (١٢٣٣ - ١٢٥١ م)
 بوهيموند السادس ٦٤٩ - ٦٦٧ هـ (١٢٥١ - ١٢٦٨ م)

(ج) أمراء طرابلس :

ريموند الاول ٤٩٦ - ٤٩٩ هـ (١١٠٢ - ١١٠٥ م)
 وليم جوردان ٤٩٩ - ٥٠٢ هـ (١١٠٥ - ١١٠٨ م)
 برتراند ٥٠٢ - ٥٠٧ هـ (١١٠٨ - ١١١٣ م)
 بونز ٥٠٧ - ٥٢١ هـ (١١١٣ - ١١٢٧ م)
 ريموند الثانى ٥٢١ - ٥٤٧ هـ (١١٢٧ - ١١٥٣ م)

ويوموند الثالث ٥٤٧ — ٥٨٣ (١١٥٢ — ١١٨٧ م)
يوهيموند الرابع (+ أنطاكية) ٥٨٣ — ٦٣١ (١١٨٧ — ١٢٢٣ م)
يوهيموند الخامس (+ أنطاكية) ٦٣١ — ٦٤٩ (١٢٢٣ — ١٢٥١ م)
يوهيموند السادس (أنطاكية) ٦٤٩ — ٦٧٤ (١٢٥١ — ١٢٧٥ م)
يوهيموند السابع ٦٧٤ — ٦٨٦ (١٢٧٥ — ١٢٨٨ م)

سابعاً : أباطرة الدولة البيزنطية :

ألكسيوس الأول كومنين ٤٧٣ — ٥١٢ (١٠٨١ — ١١١٨ م)
حنا الثاني كومنين ٥١٢ — ٥٣٨ (١١١٨ — ١١٤٣ م)
مانويل الأول كومنين ٥٣٨ — ٥٧٦ (١١٤٣ — ١١٨٠ م)
ألكسيوس الثاني كومنين ٥٧٦ — ٥٧٩ (١١٨٠ — ١١٨٣ م)
أندرونيق الأول كومنين ٥٧٩ — ٥٨١ (١١٨٣ — ١١٨٥ م)
أسحق الثاني انجيلوس ٥٨١ — ٥٩٢ (١١٨٥ — ١١٩٥ م)
ألكسيوس الثالث انجيلوس ٥٩٢ — ٦٠٠ (١١٩٥ — ١٢٠٣ م)
ألكسيوس الخامس ٦٠١ (١٢٠٤)

مصادر الكتاب

أولا : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

- ١ — إبراهيم على طرخان : (الاقطاع الإسلامى — أصوله وتطوره) .
(القاهرة — ١٩٥٧) .
- ٢ — ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٧ م) على بن أحمد بن أبى الكرم
(١) : الكامل فى التاريخ ، (١٢ جزء ١ — القاهرة ١٣٠٢ هـ) .
٣ — (ب) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية .
حققه عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة — ١٩٦٣ م)
- ٤ — أسامة بن منقذ : (ت ٥٨٤ هـ ، ١١٨٠ م) مؤيد الدولة أبو المظفر
أسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى .
(١) : الاعتبار ، نشره وحققه فيليب حتى (برنستون — ١٨٣٠ م)
٥ — (ب) : لباب الآداب ، تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة — (١٩٣٥ م)
٦ — الأصفهاني . (ت ٩٥٧ هـ ، ١٢٠٤ م) عماد الدين محمد .
والفتح انقى فى الفتح القدسى ، تحقيق أحمد محمود صبح — (ت ١٣٤٢ هـ)
٧ — ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٧ هـ ، ١٢٧٠ م) أبو العباس أحمد بن القاسم
ابن خليفة موفق الدين .
دعيون الأبناء فى طبقات الأطباء ، جزء أن — القاهرة ١٢٩٩ —
(١٣٠٠ هـ)
- ٨ — أمير على سيد
Ameer : Ali Sayed : « A Short Hist of the Saracens »
نقله إلى العربية رياض رأفت باسم مختصر تاريخ العرب والتمدن
الإسلامى . (القاهرة ١٩٣٨) .
- ٩ — ابن أيبك (ت ٧٤٤ هـ) محمد بن على بن أيبك السروجى أبو عبد الله
شمس الدين .

« الدر المطلوب في أخبار بني أيوب »

مخطوط بدار الكتب المصرية ، تاريخ رقم ٢٥٧٨

١٠ - بارتولد : ف : Barthold' F .

(٦) تاريخ الحضارة الإسلامية .

نقله إلى العربية حمزة طاهر - القاهرة ١٩٤٣ هـ

١١ - (ب) تاريخ التوك في آسيا الوسطى .

نقله إلى العربية د . أحمد السعيد (القاهرة - ١٩٥٨ م)

١٢ - باركر أرنست

« الحروب الصليبية » نقله إلى العربية د . السيد الباز العريني

(القاهرة - ١٩٦٠)

١٣ - بيمس الدوادار (ت ٧٢٤ هـ) .

« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة »

(مخطوط . كتبه جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧)

١٤ - بروكلان : كارل

Brockelman' Carl : Geschichte der Islamische . Volker und
Staten .

نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير البعلبكي باسم

(تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٤٨)

١٥ - البنداري (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري)

الفتح بن علي بن محمد .

« تاريخ دولة آل سلجوق » (طبع على نفقة شركة الكتب العربية

سنة ١٣١٨ هـ ، ١٩٠٠ م) .

١٦ - ابن جبير (ت ٦١٤ هـ ، ١٢١٧ م) محمد بن أحمد بن جبير « رحلة

ابن جبير » تحقيق للدكتور حسين نصار (القاهرة - ١٩٥٥ م)

١٧ — ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ - ١٣٠٠ م) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى .

« المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » ، (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ)

١٨ — حافظ أحمد حمدى

(١) « الدولة الخوارزمية والمغول ، القاهرة - ١٩٤٩ م)

١٩ — (ب) « الشرق الإسلامى قبل الغزو المغولى » ، (القاهرة - ١٩٥٠ م)

٢٠ — حتى ، فيليب

(١) Hitti , Philip . History of the Arabs .

نقله إلى العربية فيليب حتى وآخرون باسم « تاريخ العرب »

(بيروت - ١٩٥٣ م)

٢١ — (ب) (History of Syria)

نقله إلى العربية الدكتور كمال اليازجى باسم « تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين » .

٢٢ — حسن إبراهيم حسن

(١) « تاريخ الإسلام السياسى » القاهرة - ١٩٦٢ م)

(ب) « تاريخ الدولة الفاطمية » القاهرة - ١٩٦٤)

٢٣ — حسن حبشى

(١) « الحرب الصليبية الأولى » (القاهرة - ١٩٤٧ م)

٢٤ — (ب) « نور الدين محمود والصليبيون » ، (القاهرة - ١٩٤٨ م)

٢٥ — الحسن بن عبد الله : أبو على الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن محاسن .

« آثار الأول فى ترتيب الدول » ، (القاهرة - ١٣٠٥)

٢٦ — حسين أمين : « تاريخ العراق فى العصر الساجوقى »

(بغداد ١٣٥٨ هـ - ١٩٦٩ م)

- ٢٧ - الحسيني : عاش في القرن السابع الهجري (ناصر بن علي الحسيني
د أخبار الدولة السلجوقية ، حققه محمد اقبال (لاهور - ١٩٣٣)
٢٨ - ابن حوقل : (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري)
أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى
د المسالك والممالك ،
(بمجموعة المكتبة الجغرافية العربية . نشر دى غويه ١٧٨٠ م)
٢٩ - الخزر جى : (ت ٦١٣ هـ ١٢١٦ م) جمال الدين أبو الحسن علي
ابن طاهر .
د أخبار الزمان في تاريخ بني العباس ،
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ ، تاريخ)
٣٠ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م)
عبد الرحمن بن محمد بن محمد جابر .
د العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (٧ أجزاء - بولاق ١٢٨٤ هـ)
٣١ - ابن خلسكان : (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعى .
د وفيات الأعيان ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ،
(القاهرة - ١٩٤٨)
٣٢ - الذميرى : (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ م)
د حياة الحيوان الكبرى ، (جزءان ١٣٠٩ هـ)
٣٣ - الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن عثمان بن قايماز .
د دول الاسلام ، (حيدر آباد - ١٢٣٣ هـ)
٣٤ - الراوندى : (ت ٥٩٩ هـ ، ١٢١٢ م) محمد بن علي بن سليمان
الراوندى .

- د راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ،
نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشاوربي ، وعبد النعم حسنين .
وفؤاد عبد المعطي الصياد . (القاهرة — ١٩٦٠) .
- ٣٥ — زامباور : ادوار فون
د معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ،
نقله إلى العربية الدكتور زكي حسن ، وحسن أحمد محمود
(جامعة القاهرة — ١٩٥١ م)
- ٣٦ — ابن الساعي : (٦٧٤ ، ١٢٧٥ م) أبو طالب علي بن أنجب
تاج الدين .
د الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، .
نشر وتحقيق الدكتور مصطفى جواد ح ٩ (بغداد ١٩٣٤ م)
- ٣٧ — سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٦ م) شمس الدين أبو المظفر
يوسف قزويني .
د امرأة الرومان في تاريخ الأعيان ، .
القسم الأول والثاني من الجزء الثامن (حيد رآباد — ١٩٥١) .
- ٣٨ — سعيد الديوه هجي : د الموصل في العهد الأتابكي ، .
(الموصل ١٩٥٨) .
- ٣٩ — سعيد عبد الفتاح عاشور .
د الجرعة الصليبية ، (القاهرة — ١٩٦٣ هـ) .
- ٤٠ — السيد الباز العريني .
(١) الاقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن
الثالث عشر الميلادي .
(فصل من حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس - العدد
الرابع يناير سنة ١٩٥٧) .

- ٤١ - (ب) « مصر في عصر الأيوبيين » (القاهرة - ١٩٢٠ هـ) .
- ٤٢ - (ح) « الشرق الأوسط والحروب الصليبية » .
(القاهرة - ١٩٦٣) .
- ٤٣ - السيوطي (ت ٩١١ هـ ، ١٥٠٥ م) .
عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين .
(تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة) ،
- ٤٤ - أبو شامة : (ت ٦٦٥ هـ ، ١٣٦٦ م) شهاب الدين أبو محمد
عبد الرحمن اسماعيل إبراهيم المقدسي .
(١) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية .
(القاهرة - ١٣٧٨ هـ) .
- ٤٥ - (ب) « تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري »
المعروف بالذين على الروضتين .
تحقيق السيد عزت العطار الحسيني (القاهرة - ١٣٦٦ هـ) .
- ٤٦ - ابن شاهنشاه (ت ٦١٧ هـ ، ١٣٣٠ م) محمد بن تقي الدين عمر بن
شاهنشاه الأيوبي . صاحب حماء .
« مضمار الحقائق وسر الخلائق » .
تحقيق الدكتور حسن حبشي (نشره عالم الكتب - القاهرة ١٩٦٩ م)
- ٤٧ - ابن الشحنة : محمد بن الشحنة .
« الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » .
(بيروت - ١٩٠٩ م) .
- ٤٨ - ابن شداد : (ت ٦٣٢ هـ ، ١٢٣٤ م) .
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » .
وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لتاج الدين شاهنشاه بن أيوب
صاحب حماء .

القاهرة — ١٣١٧ هـ).

٤٩ — ابن طباطبا: (٥٧٠٩ هـ) نثر الدين محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي.

• والفخرى في الآداب الساطانية، (القاهرة ١٩٢١ م).

٥٠ — عباس الغزوى: «تاريخ الضرائب العراقية من صدور الإسلام إلى آخر العهد العثماني» (بغداد — ١٩٥٨ م).

٥١ — عبد العزيز الدورى.

• تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى.

(بغداد — ١٩٤٨ م).

٥٢ — عبد النعم حسين: «سلاجقة إيران والعراق».

(القاهرة — ١٩٥٩ م).

٥٣ — ابن العبري: (ت ٦٨٤ هـ) غريغوريوس أبو الفرج بن هرون الملقب «تاريخ مختصر الدول» (بيروت — ١٨٩٠ م).

٥٤ — ابن العديم: (ت ٦٦٠ هـ، ١٣٦١ م) كمال الدين أبو القاسم عمر أحمد بن هبة الله بن العديم.

• زبدة الحلب فى تاريخ حلب.

• نشر وتحقيق سامى الدهان: (دمشق ١٩٥٤ م).

٥٥ — ابن عساكر: (ت ٥٧١ هـ، ١١٧٥ م) أبو القاسم علي بن الحسين «التاريخ الكبير» تحقيق عبد القادر بدران.

(دمشق ١٣٣٦ هـ).

٥٦ — العظيمى: محمد بن علي التنوخى الحلبى.

• تاريخ العظيمى.

٥٧ — ابن العماد الحنبلى: (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح بن عبد الحى

ابن العماد الحنبلى.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
 • (القاهرة ب ١٣٥٠ هـ) .
- ٥٨ — العمرى : (ت ١٣٣٢ هـ) ياسين بن خير الله الخطيب العمرى .
 • منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء .
 • نشر وتحقيق سعيد الديوه هجي (الموصل ١٣٧٤) .
- ٥٩ — ابن العميد : (ت ٦٧٢ هـ ، ١٣٧٣ م) الشيخ المكين جرجس بن العميد
 • تاريخ المسلمين ، (لندن ١٠٣٥ هـ ، ١٦٢٥ م) .
- ٦٠ — الفارقي : (٥٦٠ هـ ، ١١٩٣ م) أحمد بن يوسف بن علي الأزرق
 الفارقي : تاريخ ميفارقين .
 • تحقيق الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض (القاهرة — ١٩٥٩ م) .
- ٦١ — أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ) اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماه .
 • المختصر في تاريخ البشر (القاهرة — ١٣٢٥ م) .
- ٦٢ — فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ .
 • (بيروت — ١٩٧٠ م) .
- ٦٣ — ابن الفوطى : (ت ٧٣٢ هـ) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد
 ابن أحمد الصابوني .
 • الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة .
 • تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١ هـ) ،
- ٦٤ — ابن قاضي شبة : (ت ٨٧٤ هـ) بدر الدين محمد بن تقى الدين أحمد .
 • الكواكب الدرية في السيرة النورية .
 • مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٢٧ ، تاريخ .
- ٦٥ — القرمانى : (ت ١٠١٩ هـ) أبو العباس أحمد بن يوسف د أخبار
 الدول ، (بغداد — ١٣٨٢ هـ) .
- ٦٦ — القزويني : (ت ٦٨١ هـ ، ١٣٨٢ م) أبو عبد الله زكريا بن محمود .

- د آثار البلاد وأخبار العباد، (جوزتجن ١٩٤٨ م)
- ٦٧ — قطب الدين البعلبكي : (ت - ٧٢٦ هـ) قطب الدين أبي الفتح موسى
ابن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي
، ذيل مرآة الزمان ،
(حيدر آباد - ١٩٥٤ م)
- ٦٨ — ابن القفطى : (ت ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) جمال الدين على بن يوسف
ابن ابراهيم بن عبد الوهاب :
د إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (القاهرة - ١٣٢٦ هـ)
- ٦٩ — ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ - ١١٦٠) أبو يعلى حمزة بن أسد
ابن على .
د ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٩٠٨ م)
- ٧٠ — القلقشندي : (ت ٨٢١ - ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد
د صبح الأعشى فى صناعة الانشاء نشر وزارة الثقافة والارشاد
المصرية .
- ٧١ — ابن كثير . (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقي .
د البداية والنهاية ، (القاهرة - ٩٣٢ م)
- ٧٢ — كرد على : د خطط الشام ، (مصر - ١٩٢٧ م)
- ٧٣ — الكرملى : أنستس
د النمود العربيہ وعلم النيات ،
(القاهرة - ١٩٣٩ م)
- ٧٤ — لسترنج : د بلدان الخلافة الشرقية ،
نقله إلى العربية ، بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد
(المجمع العلمى العراقى ١٩٥٤ م)

٧٥ — الماوردى : (ت ٤٥٠ - ١٠٥٧ م) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
البحرى البغدادى .

« الأحكام السلطانية » .

٧٦ — منز : آدم

Mez'Adam : Die Renaisance des Islam .

نقله إلى العربية الدكتور محمد عهد الهادى أبو ريده باسم :

« الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى »

(القاهرة - ١٩٤٠ - ١٩٤١ م)

٧٧ — أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف

ابن تغرى بردى « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة »

(نشر دار الكتب المصرية)

٧٨ — محمد أمين زكى

(١) خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية

حتى الآن »

نقله إلى العربية محمد على عوفى (القاهرة - ١٩٣٩ م) .

٧٩ — (ب) تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الإسلامى ،

تعريب محمد على عوفى (القاهرة ١٩٤٥ م)

٨٠ — محمد باقر كاظم الحسينى

« العملة الإسلامية في العهد الاتابكي »

(بغداد ١٩٦٦)

٨١ — محمد جمال الدين سرور

(١) دولة بنى قلاوون في مصر « القاهرة - ١٩٤٧)

٨٢ — (ب) « تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق » (القاهرة - ١٩٨٥ م)

٨٣ — محمد فريد أبو حديد : « صلاح الدين الأيوبي وعصره »

(القاهرة - ١٩٢٧ م)

٨٤ - المقرئى : (ت ٨٤٥ هـ ، ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن على .

(١) « السلوك لمعرفة دول الملوك » .

نشره وحققه الدكتور محمد مصطفى زيادة حتى نهاية الجزء الثانى فى

ستة مجلدات - (القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م)

٨٥ - (ب) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،

« جزءان - بولاق ١٢٧٠ هـ

٨٦ - ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ ، ٢٢٧٨ م)

« أخبار مصر » ، اعتنى بتصحيحه هنرى ماسية .

(المعهد العلمى الفرنسى ١٩٢٩ م)

٨٧ - ناصر خسرو : (ت ٤٨١ هـ - ١٠٠٨ م)

« سفرنامه .

نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب

(القاهرة - ١٩٤٥ م)

٨٨ - النسوى : محمد بن أحمد

« سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ،

نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى (القاهرة - ١٩٥٣ م)

٨٩ - النويرى : (ت ٧٣٣ هـ)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

« نهاية الأرب فى فنون الأدب » ،

مخطوط بدار الكتب المصرية من ٢٥ إلى ٣٠

٩٠ - الهمذانى : رشيد الدين فضل الله

(ت ٧١٦ هـ ، ١٣١٦ م)

تاريخ المغول ، نقله من الفارسية إلى العربية محمد صادق نشأت ،
وفؤاد عبد المعطي الصياد
القاهرة - ١٩٦٠ م)

٩١ - ابن الوردي : (ت ٧٦٨ هـ)

أبو حسن زين الدين عمر
« تمة المختصر في أخبار البشر »

٩٢ - الياقعي : (ت ٧٦٨ هـ ١٣٦٧ م)

عبد الله بن اسعد بن علي
« مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان »
(حيد راباد - ١٣٣٧ هـ)

٩٣ - ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م) شهاد الدين أبو عبد الله
الحموي الرومي .

« معجم البلدان » (١٠ اجزاء - القاهرة ١٩٠٦)

٢ — المصادر الأوروبية

- 1 — Archer (T.), Kingsford (C.) : "The Crusades". (London, 1894).
- 2 — Browne (E. D.) . "Literary History of Persia." (London 1906).
- 3 — Cahen (L.) : "La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades" (Paris, 1940).
- 4 — Cambridge Med. Hist. (Cambridge, 1957)
- 5 — Chalandon (F.) : "Histoire de la Première Croisade". (Paris, 1925)
- 6 -- Der Nersessian (S) : "Armenia and the Byzantine Empire" (Cambridge, 1945)
- 7 — Duggan, (A) : "The Story of the Crusades". (London, 1965)
- 8 — Gibb (H.A.R.) : "The Damascus Chronicle of the Crusades" (London, 1932)
- 9 — Grousset . "Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem". (Paris, 1902)
- 10 — Howorth : "Henry H. : "History of the Mongols". (London, 1876)
- 11 — Lamb, (Harold) : "The Crusades".
- 12 — La Monte (J) : "Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem".
- 13 — Lane-Poole (S.) (A) : "Saladin and the Fall of the Kingdom" (London, 1898)

- 14 — (B) : "Coins of the urtki Turkumans". (London, 1875)
- 15 — (C.) : "The Muhammadan Dynasties". (paris, 1925)
- 16 — Muir : "The Caliphate, Its rise, decline and Fall". (London, 1924)
- 17 — Nicholson, (A) Reynold : "Literary History of the Arabs". (Cambridge, 1930)
- 18 — Runciman : "A History of the Crusades". (Cambridge, 1957)
- 19 — Setton, (K. M.) : "A History of the Crusades". (Pennsylvania, 1958)
- 20 — Stevenson; (W. B.) : "The Crusaders in the East",
- 21 — Vasiliev, (A. A.) : "History of the Byzantine Empire". (Madison, 1952)
- 22 — Vincent, (H.) : "Jerusalem".
- 23 — Zœ Olden Bourg : "Les Croisades". (paris, 1962)

فهرس موضوعات الكتاب

صفحة	
	التقديم : بقلم الاستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور
٣	المقدمة
٧	بحث في مصادر الكتاب
١٢	تمهيد : قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة

الباب الاول

٢٥	الموقف السياسي للداخل في دول أتابكة الموصل والجزيرة
٢٥	١ — سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهم
٣١	٢ — الاحداث الداخلية في دول الأتابكة
٤٤	٣ — انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها
٤٤	استيلاء المغول على الموصل
٤٥	سقوط سنجان في أيدي المغول
٤٦	غارات المغول على إربل وامتلاكها
٤٧	دخول ماردين في طاعة المغول
٤٨	استيلاء صلاح الدين يوسف بن أيوب على صيفارقين
٤٨	دخول خرتبرت في طاعة سلاجقة الروم

الباب الثاني

٤٩	موقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكام البلاد الاسلامية المجاورة
٤٩	١ — الخلفاء العباسيون في بغداد
٦٣	٢ — السلاجقة
٧٩	٣ — أتابكة المشرق الاسلامي
٩٩	٤ — الايوبيون

الباب الثالث

١١٨	• • •	العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة
١١٨	• • • • •	١ — مع البيزنطيين
١٢٦	• • • • •	٢ — مع الصليبيين
١٢٦	• • • • •	أسباب الحروب الصليبية
١٢٨	• • • • •	الحملة الصليبية الأولى
١٢١	• • • • •	بلدوين والرها
١٣٤	• • • • •	سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين
١٣٥	• • • • •	استيلاء الصليبيين على بيت المقدس
١٣٨	• • • • •	وقوف الأميرين سقمان بن أرئق وجكرمش في وجه الخطر الصليبي
		حملة الأميرين إيلغازي بن أرئق ومودود على الإمارات الصليبية في
١٣٩	• • • • •	بلاد الشام
١٤٥	• • • • •	مقتل مودود بدمشق
١٤٦	• • • • •	جهود آق سنقر البرسقي في درء الخطر الصليبي عن بلاد الشام
١٤٦	• • • • •	تفرق كلمة أتابكة الموصل والجزيرة وهزيمتهم
		انتصار إيلغازي بن أرئق — أمير ماردين — على الصليبيين في موقعة
١٥٠	• • • • •	ساحة السدم
١٥١	• • • • •	مؤقت يلك بن بهرام الأرتقي من الصليبيين
١٥٤	• • • • •	مواصلة البرسقي الحرب ضد الصليبيين
١٥٦	• • • • •	جمرد عماد الدين زنكي في درء الخطر الصليبي
١٦٥	• • • • •	سقوط الرها في أيدي عماد الدين زنكي
١٧٤	• • • • •	الحملة الصليبية الثانية على بلاد الشام وفشلها
		انضمام أتابكة الموصل والجزيرة إلى نور الدين محمود بن زنكي في مجاهدة
١٧٧	• • • • •	الفرنجة
١٧٩	• • • • •	موقف صلاح الدين يوسف بن أيوب من الصليبيين

صفحة	
١٨٠	استيلاء صلاح الدين على بعض ممتلكات الصليبيين في الشام
١٨٠	صلاح الدين وأرناط
١٨٠	موقعة حطين
١٨٤	استيلاء صلاح الدين على طبرية وعسكا
	استيلاء صلاح الدين على معظم المدن والقلاع الساحلية في جنوب بلاد
١٨٦	لشام
١٨٧	استرداد المسلمين لبيت المقدس
١٩٠	الحملة الصليبية الثالثة
١٩١	الحملة الصليبية على مصر
١٩٣	نهاية الحروب الصليبية
١٩٤	٣ — المغول
١٩٤	نشأة المغول
١٩٤	ظهور جنكيز خان
١٩٥	قيام الدولة الخوارزمية
١٩٦	تدهور العلاقات المغولية الخوارزمية
١٩٧	زحف المغول إلى البلاد الخوارزمية
١٩٨	هجمات المغول على بلاد الموصل والجزيرة
٢٠٠	دخول أتابكة ماردين والموصل في طاعة المغول
٢٠٢	هولاكو والخلافة العباسية
٢٠٦	سقوط بلاد الجزيرة في أيدي المغول
٢٠٦	زحف المغول إلى بلاد الشام
٢٠٩	موقعة عين جالوت

الباب الرابع

بعض مظاهر الحضارة في بلاد الجزيرة

أولاً : التنظيمات الإدارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ٢١٥

صنعة

٢١٥	• • • • •	— التنظيم الإداري
٢١٥	• • •	١ — التقسيم الإداري لدول أتابكة الموصل والجزيرة
٢١٥	• • • • •	١ — ديار ربيعة
٢١٨	• • • • •	٢ — ديار مضر
٢١٨	• • • • •	٣ — ديار بكر
٢١٩	• •	البلدان التي اشتملت عليها أتابكيات الموصل والجزيرة
٢٢٢	• • • • •	الوظائف والدواوين الإدارية
		١ — الوظائف
٢٢٢	• • • • •	١ — النائب
٢٢٥	• • • • •	٢ — الوزير
٢٢٦	• • • • •	٣ — الشحنة
٢٢٨	• • • • •	٤ — الوالي
٢٢٨	• • •	ب — الدواوين التي اهتمت بالشؤون الإدارية
٢٢٩	• • • • •	١ — ديوان الرسائل
٢٣٠	• • • • •	٢ — ديوان الجيش
٢٣٢	• • • • •	٣ — ديوان البريد
٢٣٢	• • • • •	٤ — الادارة المالية
٢٣٢	• • • • •	الموارد المالية الثابتة لدول الatabكة
٢٣٢	• • • • •	نظام إنفاق الموارد المالية في هذه الدول
٢٤٢	• • • • •	المعاملات المالية
٢٤٩		ثانيا : الحياة الثقافية في بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي
٢٦٥		جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم في الشرق
٢٧٧	• • • • •	مصادر الكتاب
٢٩١	• • • • •	فهرس موضوعات الكتاب

نطلب جميع منشوراتنا

الفرع الرئيسي

٦-١ شارع جوارمسنى - القاهرة

ت : ٧٥٠١٦٧

فرع مدينة نصر

٩٤ شارع عباس العقاد - المنطقة السابعة

فرع الدقى

٢٧ شارع عبدالعظيم رشيد - متحف مت

شارع الدكتور شامع - بالعجوزة

ت : ٧١٧٤٩٨

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطباعة والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضى

ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤